

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القوي  
كلية اللغة العربية  
قسم الدراسات العليا العربية  
فروع الأدب

قام الطاب بتدوين الملاحظات

د. محمد بن يحيى الحارثي  
د. بسام السباعي  
د. محمد بن يحيى الحارثي

# منهجي القصر في اللغة العربية

رسالة مقدمة  
لتسليد رجة الماجستير في الأدب

إعداد

الطاب / محمد بن يحيى الحارثي

إشراف

الدكتور / محمد بن يحيى الحارثي



3010200001779



١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م

سورة  
الاحقاف

الْقَوْلَانِ  
بِسْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

- ٤ -

## مقدمة

الحمد لله القائل ﴿ الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ ، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة وآله وصحبه أجمعين . اللهم علنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا انك على كل شيء قدير .

وبعد : فان مصطلح الصدق في الشعر والنقد من أهم المصطلحات التي تناولها النقاد في تراثنا العربي القديم ، وكان الصدق في الشعر من أهم سمات جودته عند الجاهليين وفي صدر الاسلام كما أشار الى ذلك بعض النقاد حتى اذا بدأ التكسب بالشعر وفتحت خزائن الخلفاء والولاء للشعراء فزيفوا الحقائق وبالغوا وانتشرت مقولة ( أعذب الشعر أكذبه ) التي ربما تعود الى السفوسطائيين اليونانيين . وأخذها بعض النقاد على اختلاف في تفسير معناها ، ومن ثم بدأ البعض يميل الى قبول المبالغة/ لا توافق التي الواقع في الشعر ، فبدأ الخلاف بين النقاد في صدق الشعر وكذبه ، وتشعبت الآراء ولكنها كانت تتناول هذا المصطلح تناولاً جزئياً ، في الغالب ، وأصبحت القضية تحتاج الى إيضاح تام ، ودراسة تقرب بين الأفكار وتجمع بينها للوصول الى مفهوم لمصطلح الصدق في النقد العربي القديم .

هذه وغيرها من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى . وعنوانه ( مفهوم الصدق في النقد العربي القديم ) . وكان يمكن الاكتفاء بدراسته حتى نهاية القرن الرابع الهجري ولكنني رأيت أنه من الأفضل أن يدخل

ضمن هذه الدراسة عَلمان من أعلام النقد العربي لهما باع طويل في دراسة هذا الموضوع وما تعلق به هما عبد القاهر الجرجاني وحسام القرطاجني .

وقد قسمت الموضوع إلى بايين تحت كل باب ثلاثة فصول :

### الباب الأول : الصدق والواقع .

ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول :

#### الفصل الأول : مثالية الشعر الجاهلي .

تناولت فيه مكانة الشعر الجاهلي وأهميته ، ومكانة الشاعر الجاهلي ودوره في مجتمعه ، ثم سمات الشعر الجاهلي التي غلب عليها الميل إلى الحقيقة والوضوح ، وأسباب ذلك .

#### الفصل الثاني : واقعية الشعر في عصر صدر الاسلام .

وعالجت من خلاله شمول التصور الاسلامي لشتى مناشط الحياة ومنها الشعر ، ثم موقف الاسلام من الشعر والصدق فيه . وهو ما عرف بالواقعية الاسلامية وسمات هذه الواقعية وتفرداتها .

#### أما الفصل الثالث : وهو فنية الشعر بعد عصر صدر الاسلام .

فقد تناولت فيه اتجاهات الشعر بعد عصر صدر الاسلام في مجالس الخلفاء وفي المؤلفات النقدية ثم التطورات التي حصلت في مصطلح الصدق بعد عصر صدر الاسلام ، والمقصود بالصدق والكذب في قولهم ( خير الشعر أصدق ) و ( أعذب الشعر أكذب ) .

وعالج الباب الثاني : الصدق والخيال .

وقد تكون من ثلاثة فصول أيضا .

تتاول الفصل الأول : الخيال والصورة .

وتناولت فيه علاقة الصدق بالخيال والصورة من خلال علاقة الشعر بالخيال ، وتطور مفهوم الخيال عبر مراحل النقد العربي حتى حازم القرطاجني .

وفي الفصل الثاني : المبالغة والخيال .

تناولت تطور مصطلح المبالغة حتى حددت مصطلحاتها فسي كتب التلخيص وشروحه وعند حازم القرطاجني ، وما تبع ذلك من تحديد أنواعها وعلاقتها بالخيال في بعض أنواعها وبالصدق في أنواع أخرى .

أما الفصل الثالث : فعالج الصدق والواقعية .

وتناولت فيه موقف النقد العربي من الحقيقة وما قاربها والاقتصاد في تناول الأمور للحد من غلواء الخيال ليجق للعقل مجال في تتبع الخيال والحد منه وهو ما يمكن تسميته بالواقعية المرنة التي تتيح للشاعر مجالا في التصرف والتقديم والتأخير واعادة الترتيب ، ثم تناولت الخطأ في الشعر وعلاقته بالواقعية والصدق لأن الخطأ يفتقر لأحد جزئي الصدق وهو الصدق مع الواقع الخارجي .

\*

وبعد : فاني أتوجه بالشكر إلى جامعة أم القرى ممثلة في مديرتها معالي الدكتور راشد الراجح ، وكلية اللغة العربية

مثلة في عيدها سعادة الدكتور محمد بن مريسي الحارثي ، وعيدها  
السابق سعادة الدكتور عليان بن محمد الحازمي ووكيله الدكتور  
صالح جمال بدوي ، وقسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية مثلا في  
رئيسه سعادة الأستاذ الدكتور حسن بن محمد باجودة .

وأخص بالشكر والعرفان والثناء الحسن أستاذي الدكتور محمد بن  
مريسي الحارثي الذي تغضل بالاشراف على هذه الرسالة ، وتابعها من كشب  
بالرأي والتوجيه والتصويب والمدارسة منذ أن كانت أمنية من الأمنيات  
حتى أضحت على هذه الصورة ، وفتح لي بيته ومكتبته وأعطاني من  
الوقت ما فاق المخصص لي بكثير فجزاه الله عني خيرا الجزاء .

كما أشكر كل من له فضل على هذه الرسالة وصاحبها من الأساتذة  
والزملاء باعارة كتاب أو التوجيه اليه ، ولله الفضل من قبل ومن بعد  
والله ولي التوفيق ،،،

فہرست



### تمهيد

لم يصل النقد العربي الى تحديد ملامح واضحة المعالم تتحدد من خلالها النظرية النقدية العربية تحديدا علميا منظما ، ومن هنا كان لزاما على دارسي النقد أن يحددوا مصطلحاته ويؤصلوها من الوجهتين التاريخية والفنية ، في دراسات متأنية وشاملة تأخذ في الاعتبار نشأة المصطلح وتطوره تاريخيا وفنيا ، وتوارد النقاد في مختلف عصورهم أو في فترة معينة على ذلك المصطلح ، وكشف مواقفهم النقدية وطرائقهم في معالجة المصطلحات ، وبيان مواطن الاتفاق ومواقع الاختلاف في دراساتهم .

ولعله من المفيد أن يتناول الدارس للنقد مصطلحا واحدا أو مجموعة من المصطلحات يكون بينها من التقارب ما يدعو الى ضم بعضها الى بعض ، لتكون أقرب الى الاحاطة والاستقصاء ، وتسلط الضوء على مساحة محددة لتحديد ملامحها ، وهنا قد يصل الباحث الى شيء من الاطمئنان في تتبعه واستقصائه لتطور المصطلح الواحد أو المصطلحات تاريخيا وفنيا .

وعندما يتسنى لمصطلحات النقد العربي كلها أو معظمها مثل هذه الدراسة التي تهدف الى التأصيل التاريخي والفني يكون النقد العربي حينئذ قد استوى على قاعدة صلبة يعتمد عليها وينطلق منها دون تعثر ، وتكون ملامحه قد وضحت وتحددت عبر عصوره الطويلة .  
وانه لجدير بالنهضة الأدبية الحديثة في بلادنا العربية ،

وبالجامعات على وجه الخصوص مثلثة في الوسائل العلمية التي تهتم بهذا الجانب من الدراسة أن تحقق هذه الأمانة.

لقد وضع القدماء أسس تلك المصطلحات بما يتناسب مع ثقافة عصرهم ، إلا أن الباحث عند النظر في شأن المصطلح منذ بدايته نشأت إلى اكتتاله ونضجه يجد اختلاف هو لاء النقاد حسب أذواقهم الخاصة ووجهات نظرهم المختلفة ورواهم الشخصية في بعض جوانب المصطلح ، فقد يضيف المتأخر ما لم يصل إليه سابقوه فيحسب له فضل الزيادة ، ومن الجمع والمقابلة بين آراء النقاد تتحدد المصطلحات.

ولا يغيب عن البال أن بعض المصطلحات تبدو وكأنها ذات تشعبات كثيرة وجوانب متعددة ومتداخلة ، يستطيع كل متناول لها أن يجد له حججا يدعم بها رؤيته عندما يأخذ جانبا من المصطلح يرى أنه هو الذي ينبغي الأخذ به . وربما لم يكن بعض المصطلحات محل عناية عند بعض النقاد والدارسين إيثارا منهم للسلامة من الخلاف ، وهربا من مشقة الدخول في مجاهله دخولا غير مضمون النتائج في نظرهم ، فيبقى المصطلح بين مؤيد له دون استقصاء واحاطة ، ومعرض عنه غير مهتم به ، وراض به في جانب من جوانبه .

ومن هذه المصطلحات مصطلح الصدق في نقدنا العربي رغم أنه من أهم مصطلحات النقد العربي . وتأتي أهميته من عراقة صلته بالشعر في مختلف الثقافات العالمية ، ومن حث القرآن الكريم والسنة المطهرة على الصدق في الأقوال والأفعال ، ومن اختلاف الناس في تحديده لعلاقته بالشعر والشاعرين ،



وعلاقته بالنفس والواقع ان لا غنى للشعر عنه لملازمته له ملازمة قوية ،  
لأن الشعر وسيلته اللغة ، واللغة ذات دلالات لا بد من أن تكون  
صادقة أو كاذبة .

من هنا لم يأخذ هذا المصطلح حقه من الدراسة النقدية  
في نقدنا العربي القديم إذ كان الاقبال على دراسته ضئيلا ، فقد  
رأى بعض الدارسين أنه الصدق مع النفس وحسب ، ورأى آخرون أنه  
مطابقة الواقع ، وارتبط عند غيرهم بجودة الفن كما ارتبط عند آخرين  
بالبعد عن الخيال والمبالغة .

ومن هنا كانت الحاجة الى دراسة تجمع بين تلك المواقف  
وتخضعها للدراسة للوصول الى تجلية المصطلح ، وتحديد ملامحه من  
الوجهتين النظرية والتطبيقية .

فعمدنا بدأ التأليف النقدي العربي تناول كثير من المؤلفين  
هذا الجانب على اختلاف بينهم في حجم الاهتمام به ، فبينما يذكره  
أحدهم ذكرا عابرا في الحكم على بيت من الشعر أو على شاعر ، يتوسع  
آخرون في دراسته ، ويتطلبه في أغراض عديدة ، ومناح متفرقة ، على خلاف  
بين هؤلاء النقاد والأدباء والفلاسفة في مدى أهميته تبعا لاختلاف  
الأذواق وتباين الاتجاهات ، ومدى فهمهم لمهمة الشعر في الحياة .

ورغم هذه القاعدة العريضة من متناولي الصدق في الشعر  
بالدراسة الا أننا نجد من خص هذا المقياس النقدي المهم بمؤلف  
مستقل ، وبقي ابن طباطبا العلوي في عيار الشعر صاحب أوسع دراسة

للصدق رغم تقدم عصره اضافة الى سببه في دراسة الموضوع ، على أن ذلك ليس تقليلا من تناول المرزوقي في مقدمته على شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، وعبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ، حتى جاء حازم القرطاجني الذي أعطى الموضوع مجالا أوسع من الدراسة والبيان في منهاج البلغاء وسراج الأديباء .

أما في العصر الحديث فقد تناولت الدراسات الأدبية والنقدية قضية الصدق ولكنها سارت على طريق القداماء في تناوله تناولاً جزئياً في بضع صفحات أو تحديده عند شاعر معين ، وكان طه حسين<sup>(١)</sup> والعقاد<sup>(٢)</sup> وأحمد أمين<sup>(٣)</sup> وإحسان عباس<sup>(٤)</sup> في مقدمة أولئك الدارسين الذين اهتموا بقضية الصدق . ولكن أول محاولة لدراسة الصدق مستقلاً وبقدر من التفصيل هي دراسة الدكتور محمد النويهي في كتيب صغير أسماه ( محاضرات في عنصر الصدق في الأدب ) وقد طبع عام ١٩٥٩م في مصر ، والكتاب مجموعة من المحاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في الجامعة ، ويبدو أن هذه الدراسة من اجتهاد الدكتور محمد النويهي ورويته الخاصة ، لأنه

- 
- (١) انظر حديث الأربعماء (مصر ١٩٧٦م) ج ٢  
(٢) انظر : ابن الرومي حياته من شعره (بيروت ١٩٦٨م) ،  
وانظر : ساعات بين الكتب (بيروت ١٩٦٩م) .  
(٣) انظر : النقد الأدبي (بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ج ١ .  
(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر في القرن الثاني  
حتى القرن الثامن الهجري (بيروت ١٣٩١ - ١٩٧١م) .

لم يعول على مراجع قديمة أو حديثة إلا فيما ندر، ورغم افتقار هذه الدراسة إلى التوثيق والتحقيق العلمي إلا أنها جيدة ويستفاد منها. ويكاد يكون أهم ما توصلت إليه الدراسة هو أن الصدق شرط أولي وأساسي في الأدب لا غنى عنه، وأن أعلى مراتب الأدب ما حقق شرط الصدق وهو يخدم غرضا نبيلًا، ويخدم الخير والحق والجمال. (١)

ثم تناول الدكتور مصطفى ناصف قضية الصدق في فصلين من كتابه "دراسة الأدب العربي" (٢) هما الفصل السادس تحت عنوان (هل نبحت عن الصدق؟) والفصل السابع تحت عنوان (جدل في الاستطيقا حول الصدق).

وتقوم الدراسة على رفض الصدق والكذب في الشعر، وموجهًا انتقاده لطفه حسين والعقاد والمازني الذين يحكمون الصدق والكذب في الشعر، وقد اعتمد في ذلك على نقاد غربيين وعلماء نفس وعلسى رأسهم فرويد ورتشاردز وهو سجرز وجرين وموزارت. وقد أخذ على الأدب العربي أنه يصدر "عن ذلك الرأي القديم الذي يقول فيه الشاعر:

وإنَّ أجودَ بيتٍ أنتَ قائلُهُ

(٣)  
بيتٌ يُقالُ إذا أنشدته صدقًا

(١) انظر محاضرات في عنصر الصدق في الأدب (مصر ١٩٥٩م) ص ٧٤-٧٧.

(٢) طبعة بيروت ١٤٠١-١٩٨١م) ص ٣٠٩ وما بعدها.

(٣) ص ٣١٦.

ويبدو أن دراسة الدكتور مصطفى ناصف هذه لا تهم هذا البحث في شيء لأنها بعيدة عن النقد العربي القديم ، ثم أنها تقوم على التحليل النفسي والنقد الأجنبي الحديث .

وقد حصل الأستاذ نبيل رشاد الدين نوفل على درجة الماجستير في جامعة الاسكندرية عن رسالته " قضية الصدق والكذب بين النقاد القدماء والمحدثين " وكان ذلك عام ١٩٧٥ م ، وهي دراسة عامة تناولت مصطلح الصدق والكذب بدءاً بالنقد اليوناني وانتهاءً بالنقد الأوربي الحديث فكان نصيب مصطلح الصدق من دراسته في النقد العربي القديم ضئيلاً ، فقد كان تناوله للصدق في النقد العربي القديم يقع بين فترتين مزدهرتين من فترات النقد هما النقد اليوناني والنقد الحديث ، أضف إلى ذلك أن بناء الأحكام كان في أكثره منصباً على الأرب الحديث عند الغرب وعند العرب . ثم أنه أغفل النظر الإسلامية لفهوم الصدق لأن التصور الإسلامي كما هو معروف له دور كبير في تشكيل كثير من المقاييس النقدية العربية .

وقد أفدت من هذه الرسالة العلمية على قلة مادتها النقدية التي تهم هذه الدراسة كما أفدت من الدراسات التي أشرت إليها قبل ذلك .

هذا ولم تحدد المعاجم القديمة معنى الصدق تحديداً وافياً واكتفت بالقول ان " الصدق نقيض الكذب أو خلاف الكذب ، رغم أنها لم تحدد

معنى الكذب بأكثر من القول انه خلاف الصدق أو نقيضه . (١)

بينما توسعت المعاجم المتأخرة بعض الشيء في تحديد معنى الصدق ففي تاج العروس " الصدق بالكسر والفتح ضد الكذب ... والصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه ، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تماما بل إما أن لا يوصف بالصدق ، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين كقول كافر اذا قال من غير اعتقاد محمد رسول الله فان هذا يصح أن يقال صدق لكونه المخبر عنه كذلك ، ويصح أن يقال كذب لمخالفة قوله ضميره ، وللوجه الثاني أكذب الله المنافقين حيث قالوا انك رسول الله فقال \* والله يشهد ان المنافقين لكاذبون \* . (٢)

وفي المعجم الوسيط : " صدق فلان في الحديث صدقا : أخبر بالواقع . . الصدق مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم " . (٣)

ومن هذا يتبين معنى الصدق في اللغة وأنه لا بد من توافر وجهيه الداخلي والخارجي حتى يسمى بالصدق ، وهما الاعتقاد والواقع ،

-----

- (١) انظر اسماعيل بن حماد الجوهري - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ( السعودية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ) مادة صدق ، ومادة كذب . وانظر : ابن منظور - لسان العرب ( بيروت - بدون تاريخ ) مادة صدق ، ومادة كذب .
- (٢) سورة المنافقون آية ٢ . وانظر تاج العروس من جواهر القاموس ( بيروت مصور عن مصر ١٣٠٦ هـ ) مادة صدق .
- (٣) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية - أخرجه ابراهيم أنيس وزملاؤه ( مصر ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ) مادة صدق .

ومتى فقد أحدهما يبقى الصدق في الكلام ناقصاً أو هو مختلف في صدقه وكذبه ، غير أن آية المنافقين تصف المخالف لاعتقاده بالكاذب ولو حقق الواقع .

وستكشف هذه الدراسة المفهوم النقدي لمصطلح الصدق من خلال مواقف النقاد وطرائقهم في معالجة هذا المصطلح من الوجهتين النظرية والتطبيقية .



# البيان للهدوء

## الصدق والواقع

وليشتمل على ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : - مثالية الشعر الجاهلي
- الفصل الثاني : - واقعية الشعر في عصر صدر الإسلام
- الفصل الثالث : - المثالية الفنية بعد عصر صدر الإسلام

# الفصل الأول

## مشالية الشعر الجاهلي

الفصل الأول  
مثالية الشعر الجاهلي

كان للشعر عند الجاهليين منزلة عظيمة ، فهو " ديوان علمهم  
ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون " (١) ، وقد وصف عرب  
الخطاب رضي الله عنه تلك المنزلة فقال : " كان الشعر علم قوم لم يكن  
لهم علم أصح منه " (٢) .

وهذا الوصف دليل على مكانة الشعر العربي آنذاك وأنه علم  
له أهدافه وغاياته الفكرية والفنية ، وأن صورة حياة عرب الجاهلية ماثلة فيه .  
قال الجاحظ : " فكل أمة تعتمد في استبقائها ماثرها ، وتحسين مناقبها ،  
على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها  
تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام  
المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها " (٣) .

وقال أبو هلال العسكري : " لا تعرف أنساب العرب وتواريخها  
وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب ، وخزانة

---

(١) محمد بن سلام الجمحي - طبقات فحول الشعراء - تحقيق / محمود

محمد شاكر - مصر ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م / ١ / ٢٤٠

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

(٣) الحيوان - تحقيق : عبد السلام محمد هارون - بيروت مصور

عن مصر ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، / ١ / ٧١٠

حكمتها ومستنبت آدابها ، ومستودع علومها " (١) . ولهذا فصاعة  
الشعر عندهم أسمى الصناعات وللشاعر بينهم أرفع المنازل ، قال  
اليعقوبي (٢) : " ولم يكن لهم شيء يرجعون إليه من أحكامهم وأفعالهم  
إلا الشعر ، فيه كانوا يختصمون ، وبه يتمثلون وبه يتفاضلون ، وبه  
يتقاسمون ، وبه يتناضلون ، وبه يمدحون ويعيبون . . . وكانت العرب  
تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم ، فإذا كان في القبيلة الشاعر  
الماهر ، المصيب المعاني ، المخير الكلام ، أحضروه في أسواقهم  
التي كانت تقوم لهم في السنة ومواسمهم عند حجهم البيت ، حتى  
تقف وتجتمع العشائر ، فتسمع شعره " (٣) .

" فهم لذلك إذا اعتزوا بمكرمة أو نصر أو حادث سجلوا  
ذلك في قصيدة ، فهي أبقى على الدهر من كل عمل ، وأخلد من كل  
أثر ، وهذه سنة العرب في تخليد مآثرهم " (٤) .

(١) الصناعتين - تحقيق / علي محمد البجاوي - ومحمد أبو الفضل

ابراهيم - مصر ١٩٧١م ص ١٤٤ .

(٢) هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح كاتب

عباسي معروف توفي سنة ٢٨٤هـ . انظر / عمر رضا كحالة - معجم

المؤلفين ١/ ١٦١ . تاريخ اليعقوبي ( بيروت ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م ) ١/ ٢٦٢ .

(٤) الدكتور يحيى الجبوري - الشعر الجاهلي - بيروت ١٤٠٣هـ -

١٩٨٣م ص ١٣٠ .

ولهذا فمهمة الشعر الجاهلي لا تكاد تبعد عن تسجيل المآثر والوقائع والأيام واستنهاض الهمم لدفع الظلم، وحماية الجار، والحث على الشجاعة والنجدة وحماية الأعراس، والدفاع عن القبيلة، وبنائهم الأخلاق والعارات الفاضلة ولعل هذا ما عبّر عنه الدكتور يحيى الجبورى بقوله : " ولمنزلة الشعر في نفوس العرب وشغفهم به ، صار له كبير الأثر في توجيه شاعرهم وأهوائهم ، فقد حبب إليهم (١) خصال الخير ورغبتهم في الفضائل والمكرمات ، وكره إليهم خصالا ذميمة" وكان من الشعر الجاهلي ما يعد قواعد خلقية تدعو إلى الفضيلة وتحارب الرذيلة ، وهذا النمط من الشعر كانت له مكانة خاصة عند الجاهليين وذلك من مثل قول عنتره بن شداد : (٢)

وَلَقَدْ أَيَّبْتُ عَلَى الطَّوْىِ وَأَظْلَمَهُ

حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ

وقوله : (٣)

يُخْبِرُكَ مِنْ شَهِدِ الْوَقَيْعَةِ أَنْتَبِي

أَغْشَى الْوَعَى وَأَيْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

(١) الدكتور يحيى الجبورى - الشعر الجاهلي ، ص ١٣٠ .

(٢) شرح ديوانه - تحقيق عبد المنعم عبد الروؤف شلبي وإبراهيم

الأبيارى - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ص ١١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٠ .

وقول زهير بن أبي سلمى : (١)

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلُ يَفْضُلِيهِ  
عَلَى أَهْلِهِ يُسْتَفَنُّ عَنْهُ وَيُدَّسَمُ

وقول لبيد بن ربيعة : (٢)

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ  
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

فهذا الشعر وما شاكلة من أشعار الجاهليين التي تعبر عن خلق سوي ونظرة صائبة للحياة كان يحفظه الرواة والمهتمون بالشعر وربما حفظه بعض عامة الناس وعلومه لناشئتهم ليقوم نفوسهم وأخلاقهم ، فالشاعر الذي ينكر ذاته في شعره ويوظفه لمصلحة القبيلة يصبح ذا منزلة عظيمة ، وبقدر ابتعاد شعره عن هذه الأهداف يكون تأخره قال أبو عمرو ابن العلاء : " كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عدوهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء "

(١) الدكتور احسان النص - زهير بن أبي سلمى حياته وشعره - دمشق

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ١٤١

(٢) ديوانه - دراسة زكريا عبد الرحمن صيام القاهرة ١٣٩٦هـ ،

ص ١٢٦

واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوق وتسرعوا الى أعراض الناس صار  
الخطيب عندهم فوق الشاعر". (١)

ولا تجد الشعر يقال إلا لحاجة تستدعيه ، فلا يقال عبثاً  
أوسدا لفراغ الا فيما ندر ، ولا تقال الأبيات الزائدة عن حاجة الموقف،  
التي تعبر عن قصد الشاعر في وضوح يبعث على الاستجابة لأن :  
" العرب من ذوي النفوس الكريمة الحساسة المرهفة توشى فيهم الكلمة  
الطيبة وتشيرهم العبارة السيئة وتطربهم الموسيقى الرقيقة العذبة ،  
وقد اجتمعت الكلمة المختارة والرنين الخالب في الشعر فكانت لهم  
المنزلة الأولى في نفوسهم " (٢) قال ابن قتيبة : " لم يكن لأوائل  
الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة " (٣)

وكان أفراد القبيلة يتسابقون إلى حفظ شعر شاعرهم وترديده  
في كل محفل وسمر ، وربما تنال قصيدة معينة ما لا تناله غيرها من  
العناية والحفظ لصفات تميزها كأن تكون مشتلة على ذكر أمجاد القبيلة

-----

(١) الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق : عبد السلام محمد هارون

( بيروت ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م ) ١ / ٢٤١

(٢) الدكتور يحيى الجبورى - الاسلام والشعر ( بغداد ١٣٨٣هـ )

ص ٥٥

(٣) الشعر والشعراء . تحقيق : أحمد محمد شاكر ( مصر ١٩٨٣م )

١ / ١٠٤

وأيامها وطولاتها ، وهذا ما فعلته قبيلة تغلب مع معلقة عمرو بن  
كثوم النونية التي مطلعها :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ قَاصِحِينَ  
وَلَا تَبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِيْنَ (١)

وكان تعلقهم بها وترديدهم لها يفوق التصور حتى ذمهم شاعر من بكر  
ابن وائل بقوله : (٢)

أَلَسُنِي تَغْلِبٌ عَنْ كُلِّ تَمَكْرَمَةٍ  
قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُوبُنْ كَثُومِ  
يَرُوءُنَهَا أَبَدًا مَذَّكَانَ أَوْلَهُمْ  
يَا لِلرَّجَالِ لِشَعْرِ غَيْرِ مَسْئُومِ

ويبدو أن هذا الحفظ والاهتمام عند الجاهليين هو الذي حفظ الشعر  
الجاهلي في الصدور حتى عصر التدوين فوصل الشعر الجاهلي يحمل  
صورة صادقة عن البيئة الجاهلية فقد وصلنا " في وفرة وكثرة مترجما  
عن حياة الجاهليين ومعبرا عن أحداثهم في جميع تفاصيلها الصغيرة

-----

(١) الخطيب التبريزي - شرح القصائد العشر - تحقيق محمد

محي الدين عبد الحميد مصر ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ص ٣٨٠

والأندرين : قرية بالشام . انظر ياقوت الحموي - معجم البلدان ١/٢٦٠

(٢) أبو الفرج الأصفهاني . الأغاني (بيروت ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م)



والكبيرة ومصورا لخلاصة فكرهم في حياتهم التي عاشوها في تلك  
المهود". (١)

هذه إذن صورة عن مكانة الشعر المتميزة عندهم ، فهولسانهم  
المعبر عن حالاتهم في أفراحهم وأتراحهم ومتعتهم المفضلة ووسيلة  
التثقيف الأولى لديهم ، والسلاح المؤثر الذائد عن القبيلة الذي  
لا تقل فاعليته عن أدوات الحرب وفرسانها .

ولعل شيوع روح الحكمة في الشعر الجاهلي يأتي تكريسا  
لما درج عليه الجاهليون من توظيف الشعر تثقيفيا وأخلاقيا إلى  
جانب المتعة الفنية ، إن يزخر الشعر الجاهلي برصيد ضخم من شعر  
الحكمة التي يوردها الشعراء في أسلوب واضح ومباشر لا تكلف فيه ولا  
تعقيد - كما هي طبيعة شعر الحكمة - معبرة عن تجارب الشاعر في  
الحياة وخبرته بها وتمرسه بأحوالها من خير وشر القصد منها " سن  
نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك أو ما ينكرونه  
من أفعال وعادات ". (٢)

---

(١) محمد عثمان علي - أدب ما قبل الاسلام - دراسة وصفية تحليلية

(ليبيا ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص ٦٦

(٢) الدكتور يحيى الجبوري - الشعر الجاهلي ص ٤٠٣

وإذا كانت تلك مكانة الشعر عند الجاهليين فإن للشاعر  
الجاهلي مكان الصدارة في قبيلته تحتفي به وتكرمه وتفاخر به  
القبائل الأخرى، فكانت القبيلة تحتفل بنبوغ شاعر فيها لأنه لسانها  
المعبر عن آمالها وآلامها، وسجلها الحافظ لتاريخها وآثارها ومفاخرها  
وإعلامها الناشر لأخبارها، وسفيرها لدى الملوك وروءساء القبائل  
الأخرى تهبه الدعم المعنوي والمادي وتقبله ودأبوا فيخلص لرسالته  
فيها، فقد كانوا " لا يهنتون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس  
تنتج " (١) وكان الشاعر يمثل القبيلة أو الحلف في " مواقف لا حصر  
لها يمثل بعضها في سفارات الشعراء عن قبائلهم إلى بلاط الملوك أو  
قيادات القبائل الحليفة أو المخاصمة... ويتمثل بعضها في مهمة  
الشاعر في التحريض ورفع الهمم لمواجهة التحديات والأخطار...  
ويتمثل جزء منها في جهد الشعراء لرفع المعنويات واستدرار العزائم  
أيام المواجهة" (٢).

فالشاعر بمكانته هذه يحتل مكانة متميزة لاتقل أهمية عن منزلة  
السيد العزيز الجانب في قبيلته أو الفارس الشجاع أو العاقل الحكيم.  
وهذا ليس بكثير على الشاعر الذي يسخر حياته وشعره لمجتمعه المتمثل

---

(١) ابن رشيقي القبرواني - العمدة - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد

( مصر بدون تاريخ ) ٠٦٥ / ١

(٢) مجلة المورد - من مقال بعنوان الشاعر العربي قبل الاسلام

وتحديات العصر، لمحمد عبدالله الجادر عدد ٢ المجلد ١٥

العراق ١٤٠٦، ص ٠٨

في القبيلة ، فيعيش ويحيا لحياتها وعزها ، و يشق لشقاها طالما  
بقي ملتزما بالمثل والتقاليد المتعارف عليها عندهم والتي توحىها  
أعرافهم على الشاعر .

ولعل الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص قد رسم جانبا منها  
في شعره عندما قال : (١)

إِذَا كُنْتَ لَمْ تَعْبَأْ بِرَأْيِ وَلَمْ تَطِيعْ  
لِنَصْحِ وَلَا تَصْفِي إِلَى قَوْلِ مُرْشِدِ  
وَلَا تَتَّقِي ذَمَّ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا  
وَتَدْفَعُ عَنْهَا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ  
وَتَصْفَحُ عَنْ زِي جَهْلِيهَا وَتَحُوطُهَا  
وَتَقْمَعُ عَنْهَا نَخْوَةَ الْمُتَهَدِّدِ  
وَتَنْزِلُ مِنْهَا بِالْمَكَانِ الَّذِي بِيهِ  
يُرَى الْفَضْلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْمُتَحَدِّدِ  
فَلَسْتَ وَإِنْ عَلَّتْ نَفْسُكَ بِالْمُنَى  
يَذِي سُوءَ دَرِيْبَانٍ وَلَا كَرَبَ سَيِّدِ

وقال هدبة بن خشرم موضحا مهمته في القبيلة وحقوقها عليه : (٢)

- 
- (١) ديوانه - (بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) ص ٦٦ .  
(٢) الدكتور يحيى الجبوري - شعر هدبة بن خشرم - الكويت  
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص ١٤٦ .

وَإِنِّي مِنْ قُضَاعَةَ مَنْ يَكِيدُهَا  
أَكِيدُهُ وَهِيَ بَيْنِي فِي أَمَانٍ  
وَلَسْتُ بِشَاعِرِ السُّفْسَافِ فِيهِمْ  
وَلَكِنْ مِدْرَهُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ  
سَاهَجُومَنْ هَجَاهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ  
وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ عَمَّنْ هَجَانِي

فإذا كان الشاعر صاحب رسالة نبيلة في مجتمعه ، حقق بذلك لنفسه مكانة اجتماعية تماثل مكانة السيد الأريب والفرس الشجاع فإذا تخلو عن هذه الواجبات إلى الرغبات الذاتية والآثرة كان سقوطه وهوانه عند أفراد قبيلته ، قال الدكتور محمد محمد حسين : " ولم يزل الشاعر العربي عزيزاً في قومه منيعاً ما تغنى بالقوة ، فإذا سأل بشعره وقبل الهبات سقط عن منزلة السادة والروء ساء " (١) وقد بين طرفة بسن العبد سبب طرده من قبيلته وتحامي عشيرته له لأنه كان يعيش لذاته وشهواته في أمور تنقص من قدر كرام الرجال كالخمر والقيان واللهـــ وانفاق المال في سبيل ذلك فقال : (٢)

- ====
- والسفساف : الرديء من كل شيء . انظر: لسان العرب مادة سف .  
والمدره : السيد الذي يدفع به الشر ، فينظم أمور الحرب .  
انظر: لسان العرب مادة دره .  
(١) الهجاء والهجاؤون - بيروت ١٣٨٩ هـ ص ١٠٠ .  
(٢) شرح ديوانه - تعليق : سيف الدين الكاتب - وأحمد عصام  
الكاتب ، بيروت بدون تاريخ ص ٢١ .  
====

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَذَّتِي  
وَبَيْعِي وَانْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتَدِي  
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا  
وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمَعْبُودِ

ومن هنا حافظ أكثر الشعراء على مكانتهم الاجتماعية المتميزة ومكانة شعرهم إذ كانت العرب لا تتكسب بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاها أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر اعظاماً لها<sup>(١)</sup> وأعجاباً حقيقياً بالمدوح، وما مدح امرئ القيس<sup>(٢)</sup> لبني تميم إلا إعجاب وليس له من وراء ذلك من مطمع في مال أو جاه، ولقد تغير الحال نسبياً في أواخر العصر الجاهلي، فقد بدأ بعض الشعراء يقبلون العطايا على شعرهم ويقصدون الطموك طلباً لذلك.

ولعل النابغة الذبياني أول من تكسب بشعره وفتح هذا الباب لمن جاء بعده فقد "خضع للنعمان بن المنذر... فسقطت منزلته وتكسب مالا جسيماً حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيهِ".<sup>(٣)</sup>

- ====
- والطريف : المال المكتسب ، والتالد أو التلبد : الموروث . انظر لسان العرب مادة : طرف ، تلد .  
وتحامتني : باعدتني وابتعدت عني . المعبد : المذلل بالقطران . انظر لسان العرب مادة : حما ، عبد .  
(١) ابن رشيقي - العمدة (١/٨٠) .  
(٢) انظر ديوانه - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (مصر ١٩٨٤ م) ص ١٤٠ .  
(٣) ابن رشيقي - العمدة (١/٨٠) .

وقد اتهم زهير بن أبي سلمى بأنه \* تكسب يسيراً مع هرم بن سنان<sup>(١)</sup> . وهي أنها تهمة غير صحيحة ضد زهير ذلك الشاعر المشهور بالورع والتعقل إذ يروى \* أن هرمًا كان قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستحيا زهير ما كان يقبل منه فكان إذا رآه في ملاقات : عموصباحا غير هرم ، وخيركم من استثنيت<sup>(٢)</sup> . ولو أن بعض الدارسين لشعر زهير المعاصرين يصف هذا النص بأنه من نسج الرواة<sup>(٣)</sup> .

والظاهر أن زهيراً كان يمدح هرم بن سنان اعجاباً به وبما يتمتع به من صفات إنسانية فاضلة أسهمت في إيقافه حرب داحس والغبراء ، وتحمله خسائر وديات الطرفين من ماله الخاص ، وهذه صفات يمجدها كل منصف عادل . .

ثم جاء بعد ذلك الأعرشي الذي \* جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان ، وقصد حتى ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته<sup>(٤)</sup> . ولكثرة ذلك منه عده أكثر العلماء أول من سأل بشعره .<sup>(٥)</sup> ثم أن الحطيئة

(١) ابن رشيق - العمدة ٠٨٠ / ١

(٢) الأغانى ٠٣٠٥ / ١

(٣) انظر الدكتور إحسان النص - زهير بن أبي سلمى حياته وشعره .

ص ٦٠

(٤) ابن رشيق - العمدة ٠٨١ / ١

(٥) انظر المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

أكثر من السوء<sup>١</sup> بالشعر، وانحطاط المهمة فيه، والالحاق، حتى مقت  
وذم أهله<sup>(١)</sup>.

ولعل هذه الظاهرة عند المتأخرين من شعراء الجاهلية قد نالت  
من منزلة الشعر الرفيعة كما أشار إلى ذلك أبو عمرو بن العلاء<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الشعر الجاهلي يكاد يخلو من ذلك النمط الذي يقوله  
الشاعر مدحا للملوك وأصحاب الثراء والذي يكثر فيه التزديد وإضفاء  
المبالغات في صفات المدوح طلبا للمال أو المنفعة فما نصيب ذلك  
الشعر من الواقعية في عمومها ؟

تطالعنا الدواوين الجاهلية بشعر معتدل قريب من الواقع  
بعيد عن المبالغة المفرطة والغلو والمعاني المستحيلة، قريب من  
الأنفهام واضح وضوح الصحراء التي عاشوا فيها ينبي عن الحياة والبيئة  
الجاهلية، مصورا كل ما فيها بأمانة وصدق، وقد لازمت هذه الصفة  
الشعر الجاهلي في عمومها عدا بعض المواقف النادرة التي خرجت عن  
ذلك، وقد فطن إلى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصفه لزهير  
ابن أبي سلمى وهو شاعر جاهلي بأنه " لا يمدح الرجل إلا بما فيه"<sup>(٣)</sup>  
ووصفه للشعر الجاهلي بأنه " علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن رشيقي - العمدة ٠٨١ / ١

(٢) انظر الجاحظ . البيان والتبيين ٠٢٤١ / ١

(٣) محمد بن سلام - ٠٦٣ / ١

(٤) المصدر السابق الجزء نفسه ص ٠٢٤

وكذلك النقاد القدماء الذين عرفوا في الشعر الجاهلي قيمة الواقعية والصدق ، منهم ابن طباطبا الذي قال : " فان من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء وفي صدر الاسلام من الشعراء كانوا يوسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحا وهجاء وافتخارا ووصفا وترغيبا وترهيبا ، الا ما قد احتل الكذب فيه في حكم الشعر من الاغراق في الوصف والافراط في التشبيه ، وكان مجرى ما يوردونه مجرى القصص الحق والمخاطبات بالصدق " (١) فقد رأى أن الجاهليين يَمَنُونَ أنفسهم بالتزام الصدق في أشعارهم ويحاولون المحاولات الجادة لاجراج معانيهم سليمة من التناقض والاضطراب . وقد أكد نجيب البهيتي أن دينهم " الاعتدال في تناول الأمور ، والاتزان في تقديرها ، والسلامة في الاحساس بها . . . وهو بين واضح في شعرهم الغزلي وفي شعرهم الوصفي يتناولون مشاعرهم في قصد ولا يعدون في تبينها القدر الذي يأخذهم منها إلى الغلو والافراط " (٢).

إن حياة الصحراء والطبيعة الواضحة فيها قد جعلت الشاعر الجاهلي يلتزم «طابع التعبير المباشر الذي يقوم على تقرير الحقائق في صوت مرتفع عال» (٣) . مستفيدا من كل مشاهداته المحسوسة في الصحراء .

- 
- (١) عيار الشعر - تحقيق الدكتور محمد زغول سلام ، مصر ١٩٨٤ م ص ٤٧ .  
(٢) تاريخ الشعر العربي (بيروت - ١٩٧٠ م) ص ٧١ .  
(٣) محمد عثمان علي - أدب ما قبل الاسلام ص ١١٠ .



ولعل من مظاهر تلك النزعة الواقعية في الشعر الجاهلي بعض الأمور التي كان لها وجود واضح قلَّ أن يوجد في فترة أخرى بمثل ذلك الوضوح . من تلك الأمور : كثرة شعر الحكمة ، وما عرّف بالمنصفات في الشعر الجاهلي ، وغلبة التشبيه الحسي .

فإذا كان شعر الحكمة يدل على الجانب المعرفي والتثقيفي والأخلاقي عند الجاهليين ، فإنه أيضا كان تأكيدا لجانب الواقعية والصدق عند أولئك القوم الذين ربما لا تخلو قصيدة أو مقطوعة من شعرهم من بيت أو أبيات من شعر الحكمة . وربما ترد قصائد كاملة في الحكمة تتأثر بالأسلوب الواضح المباشر ، وتخلو من التكلف والتعقيد وتعبّر عن تجارب الشاعر في الحياة ، وخبرته بها " ولذلك جاءت حكمهم حقائق مجردة في تناول الفطرة السلية ، تليها التجربة والشاهدة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم ، وكانت أفكارهم صدى لهذه التأملات والمشاهدات " . (١)

قال ابن رشيقي في فضل الشعر " العرب أفضل الأمم وحكمتها أشرف الحكم " . (٢)

ومن أبيات الحكمة التي وردت عند الجاهليين قول عبيد بن الأبرص : (٣)

- 
- (١) الدكتور يحيى الجبوري / الشعر الجاهلي ص ٤٠٣ .  
(٢) العمدة ١/ ١٩٠ .  
(٣) ديوانه ص ٦٨ .

فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي الْيَوْمِ لَا بُدَّ أَنْ يَمُتَ  
سَيَعْلَقُهُ حَبْلُ الْمَنِيَّةِ فِي غَدٍ  
فَقُلْ لِلَّذِي يَجِيءُ خِلَافَ الَّذِي مَضَى  
تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدِيمَ

فهو يرصد حقيقة ماثلة هي الموت الذي لا ينجو منه أحد ،  
وأن على العاقل أن يعد نفسه لمثل هذا الموقف ، وهذا هو التعبير عن  
الواقع في أسلوب شعري ينزله منزلة المثل الذي يسهل حفظه والتمثل به .

ومن ذلك قول طرفة بن العبد : ( ١ )

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا  
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّرْ

وقول زهير بن أبي سلمى : ( ٢ )

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ  
وَإِنْ خَالَهَا تَخَفُوا عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ  
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مُعْجَبٍ  
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ  
لِغَانِ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ  
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالسِّدْمِ

( ١ ) شرح ديوانه ص ٢٨ .

( ٢ ) ديوانه ( بيروت بدون تاريخ ) ص ٨٨ .

وقول لبيد بن ربيعة: (١)

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا  
بَيْتَا يَوْمَ حَلُّوْهَا وَعَدُوًّا بِلَاقِعِ (٢)  
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ  
يَحْوِرُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ  
وَمَا الْبِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التَّقْوَى  
وَمَا الْمَالُ إِلَّا مَعْمَرَاتٌ وَدَائِعُ  
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَيْعَةٌ  
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

وهذه الكثرة قد تنبه لها الدارسون للشعر الجاهلي ، قال  
الدكتور يحيى الجبوري : \* لا نعدم أن نجد بعض القصائد تنفرد  
بموضوع الحكمة ولا تشرك به غيره ويكثر ذلك في شعر عدي بن زيد وأمية  
ابن أبي الصلت ، ولا يخلو ديوان شاعر من الحكمة التي تفكر في الحياة  
ومصير الإنسان ، والزمان وأحداثه والدهر وتقلباته والناس وأخلاقهم  
وطباعهم ، والأقوام التي كانت والأأم التي صارت أحاديث وذكريات: (٣)

(١) ديوانه ص ١٤٣ .

(٢) بلاغ : مقفلة خالية . انظر : لسان العرب مادة بلقع .

(٣) الشعر الجاهلي ص ٤١٧ .

هذه الكثرة في شعر الحكمة تدل على نزوعهم إلى الصدق والواقعية . قال شارح ديوان طرفة بسن العبد في مقدمته على الديوان " ولعل أبيات الحكمة والأمثال التي نطق بها هذا الشاعر . . . تشهد شهادة صادقة بعبقريته وقدرته الشعرية ، وقد يكون إنما ذكرها في لحظات الصحو النفسي التي لا بد أن تمر بكل رجل ، فان فيها كثيرا من العمق والصدق " (١) .

هذا وقد تنبه بعض النقاد القدماء إلى أن الشعر الجاهلي يتازعن غيره بقصائد ومقطوعات وأبيات ينصف فيها الخصم خصمه في مواطن النزال فيذكر ما له من شجاعة وصبر وثبات وقد ذكر هذه المنصفات الجاحظ في قوله : " وقد أدركت رواة المسجديين والمريديين ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ، ونسيب الأعراب ، والأرجاس الأعرابية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعار المنصفة ، فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة " (٢) . واذا كان لجاحظ قد ذكرها ذكرا عابرا بدون تحديد فان الطبرسي قد توسع في بيانها وتعريفها في قوله : " وللمعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء وفيما وصفوه من أحوالهم في إمحاض الإخساء وقد سموها المنصفات " (٣) .

(١) ص ٨

(٢) البيان والتبيين ٢٣/٤

(٣) عبد القادر البغدادي ، خزنة الأدب ( ط / ب ) ————— ولاق

مصر ١٢٩٩ ( ١٢٩٩/٣ )

ومن الكتاب المعاصرين عرفها محمود شاكر في صياغة مرتبة ولكنها لا تخرج عن تعريف الطبرسي لها فقال : المنصفة هي القصيدة التي يمدح فيها الشاعر أعداءه ، ويذكر ما أوقعوه بقومه وما أوقع قومه بهم انصافاً وعدلاً (١) .  
ولقد كثرت قصائد الانصاف في الشعر الجاهلي كثرة أسعفت بعض المعاصرين على تأليف الكتب في هذا الجانب مع توافر الشواهد والمادة العلمية المؤاتية للتأليف . (٢)

ولكن كيف كانت علاقة هذه المنصفات بالصدق والحقيقة ؟

يجد وأن شعراء المنصفات أناس قد خبروا الحرب واصطلوا بنارها ، وهذه الخبرة كشفت لهم حقائق جليلة واضحة لا تحتل اللبس ، وهي أن النصر لا يملكه قوم دون آخرين ، وإنما هي الأقدار ، أو صرف الدهر حسب عرفهم الجاهلي ، وأن الشجاعة والثبات والصبر لا يستأثر بها قوم دون آخرين فهي مشتركة بين الناس جميعاً ، فعبروا عن هذه الحقائق دون تحفظ إضافة إلى ذكر مجريات المعركة دون تزييد أو ادعاء ، وقد صور الشاعر الجاهلي فروة بن مسيك المرادي شيئاً من هذه الحقائق

(١) محمد بن سلام ١/١٤٥٠

(٢) جمع عبد المعين الطوحي كتاباً سماه ( المنصفات ) وقدم ثابت

محمد صغير رسالة ماجستير لكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى

تحت عنوان ( المنصفات في الشعر الجاهلي ) عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

(١) في قوله:

فَإِنْ نَهَزِمَ فَهَزَامُونَ قَدَمًا  
وَإِنْ نُهَزَمَ فَغَيْرُ مَهْزَمِينَا  
وَمَا إِنْ طَبْنَا جِبْنَ وَلَكِنْ  
مَنَايَا وَدَوْلَةَ آخِرِينَا  
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتَهُ سَجَال  
تَكَرَّرَ وَفَهُ حِينَا فَحِينَا

فهو يعترف بأنهم يهزمون أحيانا ولكن هزائمهم ليست عن جبن ،  
وانما لتصرف الأيام حسب الأقدار المكتوبة فهي دول بين الناس ،  
وهذا هو الصدق الذي عرفه الشاعر الجاهلي بفطرتة وخبرته  
الطويلة في الحياة والحروب .

ومن جياذ قصائد الانصاف قول عبد الشارق بن عبد العزى  
الجهني يصف معركة بين قبيلته جهينة وبين قبيلة بهثة : (٢)

فَجَاءُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجِئْنَا  
كَثَلِ السِّيفِ نَرَكَبُ وَازِعِينَا  
فَنَادُوا يَا لِبَهْثَةَ إِذْ رَأَوْنَا  
فَقُلْنَا أَحْسِنِي ضَرْبًا جُهَيْنَا

(١) أبو تمام - الوحشيات - تحقيق عبد العزيز الميمني (القاهرة ١٩٧٠م)

ص ٣٥

(٢) أحمد بن محمد المرزوقي - شرح ديوان الحماسة - نشره أحمد أمين

وعبد السلام هارون ( مصر ١٣٨٣هـ ) ١/٤٤٢

سَمِعْنَا دَعْوَةَ عَن ظَهْرِ غَيْبٍ  
فَجَلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوْينَا  
فَلَمَّا أَن تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا  
أَنْخَنَا لِلْكَلاَكِلِ فَارْتَمِينَا  
فَلَمَّا لَمْ نَدْعُ قَوْسًا وَسَهْمًا  
مَشِينَا نَحْوَهُمْ وَمَشَا إِلَيْنَا  
تَلَاؤُوهُ مَزْنَةٌ بَرَقَتْ لِأَخْرَى  
إِذَا جَحَلُوا بِأَسْيَافِ رَدِينَا  
شَدَرْنَا شِدَّةً فَقَطَلَتْ مِنْهُمْ  
ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَطَلَتْ قَيْنَا  
وَشَدَّوْا شِدَّةً أُخْرَى فَجَازُوا  
بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جَوِينَا  
وَكَانَ أَخِي جُوَيْنَ ذَا حِفَازٍ  
وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتْيَانِ زِينَا  
فَأَبَوْا بِالرَّمَاحِ مَكْسَرَاتٍ  
وَأَبْنَا بِالسَّيُوفِ قَدِ انْحَنِينَ  
فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاحٍ  
وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا الْكُمُوسُ سَرِينَا

هذه صورة صادقة عن المعركة ليس فيها فيما يبدو مزيد أو ادعاء ،  
ولا غرابة " فالصدق أظهر سمة من سيماء المنصفات " . ( ١ )

( ١ ) ثابت محمد صغير - المنصفات في الشعر الجاهلي ( رسالة ماجستير

بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ) ص ١٨١ .

أما التشبيه فقد كانت وسائل الخيال في الشعر الجاهلي من تشبيه واستعارة وكناية قريبة واضحة ، ولكن اعتمادهم الأول كان على التشبيه ، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى نزوعهم إلى الحقيقة والصدق في التعبير ، لأن التشبيه أضعف الأدوات خيالاً فهو دون الاستعارة والتصوير . (١)

وكان التشبيه في الشعر الجاهلي تشبيهاً بالمحسوس المشاهد من مظاهر الطبيعة يقوم على المشابهة التفصيلية ، وكثرة الأوصاف الجامعة بين المشبه والمشبه به ، ولذلك تكررت الصور المفردة أكثر من الصور المركبة .

ولعل سبب هذا التكرار نزوعهم إلى الصدق والواقعية التي تجعل مجالهم محدوداً بالمشاهدات حولهم .

ولكن إذا كان الشعر الجاهلي قد غلبت عليه الواقعية والصدق فما نوع هذا الصدق ؟ وهل كان هذا التقيد بالصدق مقصوداً فرضته أعراف اجتماعية متفق عليها ، أو معتقدات دينية كانوا يدينون بها قبل الإسلام ، أم هي التقاليد الفنية للشعر العربي ؟

فمن المعروف أن الشعر الجاهلي يزخر بأبيات كثيرة تتحدث عن الصدق ، وضم الكذب ، والبعد عن الشطط في القول ، والدعوة إلى التزام الحق الناصع فأحسن الشعر أصدقه ، وتلك أمور تحبذها الفطرة

(١) محمد عثمان علي - أدب ما قبل الإسلام ص ١١٠ .



(١) السليمة التي يتمتع بها الشاعر الجاهلي ، فقد قال النابغة الذبياني :

أَتَاكَ يَقُولُ هَلْهَلِ النَّسْجِ كَاذِبٍ

وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ

مطالباً بالحق الناصع والصدق ، ذاماً للكذب والقول المضطرب المتناقض ، وإن كان البيت لا يقصد الشاعر على وجه اليقين وإنما المقصود به المتحدث الذي وشى بالنابغة لدى النعمان (٢) . بيد أن زهير بن أبي سلمى قد صرح بدم الكذب في الشعر نافية عن شعره في الحرب وحديثه عنها أن يكون من ذلك النوع وذلك في قوله : (٣)

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ

وَمَا هُوَ عِنْدَهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ

أى ليس قولى عن الحرب في شعري هذا قولاً مرجوماً بالكذب ، قال الزوزني في شرحه للبيت : " يقول ليست الحرب إلا ما عهدتموها وجربتموها ، ومارستم كراهتها ، وما هذا الذي أقول بحديث مرجم عن الحرب ،

---

(١) ديوانه . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ( مصر ١٩٧٧ م ) ص ٣٥ .

(٢) قيل انه مرة بن سعد القريني ، وقيل الشاعر الجاهلي المنخل

اليشكري ، انظر الاغاني ١١ / ١٣٠ .

(٣) شرح ديوانه لأبي العباس ثعلب - مصر ٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م ،

أى هذا ما شهدت عليه الشواهد الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون". (١)

(٢) أما عدي بن زيد فقد نهى عن التزويد في الكلام في قوله :

إِذَا أَنْتَ فَآكَهْتَ الرَّجَالَ فَلَا تَعِ  
و قُلْ مِثْلَ مَا قَالُوا وَلَا تَتَزَيَّدْ

قال ابن منظور : " وإنسان يتزويد في حديثه وكلامه إذا تكلف مجاوزة ما ينبغي . . . والتزويد في الحديث : الكذب ". (٣)

وينسب إلى طرفة بن العبد قوله : (٤)

وَإِنْ أَشْعَرَبَيْتِ أَنْتَ قَائِلُهُ  
بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقْنَا

فلو صحت نسبة البيت إلى طرفة فإن هذا تصريح بطلب الصدق في الشعر الجاهلي ما يدل على معرفتهم بهذا المصطلح وهذه التسمية

-----

- (١) شرح المعلقات السبع ( بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ) ص ٦٥ .  
(٢) ديوانه . تحقيق محمد جبار المعبيد ( بغداد ١٩٦٥ م ) ص ١٠٥  
في الديوان تتزود .  
(٣) لسان العرب ( مادة : زيد ) .  
(٤) شرح ديوانه ص ٦٧ .

في الشعر وإن لم يصرحوا بذلك غير أن الشائع في كتب الأدب أن البيت  
لحسان بن ثابت وهو في ديوانه (١) كما هو في ديوان طرفة ، وسواء كان  
البيت لطرفة أولحسان فإن هذا لا يُغَيِّرُ كثيرا من قيمة الاستنتاج ،  
فطرفة شاعر جاهلي وفي بعض شعره حكمة ، وحسان شاعر مخضرم عاش  
نصف عمره في الجاهلية وله فيها شعر كثير .

فإن كان البيت لطرفة أولحسان قبل إسلامه فهو من أبيات  
الحكمة التي اشتهر بها الجاهليون ، وهو شاهد على وجود مصطلح  
الصدق في الشعر الجاهلي ، وإن كان البيت لحسان فهو من تأثير  
الإسلام الذي يدعو إلى الصدق في كل شيء ، والرأي الثاني هو الأقرب  
إلى الصواب .

أما نوع الصدق فهو الصدق الواقعي ذلك الصدق الذي يمتزج  
بالنفس في تصوير الحقائق والتعامل معها دون تزييف أو مغالاة ، لأن  
المغالاة والخروج إلى التهويل يذهب بجودة الشعر وفنيته وبخاصة عند  
الجاهليين الذين وصفوا المهلهل بالكذب والتزيد في بيته المشهور :  
(٢)

ولولا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلَ حَجْرٍ  
صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقَرَعُ بِالذُّكُورِ

(١) (بيروت ١٤٠٧-١٩٨٧م) ص ١٦٩ .

(٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١/٢٩٧ .

وللصدق ارتباط بالغايات الأخلاقية عند الجاهليين ، تبعاً  
لغاية الشعر الأخلاقية عندهم . كما أن هذا التقيد بالصدق الذي  
غلب على شعرهم كغيره من الجوانب الأخلاقية الحسنة عندهم لم يكن امتثالا  
لدعوة إصلاحية أو سلطة موحدة للعرب تلزمهم بذلك ، لأن العرب قبل  
الاسلام عاشوا قبائل متفرقة في الصحراء لا تخضع لسلطان ، ولم يكن  
ذلك لعقيدة سماوية كانوا يجتمعون عليها مع أن الحنيفة مله إبراهيم  
كانت موجودة في الجزيرة العربية غير أن القليل من كان يدين بها .

ويبدو أن هذا الالتزام بالصدق والواقعية كان التزاماً فنياً  
تفرضه تقاليد الشعر الجاهلي ، وأخلاقياً تطلبه فطرتهم الصافية التي لا تعرف  
الخداع والتزييف كما يطلبه جمهورهم الذي ينفر من المغالاة والتزييف  
والبعد عن الحقيقة .

وإذا كان هذا حال الشعر الجاهلي من الواقعية والصدق فما  
دور النقد الأدبي في ذلك ؟

لا بد أن يكون للنقد حضوره ودوره في العصر الجاهلي لأن الشعر  
بلغ درجة عالية من النضج والاتقان فلا بد أن يواكبه تيار نقدي يبيِّن  
مواطن القبح والحسن في الشعر ويقوم ما اعوجَّ منه ، ويأخذ بيد الشعراء  
إلى الدرجة الفنية العالية التي وصلوا إليها قبيل الاسلام \* فبين الحداء  
الذي يظن أنه نواة الشعر العربي وبين القصيدة المحكمة عصر طويل  
للنقد الأدبي ألجَّ على الشعر بالإصلاح والتهذيب حتى انتهى به

إلى الصحة وإلى الجودة والاحكام". (١)

ولكن لم يصل إلى عصر التدوين من ذلك النقد الجاهلي إلا أقل القليل ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى ندرة التدوين في العصر الجاهلي ولعدم تعلق الحافظة العربية بغير الموزون من الكلام . قال الدكتور علي الجندي في ذلك : " ولعل السبب في قلة الموروث من النثر الجاهلي أن أدب هذه الفترة كان يحفظ ويتناقل بطريق السماع والحفظ والرواية، ولم يدون إلا بعد مرور العصر الجاهلي بفترة طويلة . . . والنثر يصعب حفظه كما أنه لا يبقى في الذاكرة طويلا في حين أن الشعر يعلق بالذهن بسهولة ، لما فيه من النغمات الموسيقية المنتظمة " (٢) . والذي وصل إلى عصر التدوين من النقد الجاهلي عبارات سارت مسار المشل في إيجازها وبلاغتها وتعلق الحافظة العربية بها كقول محكمي الشعر من قريش بعد سماع قصيدتين لعلقمة بن عبدة " هاتان سمطا الدهر (٣) وقول طرفة بن العبد بعد سماع بيت للمتمس في وصف البعير " استتوق الجمل " (٤) وقول النابغة الذبياني للخنساء : " لولا أن أبا بصير أشدني لقلت إنك أشعر الجن والانس " . (٥)

- 
- (١) طه أحمد ابراهيم - تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري (بيروت - بدون تاريخ) ص ١١٠ .
- (٢) تاريخ الأدب الجاهلي (مصر ١٩٦٩م) ١/١٣٥ .
- (٣) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني ٢١/٢٠١ .
- (٤) العرزياني - الموشح . تحقيق : علي محمد البجاوي ٩٦٥ ص ١٠١٠ .
- (٥) ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/٣٤٤ .

ويجدون أصحاب الملاحظات النقدية وكذلك أهل الذوق الذين صوبوا للنايفة شعره في المدينة ————— هم كبار الشعراء الذين خبروا الشعر وصناعته وعرفوا غته وسمينه لطول اشتغالهم ودربتهم عليه ومدارستهم له " وإن المدارس لتعدي على العلم به " (١) كما يقول محمد بن سلام .

ولعل في مقدمة الشعراء النقاد النايفة الفياني الذي كانت تضرب له قبة في سوق عكاظ ويتولى التحكيم بين الشعراء ونقدهم . (٢)

أما مصطلح الصدق ووروده في ملاحظات الجاهليين ————— النقدية فلا يستطيع أن يجزم به باحث لأن النظرات النقدية الجاهلية التي دونت لا تكفي لاقامة أحكام محددة ، ولكن اتهم الجاهليين للمهلل بالتزويد وقوله في شعره أكثر من فعله تدل على ذوقهم الذي يأنس بالقصد والاعتدال وينفر من الكذب والغلو والمبالغة المفرطة .

وعلى هذا كان القصد والاعتدال غايتهم ، وكان ينشد هذا المبدأ الشعراء المبتدئون ويتعلمونه عن كبار الشعراء ، " فمن الشعراء الجاهليين من كان له أساتذة ومرشدون يأخذ عنهم رسوم الشعر ، ويتعلم بعض أصوله ، وفي هذا التلقي شيء من الهداية والتوجيه الى المشل الأعلى ، فزهير بن أبي سلمى كان متصلاً ببشامة بن الغدير ، وكان

(١) طبقات فحول الشعراء ١ / ٠٦

(٢) انظر الشعر والشعراء ١ / ٣٤٤

لهذا الاتصال أثره الواضح في شعر زهير من الأناة والقصد". (١)

وكان البصيرون بصناعة الشعر من الجاهليين مولعين بصحة

المعاني فطرفة بن العبد عندما سمع المثلث ينشد :

وقد أتتَ ناسِيَ الهَمِّ عِنْدَ احتضارِهِ

يَنَاجِ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

أعلن استنكاره في الحال بمقولته المشهورة الساخرة " استنوق الجمل" (٢)

لأن الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة لا في عنق البعير، وهذه

الملاحظة تطلب صحة المعنى وعدم مخالفة العرف السائد " فمعنى

المثلث فاسد لأنه أسند صفة لغير ما تسند إليه، ومعاني المهلهل

التي غالى فيها فاسدة لأنها فوق المعقول" (٣) قال الدكتور محمد

الحاجري عن نقد طرفة للمثلث " وهذا لون من ألوان النقد الجاهلي يستمد

سلطانه في مواخذة الشعراء من المواضع التي تعارفها الناس

وتواضعوا عليها". (٤)

ولعل الأبيات الشعرية التي صدرت عن الشعراء الجاهليين

في الحث على الصدق والقصد، والبعد عن الكذب والتزويد كما مر عند

زهير بن أبي سلمى وعدي بن زيد وطرفة بن العبد وغيرهم تعطي تصورا

واضحا عن نظرهم إلى هذه القضية.

(١) طه أحمد ابراهيم - تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر

الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ص ١٥٠

(٢) المرجع السابق ص ١٦٠

(٣) المرجع السابق ص ١٥٠

(٤) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية (بيروت ١٩٨٢ م) ص ٣٦٠

ورغم هذه الواقعية التي سادت الشعر الجاهلي الا أن بعضه قد خرج عن هذا الاطار الى التزويد والمغالاة والادعاء الكاذب والتهويل ومجانبة الحق والحقيقة في نظر بعض النقاد ، ولكنه كان قليلا لا يمس الاصل المتعارف عليه بتغيير كبير فقد عرف عن المهلهل أنه يتزويد في شعره ومن ذلك قوله : (١)

وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلَ حَجْرٍ  
صَلِيلِ النَّيْضِ تَفْرَعُ بِالذُّكُورِ

قال عنه محمد بن سلام \* وزعمت العرب أنه كان يدعي في شعره ويتكشر في قوله بأكثر من فعله \* . (٢)

وقال عنه ابن قتيبة : \* وهو أحد الشعراء الكذبة \* . (٣)

ومن الشعر الجاهلي البالغ الافراط معلقة عمرو بن كلثوم النونية التي مطلعها : (٤)

إِلَّا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا  
وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

- 
- (١) ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/٢٩٧ .  
(٢) طبقات فحول الشعراء ١/٤٠ .  
(٣) الشعر والشعراء ١/٢٩٧ .  
(٤) الخطيب التبريزي - شرح القصائد العشر - تحقيق د/ فخرالدين قباوة بيروت ١٤٠٠هـ ص ٣٢٠ .



والتي لازمها الافراط والتزيد من أولها الى آخرها، ومن هذا القبيل  
بيت بشر بن أبي خازم : (١)

وَسَثَبَتْ طَيِّءُ الْجَبَلَيْنِ حَرَبًا

تَهْرَلِشْجُوهًا مِنْهَا صَحَارًا

لبعد المسافة بين صحار بعمان وجبال طيء في وسط الجزيرة العربية  
ولكن " الطابع العام هو القصد والاعتدال والصدق والوضوح " (٢) ،  
الذي يراعي مستويات التفكير في المجتمع العربي الجاهلي ولا يخرج  
عما ألفه عيان العربي وحسه .

---

(١) ديوانه - تحقيق الدكتور عزة حسن ( سوريا ١٣٧٩هـ ) ص ٦٧ .

(٢) الدكتور يحيى الجبوري - الشعر الجاهلي ص ٢٠٣ .

# الفصل الثاني

واقعية الشعر في عصر صدر الإسلام

## الفصل الثاني

### واقعية الشعر في عصر صدر الاسلام

تفرد الإسلام بذلك المنهج الشمولي المنظم لكل مناحي النشاط  
القولية والفعلية ، وبتصوره الشامل للكون والحياة والانسان إذ " هو  
أشمل تصور عرفته البشرية حتى اليوم .. إنه التصور الذي لا يأخذ  
جانبا من الوجود ويدع جانبا آخر .. وإنما يأخذ الوجود كله  
بمادياته وروحانياته ومعنوياته وكل كائناته " (١)

والشعر جزء من هذا الوجود الكبير ومنحى من مناحي النشاط  
البشرى التي شملها الاسلام بمنهجه الواسع .

ومن هذا المنطلق فقد تناول الاسلام الشعر ، ووجهه الوجهة  
الصحيحة وحدد مهمته التي ينبغي أن يكون عليها والتي تتناسب  
مع شمولية الحياة الاسلامية صلاحها .

قال الله تعالى في سورة الشعراء \* وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ  
الْفَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا  
يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ  
مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ \* (٢)

(١) محمد قطب - منهج الفن الاسلامي (بيروت ١٤٠١هـ) ص ١٣٠

(٢) سورة الشعراء - ٢٢٤-٢٢٧ .

ففي " قوله تعالى \* والشعراء يتبعهم الغاؤون \* " قال ابن عباس : هم الكفار يتبعهم ضال الجن والانس " (٢) و " عن ابن عباس قال : ( والشعراء يتبعهم الغاؤون ) فنسخ من ذلك واستثنى فقال : \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا \* " (٢) وقال عكرمة : كان الشعراء يتهاجيان فينتصر لهذا فقام من الناس ولهذا فقام من الناس فأنزل الله تعالى \* والشعراء يتبعهم الغاؤون \* " (٣)

وفي قوله تعالى \* ألم تر أنهم في كل واد يهيمون \* قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل لغو يخوضون . وقال الضحاك عن ابن عباس في كل فن من الكلام وكذا قال مجاهد وغيره ، وقال الحسن البصري قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها مرة في شتية فلان ومرة في مديحة فلان . وقال قتادة : الشاعر يمدح قوماً بباطل ويذم قوماً بباطل " (٤) وقال الطبري في تفسير الآية " وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق فيمدحون بالباطل قوماً ، ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور " (٥)

(١) د / عبد العزيز بن عبد الله الحميدى . تفسير ابن عباس ومروياته

من كتب السنة - السعودية - مكة بدون تاريخ ٢ / ٦٩٤ .

(٢) المصدر السابق ٢ / ٦٩٣ .

(٣) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - بيروت ١٣٨٨ هـ ص ٣٥٣ .

(٤) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن مصر ١٣٧٣ هـ ١٨ / ١٢٨ .

وقال الزمخشري في الكشاف : " ذكر الوادي والهيوم فيه  
تشيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم فسي  
الغلو في المنطق ومجاوزه حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس  
على عنتره وأشحهم على حاتم وأن يجهتوا البرىء ويفسقوا التقى " (١) .  
وهكذا يكون المقصود بالذم في الآيات شعراء الكفار الذين هجوا  
النبي وحاربوا الاسلام وكذلك الشعراء الذين يروجون الباطل  
ويدحضون الحق مدحا وهجاء بالكذب والزور . وقد دفع القرآن  
الكريم الشبهة عن النبي أن يكون شاعرا وعن القرآن أن يكون شعرا  
وهي شبهة روجها كفار قريش وكان رد القرآن عليهم بقوله تعالى  
﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) ،  
قال أبو السعود في تفسيره للآية : " رد وإبطال لما كانوا يقولونه  
في حقه صلى الله عليه وسلم من أنه شاعر وما يقوله شعرا أي ما علمناه  
الشعر بتعليم القرآن " (٣) ، وقوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ  
قَلِيلًا مَّا تَوَّعْتُمْ ﴾ (٤)

- 
- (١) طبعة لبنان (بدون تاريخ) ١٣٣/٣ .  
(٢) سورة يس آية ٦٩ .  
(٣) إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم - المجلد الرابع -  
١٧٧/٧ . بيروت - بدون .  
(٤) سورة الحاقة آية ٤١ .

أما ما عدا هذه الأنواع المذمومة من الشعر فلا حرج عليها ،

ولم يتعرض لها القرآن بدم لأنه تعالى استثنى من الذم الشعراء  
المؤمنين بقوله : \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ  
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا \* إذ يروى أنه " لما نزلت ( والشعراء ) جاء حسان وكعب

وابن رواحة يهجون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا نبي الله

أنزل الله هذه الآية وهو تعالى يعلم أنا شعراء ؟ فقال : اقرأوا

ما بعدها \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات \* الآية أنتم

\* وانتصروا من بعد ما ظلموا \* أنتم ، أي بالرد على المشركين " (١) و

" قال النبي صلى الله عليه وسلم ( انتصروا ولا تقولوا إلا حقا ولا تذكروا

الآباء والأهماء " (٢) . والمعروف أن قول الحق والانتصار ورد

العقوبة بمثلها أمور ليست مذمومة في الإسلام لقوله تعالى \* وإن عاقبتم

فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيرا للصابرين \* (٣) ،

والشعر يفترض فيه أن لا يخرج عن هذه القاعدة .

قال أبو هلال العسكري : " واستثناء الله عز وجل في أمر الشعراء

يدل على أن المذموم من الشعر إنما هو المعدول عن جهة الصواب

إلى الخطأ والمصروف عن جهة الانصاف والعدل إلى الظلم والجور . . .

وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم " (٤) .

(١) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ( بيروت ، مطبوع عن مصر

١٣٨٧ هـ ، ١٣ / ١٥٣ .

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

(٣) سورة النحل آية ١٢٦ .

(٤) الصناعتين - ص ١٤٤ .

وقال ابن رشيقي ردا على من كره الشعر وزهد فيه \* فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : \* والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون \* فهو غلط وسوء تأويل ، لأن المقصود من بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجا\* وسوء بالأذى فأما من سواهم من المؤمن فغير داخل في شيء من ذلك \* (١)

وان كنا نتفق مع ابن رشيقي في هذا الرد إلا أننا لا نقبل أن يكون المقصود بالذم في هذه الآيات شعراء المشركين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحسب لأن القرآن الكريم تشريع إلى يوم القيامة ، ومن هجا أو بهت أو طعن في دين الناس واعراضهم أو قال منكر من الشعراء فهو من الغاوين في أي زمن كان .

ويجد وفيما تقدم أن الشعر العربي في أكثره كان قد اتخذ منها باطلا خاصة إبان البعثة وقبلها يتناسب مع الجاهلية التي جاء الإسلام حربا عليها وذلك المنهج هو البعد عن الصواب والحق ، ومحاربة الدعوة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم وهجا الإسلام ورسوله الكريم ، والتأليب على الإسلام والمسلمين ، وهذا المنهج هو الذي حارب به الإسلام لأنه منهج جاهلي باطل ، وهو المقصود بالذم ومن اتبعه من الشعراء . أما الشعراء المؤمنون فقد استثناهم القرآن الكريم من الذم . ولذلك فلا حرب من القرآن على الشعر على إطلاقه قال سيد قطب : " ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته - كما قد يفهم - من ظاهر الألفاظ - إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن منهج الأهل والأفاعيل التي لا ضابط لها ، ومنهج الأهل المهومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها . فأما حين

تستقر الروح على منهج الاسلام ، وتنضج بتأثراتها الاسلامية شعراً وفناً ،  
وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه الشاعر النبيلة في دنيا الواقع ،  
ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها ، وتدع واقع الحياة  
كما هو مشوها متخلفاً قبيحاً ؛ وأما حين يكون للروح منهج ثابت  
يهدف الى غاية اسلامية ، وحين تنظر الى الدنيا فتراها من زاوية الاسلام ،  
في ضوء الاسلام ، ثم تعبر عن ذلك شعراً وفناً ، فأما عند ذلك فالاسلام  
لا يكره الشعر ولا يحارب الفن . . . ومن ثم يستثنى القرآن الكريم من  
ذلك الوصف العام للشعراء \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ،  
وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظلموا \* فهو لا يسوا داخلين  
في ذلك الوصف العام \* . (١)

ولعل هذا ما عبر عنه محمد قطب ولكن في إيجاز بقوله :

\* والآيات التي وجهت للشعراء العرب في الجاهلية لم توجه ضد الشعر  
في ذاته ولا وجهت ضد الشعراء على إطلاقهم ، وإنما ضد نوع معين من الشعراء \* .  
(٢)

وكذلك ضد مواضيع معينة من الشعر تتنافى مع مبادئ

الاسلام النقية ومع الفطرة البشرية السليمة .

إن من الصفات التي يأخذها القرآن على الشعراء صفة التناقض  
بين الأقوال والأفعال وهذا هو الكذب \* وأنهم يقولون ما لا يفعلون \*

(١) في ظلال القرآن - لبنان مصور عن مصر ، ط/٧ ، ١٣٩٨ هـ

٠٢٦٢٢/٥

(٢) منهج الفن الاسلامي ص ١٣٩ .



غير أن المؤمن لا يتصفون بهذه الصفة حتى في الشعر ولذلك استثناهم الله تعالى بقوله ﴿ إلا الذين آمنوا... ﴾ الآية ، لأن سياق الآيات كله في مجال الشعر ، والمؤمن ليس من صفاته الكذب في الشعر أو في غيره من الكلام لقوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل " أيكون المؤمن من جباناً ؟ فقال : ( نعم ) فقيل له : أيكون المؤمن بخيلاً ؟ فقال : ( نعم ) ، فقيل له : أيكون المؤمن كذاباً ؟ فقال : ( لا ) " (١) ولذلك فالشعر فيه احتمال الصدق والكذب تبعاً لمنهج

الشاعر وعقيدته فحين يكون الشاعر مؤمناً صادق الإيمان فإنه يتحرى الصدق في شعره لأن بين الإيمان والكذب تناقضاً كما بين الحديث وحين يكون الشاعر غير ذلك فإنه لا يحتري في شعره لأن هدفه يكون فنياً بحتاً ، وعلى ذلك فلا مكان للمقولة التي أخذ يرددها بعض الأدباء المعاصرين وهي أن الشعر لا يتصف بالصدق ولا كذب (٢) .

وإن كان يصح تطبيق هذه المقولة نسبياً على نوع من الشعر وهو الذي يتحدث فيه الشاعر عن مشاعره وأحاسيسه لأنه يصعب الحكم على هذه المشاعر بالصدق أو الكذب .

وإذا كان هذا اهتمام القرآن بالصدق في الشعر فإننا هـو جزء من المساحة الواسعة التي تناول فيها القرآن الصدق تشبهاً مع منهجه الشمولي الكامل .

(١) الامام مالك بن أنس - الموطأ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

مصر ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م ج ٢ حديث رقم ١٩ - فصل الكلام

ص ٩٩٠ .

(٢) انظر د / شوقي ضيف - البحث الأدبي طبيعته ، مناهجه ، أصوله ،

مصادره مصر سنة ١٩٧٢م ص ١١ .

لقد أحصيت أكثر من مئة موضع في كتاب الله وردت فيها  
كلمة " الصدق " (١) وما تصرف منها أمرا به وترغيبا فيه ، وأكثر  
من ثلاثة أضعاف هذا العدد من المواضع وردت فيها كلمة " الكذب " (٢)  
وما تصرف منها نهيا عنه وتنفيرا منه ، هذا غير المواضع التي يرد فيها  
الصدق أو الكذب بغير مادة " صدق " أو " كذب " كقوله تعالى  
\* يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا  
ما لا تفعلون \* (٣)

أما موقف السنة من الشعر فقد كان نابعا من موقف القرآن  
بطبيعة الحال وهو تشجيع الشعر النافع الذي ينصر الحق ويدحض  
الباطل ، ودم الشعر الذي يتنافى مع سنن الاسلام ويقف في وجهه  
الحق ويدعو الى الباطل .

وقد نال شعراء الرسول الثلاثة حسان بن ثابت وكعب بن مالك  
وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم أجمعين حظهم الوافر من ثنايا النبي  
وتشجيعه ودعوته المباركة فعن " البراء " بن عازب قال سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت اهجمهم أو هاجهم وجبريل معك (٤)

- 
- (١) استعنت ب: محمد فواد عبد الباقي - المعجم المفهرس لألفاظ  
القرآن مادة ( صدق ) ( بيروت ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م ) .  
(٢) انظر المصدر السابق مادة ( كذب ) .  
(٣) سورة الصف الآيات ٢ ، ٣ .  
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ( بيروت - ١٤٠١ هـ ) ١٦ / ٤٦٠

وعن أبي هريرة أن عمر مريحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلاحظ إليه فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أحب عني اللهم أيده بروح القدس قال اللهم نعم<sup>(١)</sup> وعن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أنه لما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم أبياته التي منها:

" فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ

تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

قال: وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة<sup>(٢)</sup>.

وكان صلى الله عليه وسلم يستمع إلى شعر أمية بن أبي الصلت رغم كفره فعن " عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم، قال: هيه فأنشدته بيتا فقال: هيه ثم أنشدته بيتا فقال: هيه حتى أنشدته مئة بيت<sup>(٣)</sup> وفي رواية: " قال فلقد كاد يسلم في شعره<sup>(٤)</sup> وقد استمع رسول الله صلى الله

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤٥/١٦

(٢) الهيثمي - مجمع الزوائد (بيروت ١٩٦٧م) ٨/١٢٤

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١١/١٥

(٤) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها.

عليه وسلم إلى قصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد" ومنحه برده  
وعفا عنه رغم أنه كان من أعداء الإسلام قبل ذلك، وكان صلى الله عليه  
وسلم قد أهدر دمه (١).

وإذا كان صلى الله عليه وسلم قد شجع الشعر الحسن واستمع  
له ودعا لأصحابه من المؤمنين لأنه يلتزم الحق ويدعو  
إلى الفضيلة ويحارب الظلم والجاهلية فإنه كان بالضد من ذلك مع  
كل شعر فاسد يحارب الحق والخير ويدعو إلى الرذيلة والفرقة  
وهتك الأعراض ويعود بالمجتمع المسلم إلى سلبات الجاهلية، فقد  
روى البخاري وسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص  
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لأن يمتلي جوف  
أحدكم قبحا حتى يريه خيرا من أن يمتلي شعرا" (٢)، وفي رواية  
أخرى لهذا الحديث "عن أبي سعيد قال: بينما نحن نسير مع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال  
النبي صلى الله عليه وسلم: (خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان - لأن  
يتمتلي جوف أحدكم قبحا خيرا من أن يمتلي شعرا) (٣).

(١) انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١/ ١٥٤ - ١٥٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٤.

(٣) المصدر السابق الجزء نفسه، ص ١٥.

وقد روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها استدركت على أبي هريرة حيث قالت : " لم يحفظ أبو هريرة الحديث إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لأن يمتلي جوف أحدكم قبحا ورسا خير له من أن يمتلي شعرا هجيت به " . (١)

قال النووي في شرحه للحديث " وقد أجمع المسلمون على أن الكلمة الواحدة من هجاء النبي صلى الله عليه وسلم موجبة للكفر قالوا بل الصواب أن يكون الشعر غالبا عليه مستوليا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى وهذا مذموم من أي شعر كان فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس مثلثا شعرا والله أعلم . . . وقال العلماء كافة هو صياح ما لم يكن فيه فحش ونحوه قالوا وهو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وهذا هو الصواب " . (٢)

وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من قال في الاسلام شعرا مقدما فلسانه هدر ) رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف " . (٣)

- 
- (١) بدر الدين الزركشي - الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة - تحقيق : سعيد الأفغاني ( بيروت ودمشق ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ) ص ١١١ .
- (٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤ / ١٥ .
- (٣) الهيثمي - مجمع الزوائد ١٢٣ / ٨ .

تبين ما تقدم موقف الرسول صلى الله عليه وسلم الراض لكل  
شمس قبيح أو هجاء مقذع ويدخل تحته كل غزل فاحش أو هجاء للرسول صلى الله  
عليه وسلم وللإسلام وكل ما دعا إلى جاهلية أو عصبية أو تفريق بين  
المسلمين وهو تابع لموقف القرآن الذي يذم شعراء الغواية ويستثنى  
الشعراء المؤمنين .

وبالإضافة إلى تشجيع الحسن من الشعر وذم القبيح فإنه  
صلى الله عليه وسلم كان يوجه الشعراء إلى المضامين والأفكار التي  
تناسب مع عقيدتهم أو الألفاظ المعبرة عن ذلك، وذلك عندما يسمع  
أي مخالفة غير مقصودة من الشعراء المؤمنين ربما تكون من الرواسب  
الجاهلية فقد ذكر ابن هشام أن "كعب بن مالك قال :

\* مُجَالِدُنَا عَنْ جِدْمِنَا كُلُّ فُخْمَةٍ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أ يصلح أن تقول : مجالدنا عن  
ديننا فقال كعب : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو  
أحسن ، فقال كعب : مجالدنا عن ديننا . ( ١ )

---

( ١ ) السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا وزملائه - بيروت ١٣٦٠ / ٣  
تكملة البيت : مُدْرَبَةٌ فِيهَا الدَّوَانِسُ تَلْمَعُ .  
فخمه : كتيبة عظيمة ، مذربة : حاذقة ماهرة ، القوانس :  
روؤس بيض السلاح ، مفردا قونس .

(١) والجذم هو الأصل فكأنه صلى الله عليه وسلم أنكرك ذلك لأنه فخر جاهلي لأن الأصل والعرق من أدوات الفخر الجاهلي بينما في الاسلام تكون العقيدة هي ما يفتخر به المسلم لأنها أرحب وأوسع من النسب ومن أجلها شرع الجهاد ، وكأنه أيضا لاحظ أن واقع جهاد المسلمين إنما هو دفاع عن الدين لا عن الأصل فوجه الشاعر إلى الحق والصواب في المعنى . قال سامي مكي العاني معلقا على الحادثة " وطبيعي أن لا يرضى رسول الله لكعب أن يجعل فخره بالنسب لأن ذلك من رواسب الجاهلية التي نهى عنها الاسلام ، ولأن الاسلام إنما شرع القتال للدفاع عن الفكرة والعقيدة لا الأصل والنسب " (٢) وهذا صواب إلا أن التعبير عن الاسلام بأنه فكرة فيه نظر لأن الاسلام عقيدة سحاوية شاملة ونظام حياة رباني كامل . وكان صلى الله عليه وسلم يوجه كعب بن مالك في بعض شعره ويرشده إلى المعاني الإسلامية وكان كعب يفتخر بهذا ويقول :

---

(١) انظر ابن منظور - لسان العرب مادة ( جذم ) والجذم بالكسر أصل الشيء ، وقد يفتح ، وجذم كل شيء أصله ، وجذم الشجرة أصلها وكذلك من كل شيء وجذم القوم أصلهم .

(٢) ديوان كعب بن مالك - تحقيق : سامي مكي العاني - بغداد

" ما أعان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً في شعره غيري " (١) . وقد دعا  
صلى الله عليه وسلم للنايغة الجعدي في حديث ضعيف هو " عن النايغة  
قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته من قلبي :

عَلَوْنَا السَّمَاءَ عِغَّةً وَتَكَرَّمَا

وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

قال: أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : الجنة . قال : إن شاء الله ،  
قال ثم قال : أنشدني فأنشدته من قلبي :

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ

بَوَادِرُ تَحِيٍّ صَفْوَةٌ أَنْ يُكْدَرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ

حَلِيمٌ إِذَا مَا أوردَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

قال : أحسنت لا يفضي الله فاك " (٢) فقله صلى الله عليه وسلم  
" أين المظهر يا أبا ليلى ؟ " إنكار على النايغة ولكن تفسير النايغة  
للمظهر بأنه الجنة قد أرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا  
له في الهيئتين الأخيرين لا عجابه بصواب معناهما .

(١) البرد - الفاضل - تحقيق : عبد العزيز الميني ( مصر ١٣٧٥ هـ -

١٩٥٦ م ) ص ١٢٠

(٢) الهيثمي - مجمع الزوائد ١٢٦/٨ .

وللبيت رواية أخرى : بلغنا السماء مجدنا وجدودنا

وانا لندرجو فوق ذلك مظهرا

وعلى هذه الرواية يكون انكار الرسول صلى الله عليه وسلم على الفخر  
بالمجد والجدود وهو فخر جاهلي .



أما عنصر الصدق في الشعر فقد نال حظه من اهتمام السنة المطهرة وذلك تبعاً لاهتمام القرآن الذي تقدم الحديث عنه ، والصدق في الشعر جزء من الصدق في شئون الحياة المتعددة فقد أوصى صلى الله عليه وسلم بالصدق في الأمور كلها في أحاديث كثيرة منها على سبيل المثال قوله " عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا " . ( ١ )

ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه أخرج الشعر من قاعدة الالتزام بالصدق أو الالتزام بالاسلام بشكل عام في هذا الحديث أو في غيره بل على العكس من ذلك تماما فقد كان صلى الله عليه وسلم يثني على الأبيات التي تتضمن الصدق والتي تلتزم الحق وتدعو إلى مكارم الأخلاق التي بعث صلى الله عليه وسلم متممًا لها منها الحديث الصحيح " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

\* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ \* ( ٢ )

( ١ ) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ١٦٠ .

( ٢ ) المصدر السابق ١٥ / ١٢ .

وهذا التصديق لقول لبيد رغم أنه شعر جاهلي يدل على اهتمامه  
صلى الله عليه وسلم بالصدق في الشعر حتى ولو كان الشعر قيل في  
الجاهلية فهو أكد في الاسلام ومن الشاعر المسلم ، ولا شك أن لبيدا  
قد أصاب المعنى ووافق الحق الذي جاء به الاسلام ، وحقق التفرّد  
لله ، الذي أدركه بثاقب بصيرته وبآيات الله في الكون ، ولا أدل على  
ذلك من إسلامه المبكر بعد مجيئ الاسلام وشدة تمسكه به .

وروي " أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشد " قول سحيم عبد  
بني الحَسَّاس :

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ

فَلَيْسَ إِحْسَانُهُ عَنَّا بِمَقْطُوعٍ

فقال : أحسن وصدق وإن الله يشكر مثل هذا ، وإن سَدَّ  
وقارب إنه لمن أهل الجنة " . ( ١ )

وهناك آثار في مثل هذا المعنى وردت في كتب الأدب نسوق  
بعضها للاستئناس بها ، منها : ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه سمع  
عائشة وهي تنشد قول زهير بن جَنَاب :

---

( ١ ) ابن حجر العسقلاني - الاصابة ببيروت ٠١٠٩/٢

ارْفَعُ ضَعِيفَكَ لَا يَحِلُّ بِكَ ضَعْفُهُ  
يَوْمًا فَتَدْرِكُهُ عَوَاقِبُ مَا جَنَسُوا  
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ فَإِنَّ مَنْ  
أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق يا عائشة ، لا يشكر الله من لا يشكر  
الناس (١) . وهذا تصديق للشاعر بصحة معنى البيتين وواقعتهما  
ولاشتمالهما على معنى خلقي هو مساعدة الضعيف .

وعن أنس بن مالك قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم يعني  
قوله :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَافِ الْمَذَاهِبِ  
لِعِمْرَةَ وَحَشًّا غَيْرَ مَوْتِفٍ رَاكِبِ

فأنشده بعضهم إياها ، فلما بلغ إلى قوله :

أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا  
كَأَنَّ يَدِي بِالسِّيفِ مِخْرَاقٌ لَأَعِيبِ

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " هل كان كما ذكر ،  
فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له : والذي بعثك بالحق  
يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة ومحفة موضة

(١) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد - تحقيق محمد سعيد المرينان ،

بيروت (١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م) ١٠٩/٦ .

وانظر الشعر والشعراء ١/ ٣٨١ .

فجالدنا كما ذكر . هكذا في هذه الرواية :<sup>(١)</sup>

والرسول صلى الله عليه وسلم يسأل هنا عن مدى تعبير هذا الشعر عن الواقع ، موجهها سؤاله الى الذين حضروا المعركة التي عبرت عنها القصيدة وكان الجواب من شاهد عيان حضر المعركة .

من هذه لأحاديث وغيرها يتبين موقفه صلى الله عليه وسلم المؤكّد لجاز الصدق في الشعر ، كما هوفي سائر الكلام لأن الشعر جانب مهم من جوانب الحياة لا بد أن ينال حظه من التوجيه إلى ما يناسب هذا الدين ويسير في ركابه إلى الحق والصدق والخير ، وهذا من أهداف البعثة النبوية التي لا تقتصر مهمتها على تصحيح جانب دون آخر بل الربط الوثيق بين جميع مناحي الحياة ومنها الشعر الذي أصبح في عصر الصحابة والتابعين بفضل توجيه الكتاب والسنة مثلاً رائعا من الصدق والحق رغم أن معظمه قيل في الحرب . قال بعض الباحثين : " وكان هذا الضرب من الشعر سجلا وافيا وثيقة تاريخية مهمة ولوناً صادقا من ألوان التعبير التي يمكن أن تصحح الحوادث التاريخية وتحدد أجزاء الوقائع ، وترسم خطوط المسيرة التي قطعتها مواكب التحرير . . . وهوفي كل مجال من هذه المجالات يعبر عن حالة واقعية ، وحوادث ملموسة ، عاش أحداثها عن

(١) أبو الفرج الأصبهاني - الأغاني ٠٧/٣

كشِب ، وراقب تطورها بدقة وعبر عن إحساسه بها بصدق ، وهذا ما يعين الباحثين على استقصاء الأخبار بموضوعية ويساعدهم على متابعتها بأمانة " . (١)

وعلى منهاج القرآن والسنة في موقفهما من الشعر كان موقف الصحابة من الخلفاء الراشدين أو الشعراء المؤمنين أو غيرهم ، الذين قبلوا الحسن من الشعر وردوا القبيح ، وقوموا المعوج ليتمشوا مع ما أمر به الاسلام وينأى عما يخالفه ، وكان ولاية أمر المسلمين يستشعرون واجبهـم الديني والأخلاقي والاجتماعي نحو الشعر ، ويعد عربـن الخطاب رضي الله عنه أكثر الخلفاء الراشدين اهتماما بالشعر وتوجيههـم الوجهة الصحيحة ، فقد وجه سحيماً عبد بني الحسحاس إلى المعنى الموافق للاسلام عندما أنشده :

" عُمَيْرَةٌ وَدَعَّ إِنَّ تَجَهَّزْتَ غَارِيَةً

كَفَوَا الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَةً

فقال له عمر : لو قدمت الاسلام على الشيب لا جزتك " . (٢)

-----

- (١) د / ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب ( بيروت ١٩٨٤ م )  
ص ٣٧١ . نقل عن مجلة آفاق عربية بفداد عدد ٦ ، ١٩٨٠ م  
مقالة " الشعر والتاريخ " ص ٣٦ .
- (٢) الجاحظ - البيان والتبيين ١ / ٧١ - ٧٢ . وفي رواية غازيا بدل غاريا .

وهذه الملاحظة من عمر على قدر كبير من الصواب لأن زاجر العقيدة عن الطذات أشد وقعاً في النفس ، وأقوى أثراً من زاجر الشيب ، والشيب لا يجعل المرء يرعوي بالقدر الذي يحدثه الايمان بينما يحول الايمان بين المرء والمعاصي في أي سن كان على الرغم من اعتراض أحد الكتاب المعاصرين بغير علم على موقف عمر بقوله " مع أن الشيب حافظ إنساني لتوديع الطذات الدنيوية ، والشاعر إنسان قبل أن يكون مسلماً " . ( ١ )

ومن ثانياً كتاباته إلى عماله على الأخص حول الشعر يتبين توجيهه إلى المضامين الشعرية التي لا تخالف الإسلام فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري قائلاً : " مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب " . ( ٢ )

وكان عمر يعاقب الشعراء الذين يخرجون بالشعر إلى ما يخالف الإسلام من الهجاء المقذع وغيره فقد حبس الحطيئة عندما هجا الزبيران ابن بدر بقصيدته التي منها قوله :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُفَيْتِهِمَا

وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

ولم يطلقه إلا بعد أن تعهد أن لا يهجو أحداً من المسلمين . ( ٣ )

( ١ ) د / اسماعيل الصيفي - بيئات نقد الشعر عند العرب / الكويت

١٣٩٤ هـ ص ٤٩

( ٢ ) ابن رشيقي - العمدة ١ / ٢٨٠

( ٣ ) انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١ / ٣٢٨

وهدد الشاعر النجاشي عندما هجا بني العجلان بقصيدته

التي منها :

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لَوْمٍ وَرِقَّةٍ

فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ

وتوعده بقطع لسانه إن عاد لهجائهم . (١)

وهذا الموقف الراض لل شعر القبيح الذي يورث الضغائن ويدعو

إلى الفرقة ويهتك الأعراس إنما هو توجيه للشاعرين ولغيرهما إلى مهمة الشعر النفعية الخلقية فعمد يريد من الشعر أن يكون قادراً على تقويم السلوك واكتساب الفضائل والترفع عن الدنيا وهو جزء مهم بل أساس من أسس منهج التربية الإسلامية . (٢)

وورد في الأغانى أن غالباً أبا المغزوق جاء إلى علي بن أبي

طالب بالمغزوق فقال : إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه ، قال علي : علمه القرآن . (٣)

وربما وهذا توجيه/قصد منه ان لحفظ القرآن أولوية وفضلا على الشعر خاصة

في حداثة سن الصبي .

-----

- (١) انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/ ٣٣٠ .
- (٢) انظر : محمد بن مريس الحارثي ، الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري ( نادي مكة الثقافي ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ) ص ٦٤ .
- (٣) انظر الأغانى ٢١ / ٢٨٣ .

وكان من المقاييس التي اهتم بها الخلفاء الراشدون وأصحاب  
البصر بالشعر من الصحابة والشعراء المسلمين الصدق لأنه فضيلة حث  
عليها القرآن / والسنة / في الأمور كلها ولأن الكذب والنفاق والغلو أمور  
تخل بتكامل الشخصية الاسلامية وتتنافى مع الخلق السوي . فعمن  
ابن عباس قال في رواية يذكرها ليلة مسير عمر بن الخطاب إلى الجابية  
" قال : هل تروي لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال :  
الذي يقول :

وَلَوْ أَنَّ حَمْدًا يَخْلِدُ النَّاسَ أَخْلَدُوا

وَلَكِنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعر الشعراء . قلت : وبم كان  
شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاقل في الكلام ، وكان يتجنب  
وحشي الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . (١)

والشاهد من هذه المقاييس التي أشار إليها عمر عند زهير  
وأثنى عليها مقياس الصدق ، فزهير ذلك الشاعر الجاهلي لا يمدح  
أحداً إلا بما فيه ، وإذا كان الصدق في الشعر يستحق الثناء على قائله  
الجاهلي فمن الأولى أن يكون مطلوباً من الشاعر المسلم الذي تشبعت  
روحه بمبادئ الاسلام وصراحته ووضوحه .

---

(١) أبو الفرج / الأغانى ١٠ / ٢٨٩ .



ولم يكن عمر الوحيد الذى يهتم بالصدق في الشعر بل ذلك  
دأب عامة المسلمين آنذاك تبعالسنن دينهم فعلي بن أبي طالب  
رضي الله عنه يجعل مقياس الصدق من أهم مقاييس جودة الشعر  
وذلك في تفضيله لأبي محجن إذ " كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
يفضل أبياتا لأبي محجن منها :

لَا تَسْأَلِي النَّاسَ عَن مَالِي وَكَثْرَتِهِ

وَسَأَلِي الْقَوْمَ عَن دِينِي وَعَن خَلْقِي

وَأَهْجُرُ الْفَعْلَ ذَا حُوبٍ وَمَنْقُصَةً

وَأَتْرِكُ الْقَوْلَ يُدْنِيَنِي مِنَ الرَّهَقِ

وبتهم رأيه فلا يذكر ذلك ، إلى أن قال لعلي كرم الله وجهه : من  
أشعر الناس ؟ قال : الذي أحسن الوصف ، وأحكم الرصف ، وقال الحق .  
قال : ومن هو ؟ قال : أبو محجن في قوله :

\* لَا تَسْأَلِي النَّاسَ عَن مَالِي وَكَثْرَتِهِ \*

قال : أيدتني يا أبا الحسن أيدك الله : (١) فاحسان الوصف  
وهو وصف الشيء بأوصافه الحقيقية ، وقول الحق ، من مقاييس جودة  
الشعر في الذوق الاسلامي ، وهذا هو الصدق . فقد كان الأحنف بن  
قيس يفضل الشعر الصادق الذي يجتعد عن المدح المغالى فيهِ

(١) ديوان أبي محجن - صنعة أبي هلال العسكري (بيروت ١٩٧٠ م)

فعندما سأله معاوية عن أشعر الشعراء ، قال " زهير . قال : وكيف ؟  
قال : أَلَقَى عَنِ الْمَارِحِينَ فُضُولَ الْكَلَامِ " . ( ١ )

وليس المهم عند الأحنف وقبله عمر بن الخطاب في حكميهما  
على شعر زهير إلا هذه الصفة التي يتصف بها شعره ، وهي الصدق  
والبعد عن المدح الكاذب وفضول الكلام .

أما الشعراء الموءنون في عهد الرسول والخلفاء فقد أفادوا إلى  
حد كبير من منهج القرآن والسنة الداعي إلى الحق والصدق وبخاصة  
من تمثل القرآن منهم ولازم الرسول وقوي إيمانه فحسان بن ثابت كان  
يرى أَنَّ الشعر لباب العقول وعقلية المرء تعرف من شعره عند عرضه على  
الناس ، وأن أحسن الشعر ما صدق فيه قائله وقد عبر عن ذلك شعرا  
بقوله : ( ٢ )

وَإِنَّمَا الشُّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ

عَلَى التَّجَالِينِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُفَا

وَإِنْ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ

بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

---

( ١ ) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني - ١٠ / ٢٩٠ .

( ٢ ) ديوانه ص ١٦٩ .

وقد قيل : لا يزال المرء مستورا وفي مندوحة ما لم يصنع شعراً أو  
يولف كتابا ، لأن شعره ترجمان علمه ، وتأليفه عنوان عقله . (١)

وقال الجاحظ : " من صنع شعراً أو وضع كتابا فقد استهدف ،  
فإن أحسن فقد استعطف وإن أساء فقد استقذف " . (٢)

وقد أكد حسان من قبل هذا القول بالتزامه جانب الصدق  
والحق في شعره الاسلامي واتخذه قيمة ينشدها في أكثر شعره ،  
ولعل هذا من الأسباب التي جعلته يظفر باعجاب الرسول ورضاه ، ولعل  
هذه الواقعية والصدق في شعره أيضا من الأسباب التي جعلت الأقرع  
ابن حابس يشهد لشعره بأنه أحسن من شعر الزبيرقان عندما جاء تميم  
تفاخر الرسول بشاعرها وخطيبها وكان حسان قد رد على قصيدة الزبيرقان  
التي يفتخر فيها بقومه والتي مطلعها :

نَحْنُ الْمَلُوكُ فَلَا حَسِيٍّ يِقَارِبُنَا

منا الملوك وفينا يوفى خذ الربيع

بقصيدة مطلعها :

إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ

قَدْ بَيْنَا سِنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَبَعُ

---

(١) ابن رشيقي - العمدة ١ / ١١٤ .

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

فقال الأقرع " والله ان هذا الرجل لموتى له ! والله لشاعره أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ولا أصواتهم أرفع من أصواتنا " . (١)

ويبدو أن صدق حسان في معظم هجائه لقريش من العوامل التي جعلت له أشد الأثر عليهم ولا عجب " فأشد الهجاء أعفاه وأصدقه " (٢) كما قال خلف الأحمر ، وهذا ما جعل زعماء قريش وشعراءها يتهمون أبا بكر بأنه أصبح شاعرا بعد أن هاجر إلى المدينة لأنه كان يكشف لحسان الهنات والمثالب التي كان يعيرهم بها في شعره . (٣)

وكان كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة قد تمثلا في شعرهما الصدق والواقعية ، وقد أورد الدكتور مصطفى عليان ثلاثة نصوص لعبدالله ابن رواحة تعبر عن صدق هذا الشاعر تحت باب التنازع العاطفي منها قول عبدالله بن رواحة :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهٗ      لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتَكْرَهَنَّهٗ  
إِنَّ أَجْلَبَ النَّاسِ شَدُّ وَالرَّهْ      مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِيَنِ الْجَنَّةَ (٤)  
قَدْ ظَالَمَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً      هَلْ أَنْتِ إِلَّا نَطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ (٥)

جَعَفَرُ مَا أَطْيَبَ رِيحِ الْجَنَّةِ

- 
- (١) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ٤/١٤٨-١٥٠ .  
(٢) ابن رشيقي . العمدة ٢/١٧١ .  
(٣) انظر : أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني ٤/١٤٠ .  
(٤) أجلب الناس : من الجليلة وهي اختلاط الأصوات ، والرنة : الصوت . انظر : لسان العرب . مادة جلب ومادة رنين .  
(٥) الشنه : القربة البالية . انظر : لسان العرب مادة شنن .

معلقا على هذا النص بقوله : " وابن رواحه في أبياته الشعرية هذه إنما يعبر بصدق عن الطبيعة البشرية ، وما ينتابها في اللحظة الأولى للصدام والالتحام من تردد أو خوف لأن الخوف مظهر من مظاهر غريزة البقاء وهو حتم الوجود في الانسان " (١) نافيا عن عبدالله بن رواحه أن يكون قد جبن لأن الجبان يركب نفرته في مثل هذه المواقف بينما الشجاع يدفعها للثبات فيثبت (١) وهو ما فعله ابن رواحه رضي الله عنه .

ما تقدم يظهر انعكاس المفاهيم الاسلامية على الشعر عند الصحابة والشعراء منهم على وجه الخصوص إبان " الدعوة الاسلامية التي تجعل الصدق قرين الايمان " (٢) مما جعل الشعر يسير في ركاب الواقعية الاسلامية حقا وصدقا ووضوحا . بيد أن بعض الشعراء وهم قليلة ظلوا بعيدين عن هذه الروح الاسلامية في سلوكهم وفي شعرهم ، حيث ظلوا يتناولون أعراض الناس بالهجاء المقذع ويبالغون ويكذبون في شعرهم لخواء نفوسهم وخلوها من تأثير الدين كالحطيئة مثلا .

-----

(١) مقدمتي دراسة الأدب الاسلامي (السعودية ١٤٠٥هـ) ص ٢٨ .

(٢) انظر المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٣) د / محمد عادل الهاشمي - شعر عصر صدر الاسلام من منظور

التصور الاسلامي ، الاردن ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٣٠ .

أما النقد في عصر صدر الاسلام فقد استمد قوته من منهج الفكر الاسلامي في بعض صورته لكنه لم يتجاوز صورة الملاحظات السريعة غير المعللة التي تعتمد الاحكام الموجزة اللهم إلا بعض المواقف النقدية لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما التي اعتمدت ربط الحكم بأسبابه وأبعاده، وقد تميز نقد هذه الفترة بشيء من الموضوعية إذ " اتسعت دائرة الموضوعية فيه بتأثير الاسلام والقرآن" (١) كما تميز ببدأ التوجيه الى لزوم الحق والصدق ومراعاة الخلق تبعاً لمنهج الاسلام - الذي يذم شعراء الكفر الكاذبين مستثنياً المؤمنين الصادقين، وتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم للشعراء وتقويمه للشعر حيث كان يوصى بالتزام الحق والصدق وينهى عما يفرق الشمل، أو يدعوا الى الظلم ونيش الاعراض أو ينهج أسلوب الشطط والغلو، وهذا يكون " ميزان الشعر عنده يتمثل في مدى مطابقته للحق أو عدم مطابقته" (٢) كما هي نظرة القرآن للشعر ولسائر شئون الحياة، وكان من الخلفاء من كان ذا بصر بالشعر ونقده كعمر ابن الخطاب الذي تقدم بالنقد خطوة الى الأمام في حكمه لزهير بأنه شاعر الشعراء " لأنه كان لا يعاقل في الكلام، وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه" (٣) فهو نقد قائم على

(١) د / منصور عبد الرحمن - اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس

الهجري (مصر ١٣٩٧ هـ) ص ١٠٠

(٢) د / عبد العزيز عتيق - تاريخ النقد الأدبي عند العرب - بيروت

١٣٩٣ هـ ص ٤٩

(٣) انظر هذا الفصل ص

ذكر الأسباب التي جعلت زهيراً شاعر الشعراء ولا أول مرة في تاريخ النقد كما نعلم يكون مثل هذا التعليل ما جعل بعض الباحثين يجعله رائداً لطلائع النقد العربي بلا منازع". (١)

أما الصفات التي تميز بها شعر زهير فهي موجودة بالفعل يوماً كدها كل من يطلع على شعره بتوسع وبعد نظر ما يدل على علم واسع لعمر بشعر زهير، وقد شملت هذه الصفات التركيب والألفاظ والمعاني ففي التركيب سهولة ووضوح لا تعقيد فيها ولا مداخلة، وفي الألفاظ بعد عن الحوشي والغريب، وفي المعاني صدق وواقعية في المدح لا غلو ولا إفراط.

وبهذا يكون عمرنا نزعة أدبية نقدية بصيرة بمواضع الحسن والقبح في الشعر جعلته يحب سماع الشعر ويفاضل بين الشعراء وقد ارتكزت هذه النزعة إلى واقع حياته الدينية القوية المتشعبة بروح الإسلام والمتأثرة بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو يصدر عن نزعة الأدبية في أحكامه النقدية وحديثه عن الشعر موزونة بميزان الدين والحق يفضل منه ما التزم القيم الإسلامية البعيدة عن المفاهيم الجاهلية ويقبل منه ما كان في إطار الحق والصدق ولا يصادم مكارم الأخلاق، وهذا هو مقياس الإسلام تبعه عمر ولم يحد عنه.

-----

(١) عمر الطيب العباسي - الآثار النقدية والأدبية لعمر بن الخطاب رسالة ماجستير كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى تاريخها ١٤٠٢ ص ٣٤١

وهذا النقد المعلل عند عمر رضي الله عنه له نظير في موقف نقدي لعلي بن أبي طالب الذي فضل أبا محجن الثقفي على سائر الشعراء لصفات تميز شعره هي أنه "أحسن الوصف وأحكم الرصف وقال الحق" (١) وهذه الصفات في شعر أبي محجن التي فضلها علي لا تبعد عن الصفات التي فضلها عمر في شعر زهير، فأحسان الوصف وهو أن يوصف الشيء بما فيه، والبراعة في ضم الجمل إلى بعضها مع ارتباط ذلك بالحق، هي نفسها مدح الرجل بما فيه وعدم المعاظلة التي عند زهير وقد أكد عمر بن الخطاب على أن نقده يستند إلى الصفات أو المقاييس الشعرية التي ينبغي أن تتحقق في الشعر وليس الشعراء لأنه وافق علياً على تفضيل أبي محجن لوجود هذه الصفات في شعره ثم أنهما اتفقا على أن هذه الصفات من أهم مقاييس جودة الشعر، وأن منها معيار الصدق .

وهكذا أصبح مفهوم الصدق في نقد هذا العصر وشعره من أساسيات الإسلام التي جاء لتحقيقها في شتى المجالات، ولا يعفى من ذلك الشعر فهو ضرب من ضروب القول الذي لا بد أن يصدر عن فعل واعتقاد دون إخلال بأي منهما أو صدور عن جانب دون آخر.

---

(١) انظر ص ٧٣ من هذا الفصل .



وقد سمي القرآن الكريم من يقول غير ما يعتقد أو يظهر

خلاف ما يبطن منافقا ووصفه بالكذب في قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ  
الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ  
يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١) ، فلا بد أن يعبر الظاهر عن  
الباطن بصدق وأمانة " ولأن الفعل بجناحيه الجسماني والفكري  
هو المعول عليه في الاسلام كان الأديب المسلم مطالباً بالصدق في  
كلا الجناحين " (٢)

ومن هنا يتبين نوع الصدق المطلوب من الشعراء وهو الصدق  
الذي في إطار الحق إذ الحق غاية والصدق وسيلة من وسائل تحقيقها  
وهو الصدق بمعناه العام الذي لا يتجزأ ولا يتباين في مختلف الأحوال  
النفسية والخلقية والفنية ، هو الصدق مع النفس ، ومع الواقع الخارجي

(١) سورة المنافقون آية ١٠

(٢) د/ أحمد بسام ساعي - الواقعية الاسلامية في الأدب والنقد ،

يقدر الامكان تبعا لواقعية الاسلام وموضوعيته المحببة " لان الفن قائم على أساس هذا الواقع ومستمد منه ". (١)

والشعر من أشد الفنون ارتباطا بالواقع خاصة في صدر الاسلام الذي تختلف واقعيته عن الواقعيات المادية البحتة اختلافا جوهريا لمرونة الواقعية الاسلامية وقيامها على السداد والمقاربة ، وجمعها بين الروح والمادة ، والعقل والخيال وصولا الى الحقيقة بكل معانيها ، قال الدكتور أحمد بسام ساعي " الواقع المسلم ينظر الى الكون بعينين اثنتين ، فيرى فيه الجانب المادي مثلما يستشعر فيه الجانب الروحي ، ثم لا يفصل بين الجانبين ، بل يتوحدان في داخله عند محرق واحد . . ان الواقع الاسلامي يرتفع هنا الى درجة الحقيقة ". (٢)

ويبدو مما تقدم أن تلك التسميات والتجزئات للصدق التي عرفت فيما بعد كانت غير معروفة في صدر الاسلام بعلامتها التي تحددت أخيرا وإنما كان يجمعها الصدق بمعناه العام ، فالصدق الخلقي كان من أولويات البعثة النبوية فقد بعث صلى الله عليه وسلم متما لمكارم الأُخلاق ، والشعر من وسائل غرس الأُخلاق الحسنة لماله من القبول

-----

(١) نبيل رشاد الدين نوفل - قضية الصدق والكذب بين النقاد القدماء والمحدثين - رسالة ماجستير من كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٥ م ص ٤٧ .

(٢) د / أحمد بسام الساعي ، الواقعية الاسلامية في الأدب والنقد ص ١٢٤ .

والانتشار ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري : " مر من قبلك بتعلم الشعر ، فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب " . (١)

والصدق التاريخي بالمرونة التي تسمح للشاعر إعادة ترتيب أحداث الخبر التاريخي أو اختصاره أو تشكيكه تشكيلا جديدا يتلاءم مع رؤيته الجديدة ، لتحقيق مزيد من الفنية والتأثير ، لا يتعارض مع الإسلام الذي يطلب السداد والمقاربة ، علو أن لا يخل هذا التصرف بواقعية الأحداث أو الانحراف بها إلى غير حقائقها .

وبهذا يكون النقد في عصر صدر الإسلام قد وضع اللبنة الأولى لمقياس الصدق في الشعر وخاصة المدح والهجاء لأنهما من أكثر الأغراض الشعرية تعرضا للمغالاة والتزويد ، فالمسلم الذي أخذ ذوقه يمجج الهجاء المقذع والفزل الفاحش والتفاخر بالأحساب والأنساب وغيرها من العادات الجاهلية ، أضغى لا يطيق سماع الغلو والكذب والمبالغة المفرطة .

-----  
(١) ابن رشيقي - العمدة ١/٢٨٠ .

## الفصل الثالث

المثالية الفنية بعد عصر صدر الإسلام

### الفصل الثالث

#### المثالية الفنية بعد عصر صدر الاسلام

ما ان انتهى عهد النبوة والخلافة الراشدة حتى بدأ بعض التراخي والتساهل في أمور عديدة ومنها الشعر الذي انتهج أسلوب المغالاة في المدح والاقذاع في الهجاء والفحش في الغزل عند كثير من الشعراء على خلاف ما كان في عهد النبوة والخلافة الراشدة . وكانت الأسواق الشعرية التي يفلب عليها الهجاء ومجالس الخلفاء التي يفلب عليها المدح هي السوق الرائجة للشعر والشعراء .

وأصبح الناس يسمعون من هجاء الفرزدق والأخطل وجريمالو كان في عهد النبوة أو الخلافة الراشدة لعوقبوا عليه عقابا شديدا .

وقد أصبح هذا الموقف المتساهل في الشعر  
واضحا في أغراض الغزل والهجاء والمدح فيما بعد عند عمر بن أبي ربيعة وأبي دلامة وشاربن برد وأبي نواس والمتنبي وغيرهم من الشعراء ، وذلك لم تستثمر فرصة الاستمداد من رصيد الاسلام والقرآن عند كثير من الشعراء والنقاد فقد "عادوا الى الجاهلية كاملة في مجال التعبير ، أغراضه وطرائقه . . . وعادت مقاييسهم الفنية هي ذاتها مقاييس الجاهلية بحذافيرها" (١) .

وفي ظل هذين المقياسين القياس الاسلامي المطبوع ، والمقياس الفني الصرف سنتتبع في هذا الفصل عنصر الصدق ، وسنبدا بالصدق في مفهومه الاسلامي باعتباره امتداداً لمنهج صدر الاسلام .

(١) محمد قطب . منهج الفن الاسلامي ص ٩ .

فقد ذكرنا في الفصل السابق أن الصدق في المفهوم الاسلامي هو الصدق بمعناه العام وهو الذي يسير فيه الجانب الفني والجانب الواقعي في خطين متوازيين لا غنى له عن أي منهما إذ " لا شك أن في الفصل بين العمل الفني والصدق - صدق الواقع والصدق الفني مساسا خطيرا بأسس الفن الجوهرية ، إذ لا يستطيع فنان أداء رسالته إلا بالتزام الصدق الواقعي على حسب ما يراه هو أو يفكر فيه كما يعتقد ، أو ما يشعر به ، ثم بالتزام الصدق الفني بالتعبير عن حقيقة أصيلة يرجع في تصويرها إلى ذات نفسه " . ( ١ )

وقد استمر هذا المفهوم للصدق في العصر الأموي والعباسي عند الزهاد والشعراء العذريين والعلماء وشعراء ونقاد الفرق وعند بعض الخلفاء الذين ظل تأثير الاسلام فيهم عميقا كعمر بن عبدالعزيز ، ولكن هذا المفهوم بقي منحسرا في دائرة ضيقة نسبيا اذا ما قيس بمبالغات المداحين والهجائين من ذلك حكم معاوية على شعر عبد الرحمن بن حسان في ابنته رملة إذ " قال يزيد لابيه : إن عبد الرحمن بن حسان يشيب بابتك رملة . قال : وما يقول فيها ؟ قال : يقول :

هِيَ بَيْضَاءُ مِثْلُ لَوْءِ لَوْءِ الْغَوَا

صِ صِيْفَتْ مِنْ لَوْءِ لَوْءِ مَكْنُوسِ

قال : صدق . قال ، ويقول :

---

( ١ ) د / محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث ( بيروت ١٩٧٣ م )

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا

فِي ثَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونَ

قال : صدق أيضا قال : ويقول :

تَجْعَلُ الْمِسْكَ وَالْيَنْجُو

جَـ صِلَاءً لَهَا عَلَى الْكَانُونِ

قال : وصدق ، قال : فَإِنَّهُ يَقُولُ :

ثُمَّ خَاصَرْتَهَا إِلَى الْقَبِيَّةِ الـ

خَضْرَاءِ تَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

قال : كذب ، قال ويقول :

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرْبِ بُوْهَاءِ

عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ

قال : ما في هذا شيء . ( ١ )

وما أشبه نقد معاوية وحكمه على هذا الشعر وتقديره للصدق والكذب بروية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذا الجانب في حكمه على شعر زهير فهو يصدق ما كان من صفات ابنته حسيقة ويكذب ما لم يكن حصل بالفعل . هذه هي نظرة الصحابي المتأثر بالاسلام عقيدة وسلوكا ، ولكن الشاعر في هجائه وكذبه في أحد الأبيات يستحق العقاب غير

( ١ ) ابن عبد ربه - العقد الفريد ( بيروت ١٣٥٩ - ١٩٤٠ ) ١٤٨ / ٦

أن معاوية تخلق عن ذلك ربما خوفا من انتشار السمعة التي لا يحبذها،  
ويستند هذا الحكم على صدق الشاعر أو كذبه إلى الواقع -

وقد رويت لعبد الملك بعض المواقف التي أخذ فيها على الشعراء  
تناقضهم وكذبهم فقد وفد عليه الشاعر الجحاف بن حكيم فاستشده بعض  
شعر فأنشده الجحاف قوله :

صَبْرْتُ سَلِيمٌ لِلطَّعَانِ وَعَايِرٌ

وَإِذَا جَزَعْنَا لِمِ نَجْدٍ مِنْ يَصْبِيرُ

فقال له عبد الملك : كذبت ! وما أكثر من يصبر ! ثم أنشده :

نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا عَلَوْا لَمْ يَفْخَرُوا

يَوْمَ اللَّسَاءِ وَإِذَا عَلُوا لَمْ يَضْجَرُوا

فقال عبد الملك : صدقت + حدثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكم  
كنتم كما وصفت يوم فتح مكة . (١)

وهذا التصديق والتكذيب من عبد الملك يستند أيضا إلى الواقع  
الذي يعبر عنه شعر الشاعر .

" ولما وضع رأس مصعب بن يدي عبد الملك قال :

لَقَدْ أَرَدَى الْفَوَارِسَ يَوْمَ عَبَسِي

غُلَامٌ غَيْرٌ مِّنَّا عِ مَتَاعِ

(١) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني ١٢ / ٢٠٤ .



وَلَا قَحٌّ بِخَيْرٍ إِنْ أَتَاهُ  
وَلَا هَلِيعٌ مِّنَ الْحَدَثَانِ لَاعٍ  
وَلَا رَقَابَةٌ وَالْخَيْلُ تَعْدُو  
وَلَا خَالٌ كَأَنْبُوبِ الْيَرَاعِ

فقال الرجل الذي جاء برأسه : والله يا أمير المؤمنين لورأيتك والريح  
في يده تارة والسيف تارة يفرى بهذا ويطنع بهذا لرأيت رجلا يملأ  
القلب والعين شجاعة ، ولكنه لما تفرقت عنه رجاله وكثر من قصده وبقي  
وحده ما زال ينشد :

وَإِنِّي عَلَى الْمَكْرُوهِ عِنْدَ حَضُورِهِ  
أَكْذَبُ نَفْسِي وَالْجَفُونَ فَلَمْ تَغْضِ  
وَمَا ذَاكَ مِنْ ذُلٍّ وَلَكِنْ حَفِيزَةٌ  
أَذْبُ بِهَا عِنْدَ الْمَكَارِهِ عَنْ عَرْضِي  
وَإِنِّي لِأَهْلِ الشَّرْبِ بِالشَّرِّ مَرَصِدٌ  
وَإِنِّي لِيَذِي سَلْمٍ أَدَلُّ مِنَ الْأَرْضِ  
فقال عبد الملك : كان والله كما وصف نفسه وصدق \* (١)

قال الدكتور عبد العزيز عتيق معلقاً على هذه المواقف التي  
يطلب فيها عبد الملك الصدق من الشعراء \* وفي هذا دلالة على أنه  
كان يرى أن الصدق عنصر من عناصر الشعر الجيد ، وما يحسب لصاحبه في

(١) ابن الأثير . - الكامل في التاريخ - تحقيق : نخبة من

العلماء ( بيروت ١٣٨٧ هـ ) ج ٤ هامش صفحة ١٣٠

ميزان النقد \* (١)

ومن أكد النظرة الاسلامية للشعر وحض على الصدق فيه ،  
الخليفة الاموي العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي حاول  
جاهدا أن يرد الشعر إسلامي الروح إسلامي المثل ، وأن يزنه بميزان  
الرسول والخلفاء الراشدين القائل بأن أحسن الشعر ما وافق الحق  
وما لم يوافق الحق فلا خير فيه \* (٢)

وقد وقف من المبالغات والتزلف والمدح الكاذب موقفا متشددا ،  
ولكنه موقف لا بد منه لأن بعض سابقيه من الخلفاء قد أفسدوا روح  
الشعر لتطلبهم المبالغة في المدح مما جعل الشعراء يركبون الكذب  
طلبا للمال وإرضاء للخليفة \* دخل عليه خالد بن عبد الله القسري لما ولي  
الخلافة فقال : من تكون الخلافة قد زانته فأنت زينتها ، ومن تكون  
شرفته فأنت شرفتها ، وأنت كما قال الشاعر :

وَإِذَا الدُّرُزَانَ حُسِّنَ وَجُوهُ  
كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زِينَا

فقال عمر بن عبد العزيز : أُعْطِيَ صَاحِبُكُمْ مَقُولًا وَلَمْ يُعْطَ مَعْقُولًا \* (٣)

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٢٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٣ .

(٣) ابن عبد ربه - العقد الفريد ١٠ / ٢ .

وقد منع الشعراء من دخول بابه عندما تولى الخلافة للصورة القاتمة التي اصطبغ بها الشعر وأخيراً سمح لجرير لأنه أقلهم كذباً وفجوراً وتعهداً في شعره فلما مثل بين يديه قال : " اتقى الله يا جرير ولا تقل إلا حقاً " (١) ثم سمح له بالانشاد . وكان جرير يسأل عن عيوب الرجل قبل أن يهجوّه خوفاً من الكذب فعندما طلب منه جماعة أن يهجو العباس بن يزيد الكندي سألهم عن عيوبه بقوله ( أخبروني بما سويته إن كنتم صادقين ) فلما أخبروه بما سويته وما حل به في جبل شعبي هجاه بقصيدة منها :

أَعْبَدًا حَلَّ فِي شُعْبَى غَرِيبًا  
أَلَوْ مَا لَأَبَا لَكَ وَأَعْتَرَابَا (٢)

ولعل هذا الصدق في شعر جرير من أسباب قبوله عند الخليفة رغم أن الهجاء في حد ذاته لا يقره الاسلام . وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يرى في جرير مثالاً للشاعر المسلم ولذلك فضله على الأخطل الكافر عن العتبي عن أبيه أن سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز : أجري أشعر أم الأخطل ؟ فقال له : أعفني ، قال : " لا والله لا أعفك قال : إن الأخطل ضيق عليه كفره القول ، وإن جريراً وسع عليه إسلامه قوله " . (٣)

- 
- (١) ابن عبد ربه - العقيد الفريد ٢٨٦/١ .  
(٢) انظر محمد بن سلام - طبقات فحول الشعراء ٤٤٥-٤٤٧ ،  
وشعبي : موضع في بلاد بني فزارة . انظر : ياقوت الحموي  
معجم البلدان ( بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ) ٣ / ٢٤٦ .  
(٣) أبو الفرج الأصفهاني ٣٠٦/٨ .

وقد قدم كثير في جماعة من الشعراء ومكث أربعة أشهر لا يصل إليه وكان ضيفاً على مسلمة بن عبد الملك وأخيراً ذهب إلى المسجد فسمع عمر يخطب الناس يوم الجمعة ويبيح وهم يبكون فنظم قصيدة صادقة ليس فيها شيء من فضول الكلام قال كثير ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم الجمعة بعدما أذن للامة ، فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فرد علينا . فقلت له : يا أمير المؤمنين ، طال الشوا ، وقلت الغائدة وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب . فقال : يا كثير أما سمعت إلى قول الله عز وجل في كتابه ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ قَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) ، أفمن هو لاء أنت ؟ فقلت له وأنا ضاحك : أنا ابن سبيل ومنقطع به . قال : أولست ضيف أبي سعيد ؟ قلت : بلى . قال : ما أحسب من كان ضيف أبي سعيد ابن سبيل ولا منقطعاً به . ثم استأذنته في الانشاد ، فقال : قل ولا تقل إلا حقاً ، فان الله سائلك ، فقلت :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلَيَّا وَلَمْ تُخِيفْ

بَرِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ

وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي

فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِيًّا كُلُّ مَسْلِمِ

(١) سورة التوبة آية ٦٠ .

... فقال لي : يا كَثِيرٌ ، إن الله سائلك عن كل ما قلت " (١)

هذا هو المقياس الاسلامي أن يصدق الشاعر مع الله ومع نفسه  
والناس فلا يقول إلا حقا فإذا علم أن الله سائله انتفى عنه الكذب  
وقول الباطل. وكان هشام بن عبد الطك من خلفاء بني أمية الأتقياء ،  
" وكان في أعماقه متدينا متمسكا بالمثل الاسلامية ، فإذا ازدهاه السلطان  
مرة فظن أنه فوق الناس ، ثم ذكره مذكرباً أن سلوكه هذا مجاف للقرآن  
عاد إلى الحق فأطاع وأتاب " (٢) وكان يحب الصدق مع الله وفي حياته  
كثيراً وقع مرة على قصة متظلم بقوله : " أتاك الغوث إن كنت صادقا  
وحل بك النكال إن كنت كاذبا . فتقدم أو تأخر " (٣)

وقد انعكست هذه الروح الاسلامية الواعية على أحكامه على  
الشعراء في مجالسه معهم إذ كان يطلب منهم الالتزام والصدق وعدم  
التناقض بين القول والواقع . وقد عليه عروة بن أذينة في جماعة من  
الشعراء فلما عرفه هشام قال له : " أنت القائل :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا إِسْرَافٌ مِنْ خَلْقِي  
أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي  
أَسْعَى لَهُ فَيُعِينَنِي تَطَلُّبُهُ  
وَلَوْ جَلَسْتُ أَتَانِي لَا يُعِينَنِي

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٢٥٧/٩ وقد أورد ١٩ بيتاً من

القصيد ولكننا اقتصرنا على البيتين الأولين .

(٢) د/عبد العزيز عتيق - تاريخ النقد الأدبي ص ٢٣٠ ربما استناداً

إلى قصة تعبر عن هذا المعنى في العقد الفريد ٥ / ١٨١ .

(٣) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٤ / ٢٦٠ .

... فقال له ابن أذينة : نعم أنا قائلها ، قال : أفلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك ! وغفل عنه هشام ، فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفا ، ثم افتقده هشام فعرف خبره ، فأتبعه بجائزة وقال للرسول : قل له : أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك . فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ما يتغدى عليه ، فأبلغه رسالته ودفعت إليه الجائزة . ( ١ )

وهكذا كان الحفاظ على الصدق عند الشاعر والناقد فهشام ظن أن الشاعر قد ناقض بين قوله وفعله بمجيئه لطلب النوال من الخليفة بينما أصر الشاعر على أنه لم يناقض بين القول والفعل حيث لم ينتظر نوال الخليفة ، فأقرله الخليفة بصدقه وشجعه عليه بارسال من يوصل إليه النوال .

هذا هو الصدق في مفهومه الاسلامي ظل يدور في مجالس بعض الخلفاء ، وكان هذا المفهوم الاسلامي للصدق أكثر شيوعا عند أصحاب المذاهب والفرق التي بدأ ظهورها مع بداية الدولة الأموية ، وقد استخدموه في شعرهم ونقدهم ومناظراتهم الكلامية لخدمة مذاهبهم والترويج لها وكان شعرهم يبتعد عن الغزل والهجاء إلا ما ندر ويقوم على الحجاج والجدل ، وكان في مقدمة هذه الفرق الخوارج الذين التزموا في شعرهم بمنهج الاسلام ولكن حسب رؤيتهم الخاصة ، قال الدكتور عبد العزيز عتيق فيهم : إن معانيهم في شعرهم

( ١ ) أبو الفرج الأصفهاني - الأغانى - ١٨ / ٣٢٤ .

" كلها معان إسلامية مستوحاة من القرآن الكريم... وكذلك كانت  
نزعتهم في النقد مخالفة لما كان يجري عليه نقد الشعر الآخرفي عصرهم.  
فمقياسهم في النقد كان مستمداً من مقياس الرسول القائم على أساس  
أن أحسن الشعر ما وافق الحق وما لم يوافقه فلا خير فيه " (١) ولذلك  
التزموا الصدق في الشعر ورفضوا المدح لأنه يقوم على الكذب  
والبالغات وتعظيم المدوح . والله أحق بالتعظيم فقد " مر عمران  
ابن حِطَّان على الغرزِ دق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليهم ثم قال :

أَيُّهَا الْمَارِحُ الْعِبَّانَ لِيُعْطَا

إِنَّ لِلَّهِ مَا بِيَدَي الْعِبَّانِ

فاطلب الله ما سألت إليهم

وارج فضل المقسم العواري

لَا تَقْلُ فِي الْجَوَارِ مَا لَيْسَ فِيهِ

وَتُسَمِّ الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَارِ " (٢)

وكانوا ينطلقون في شعرهم ونقدهم من عاطفة دينية قوية ويرون أنهم خير  
من يمثل الايمان في الشعرأما غيرهم من المداحين الكاذبين فهم شعراء

-----

(١) تاريخ النقد الأبي عند العرب ص ١٨٨ .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني - الأغانى ١١٩/١٨ ، وقد رويت هذه القصة

والأبيات للسيد الحميرى مع بشار بن برد . انظر الأغانى

الكافرين فقد كان عاصم بن الحدثان رأس الخوارج بالبصرة عالما ذكيا وقد مر به الفرزدق الشاعر " فقال لابنه أنشد أبا فراس فأنشده :

وَهُمْ إِذَا كَسَرُوا الْجُفُونَ أَكَارِم  
صَبْرٌ وَحِينَ تَحَلَّلَ الْأَزْرَارُ  
يَفْشُونَ حَوَامِثَ النَّوْنِ وَإِنَّهَا  
فِي اللَّهِ عِنْدَ نَفْسِهِمْ لَصِفَارُ  
يَمْشُونَ بِالْخَطِيِّ لَا يَشْنِيهِمْ  
وَالْقَوْمُ إِنْ رَكِبُوا الرَّمَاحَ تَجَارُ

فقال الفرزدق : ويحك. اكنم هذا لا يسمعه النساجون فيخرجون علينا يحفونهم . فقال أبوه : هـ — وشاعر الموءنين ، وأنت شاعر الكافرين . ( ١ )

وهذا النص يبين نظرة الخوارج لشعر المدح وما فيه من كذب وتلق وأنه يصل عندهم إلى حد يقترب من الكفر .  
ومعظم الفرق كانت تتخذ مقاييس مقاربة لما سار عليه الخوارج ، ولكن اقتصر الحديث على الخوارج لدورهم الظاهر في الأدب والنقد .  
ولم يكن أدباء الفرق وحدهم الذين تمسكوا بالصدق حسب مفهومه الاسلامي الذي يدعو إلى الحق ، ويجتنب المدح الكاذب ، والتزلف للعباد فقد ظل هذا المفهوم للصدق في عصر بيتي أمية وفي العصور التالية

( ١ ) ابن عبد ربه - العقد الفريد ١ / ٧٦ .

والحفوف : جمع حف وهو المنسج - انظر لسان العرب ،  
مادة " حفف " .



له عند أوساط كبيرة من النقاد والرواة والشعراء والخلفاء ، أما لأنه مفهوم الاسلام ولذلك يجب الاحتفاظ به ، وأما لأنه هو المقياس الأمثل الذي يكسب الشعر الجودة والحسن والقبول ، والذي يجب أن يسير عليه الشعر والنقد لبعده عن المبالغات والاستحالات والكذب لأن رسالة الشعر سامية وهو ديوان العرب . روى عبد الرحمن عن عمه الأُصمعي :  
أن رجلا أنشده قول مالك بن أسماء الغزاري :

وَإِذَا الدُّرُّزَانُ حُسْنَ وَجُوهٍ  
كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا  
وتزديدن طيبَ الطَّيِّبِ طَيْبًا  
إِنْ تَسَّيْهِ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيَّنَا

والرجل يظهر إعجابه بهما ، فقال له الأُصمعي : لا تعجب بهما فما يساويان لقعة ببعرة وأجود الشعر ما صدق فيه وانتظم المعنى كقول امرئ القيس :

أَلَمْ تَرِيَانِي كَلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا  
وَجَسَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبْ (١)

فالأُصمعي يطلب الصدق والقرب من الواقع ويمقت المبالغة لأنها تهبط بقيمة الشعر في نظره وقد " أنشد الأُصمعي قول امرئ القيس :

---

(١) انظر المرزباني - الموشح ص ٣٤٤ .

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ

مُخْرِجٍ زَنْدِيٍّ مِنْ سُوْتَرِهِ (١)

فقال : أما علم أن الصائد أشد ختلا من أن يظهر شيئا منه ! ثم قال :  
فكفيه إن كان لا بد أصلح . (٢)

على أن هذا المعيار ظهر واضحا عند ابن طباطبا الذي تناوله في شيء من الموضوعية وإن لم يوضح أنه هو المعيار الاسلامي إلا بتلميح يسير وكأنه قصد بذلك أن هذا المعيار هو الذي يجب أن يسير عليه الشعر سواء كان الشاعر مسلما أو غير مسلم لأن العقل والفهم الصحيح لا يقبل من الشعر إلا الصادق الحق ولذلك تراه يثني على الشعر الجاهلي لأنه كان لا يفترق عن شعر صدر الاسلام من حيث الصدق والواقعية التي يقبلها العقل والفهم الثاقب لأن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء وفي صدر الاسلام ، من الشعراء كانوا يوسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحا وهجاء وإفتخارا ووصفا وترغيبا وترهيبا ، إلا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر : من الاغراق في الوصف والافراط في التشبيه . وكان مجرى ما يوردونه مجرى القصص الحق ، والمخاطبات بالصدق ، فيحاربون

(١) ثعل : قبيلة من طي ينسب الرمي اليهم . انظر ديوان امرئ

القيس ص ١٢٣ وفيه ( متلج كفيه من قتره ) .

(٢) المظفر بن الفضل العلوي - نصره الاعرقي في نصره القريش ،

تحقيق د / نهى عارف دمشق ١٣٩٦ هـ ص ٢٢٨ .

بما يثابون ويثابون بما يحابون " (١) ويبدو من هذا أنه قد تنبه إلى أن المطابقة التامة لا تتحقق في الشعر وهذا منتهى الدقة في عبارته عندما قال " كانوا يوءسون أشعارهم على القصد للصدق " أي محاولة الصدق أو المقاربة أو ما يسميه العدل أو الاعتدال في قوله : " والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق والجائز المعروف المألوف " (٢) وفي قوله : " وعلة كل حسن مقبول الاعتدال " (٣) وقوله في التشبيه " فما كان من التشبيه صادقا قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا ، وما قارب الصدق قلت فيه تراه أو تخاله أو يكاد " (٤) ، وقوله : " ويستعمل من المجاز ما يقارب الحقيقة ولا يبعد عنها " (٥) . وهذا الصدق الذي أراد ابن طباطبا هو الصدق الموافق للحق والعدل وهو مقياس صدر الاسلام وهو مقاربة الواقع ، والصدق مع النفس أو الصدق الفني " فاذا وافقت هذه المعاني هذه الحالات ، تضاعف حسن موقعها عند مستمعها ، لا سيما إذا أيدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلفة فيها ، والتصريح بما كان يكتُم منها ، والاعتراف بالحق في جميعها " (٦) ويستشهد في بعض المواضع بما جاء في الاثر " ما خرج من القلب وقع في القلب وما خرج من اللسان لم يتعد الاذان " (٧) ولم ينس ابن طباطبا الجانب الأخلاقي للصدق

- 
- (١) عيار الشعر ص ٤٧ .  
(٢) المصدر السابق ص ٥٢ .  
(٣) المصدر السابق ص ٥٣ .  
(٤) المصدر السابق ص ٦٢ .  
(٥) المصدر السابق ص ١٥٨ .  
(٦) المصدر السابق ص ٥٥ .  
(٧) المصدر السابق ص ٥٣ .

وهونقل الحقيقة الأخلاقية من غير تزييف كنسبة الجبن إلى الشجاع  
أونسبة الجود إلى البخيل ويتضح هذا في المدح والهجاء . وكذلك  
الصدق التاريخي فـ " على الشاعر إذا اضطر إلى اقتصاص خبر في شعره  
دبره تدبيراً يسلس له معه القول ، ويطرده فيه المعنى ، فبنى شعره  
على وزن يحتمل أن يحشأ بما يحتاج إلى اقتصاصه بزيادة من الكلام  
يخلط به ، أو نقص يحذف منه . وتكون الزيادة والنقصان يسيرين ، غير  
مخدجين لما يستعان فيه بهما ، وتكون الألفاظ المزيّدة غير خارجة من جنس  
ما يقتضيه بل تكون مؤيدة له ، وزائدة في رونقه وحسنه " . (١)

وهذا يكون قد قصد الصدق العام الذي تتدرج تحته هذه  
الأنواع كلها ولكنه الصدق المرن الذي يسمح بالخروج اليسير في  
المواضع التي تحتاج إلى ذلك كاختصاص الخبر التاريخي ، والواقع الخارجي ،  
وهذه نظرة معتدلة ، توافق المقياس الإسلامي الذي يجمع بين عنصري  
الصدق الضروريين صدق التجربة وصدق الواقع ، وقد أدرك ابن طباطبا  
أن التطبيق الحرفي للواقع ليس متحققاً فطلب المقاربة حتى يكون للعقل  
مجال . ولكن بعض النقاد (٢) المعاصرين رأى في طلب ابن طباطبا  
للحقيقة في الشعر واخضاعه لميزان العقل جوراً على الخيال والتشخيص .  
ويبدو أن هؤلاء النقاد قصدوا الخيال المنفلت الذي لا يعرف  
الحدود أما الخيال المتزن الذي يسمح لقوة العقل بملاحقته فلا يبدو أن  
ابن طباطبا قد قيده .

(١) عيار الشعر ص ٨٤ .

(٢) انظر احسان عباس - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ( بيروت -

١٣٩٨ هـ ) ص ٣٥ . ومحمد سعد فشان - الدين والأخلاق في

الشعر ( القاهرة ١٤٠٥ هـ ) ص ٧٨ .

بينما اعترض الدكتور جابر عصفور على ابن طباطبا لجمعه بين الصدق الداخلي والخارجي مطالباً الناقد أن ينظر للصورة " من زاوية صدقها في الكشف عن مكنون النفس لا من زاوية صدقها في نقل العالم الخارجي ". (١)

وقد تبين أن ابن طباطبا دعا إلى الصدق عن ذات النفس بقدر دعوته إلى التزام الحقيقة الواقعية .

وقد وافق كثير من النقاد ابن طباطبا على تفضيل الصدق أو مقاربة الحقيقة منهم الآمدي بل " إن الآمدي أربى عليه وكل عطسه حين اهتم بالاستعارة " (٢) ، وقد رفض ابن طباطبا والآمدي مقولة ( أعذب الشعر أكذبه ) فقال الآمدي معقبا على أبيات للبحتري : " وقد كان قوم من الرواة يقولون أجود الشعر أكذبه ، ولا والله ما أجوده إلا أصدقه " (٣) وقال في موضع آخر " وكل ما دنا من المعاني من الحقائق كان ألوط بالنفس وأحلى في السمع وأولى بالاستجادة " . (٤)

أما عبد القاهر الجرجاني فمن ضمن حرصه على الجانب المعرفي والأخلاقي للشعر فقد فضل الصدق ومال إليه عند مقارنته بين قولهم :

- 
- (١) مفهوم الشعر ( مصر ١٩٨٢ م ) ص ٨٥ .  
(٢) احسان عباس - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ١٤٥ .  
(٣) الموازنة - تحقيق أحمد صقر ( مصر ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ) ٢ / ٥٨ .  
(٤) المصدر السابق ١ / ١٥٧ .

( خير الشعر أصدقه ) و ( أعذب الشعر أكذبه ) فقال : " والعقل  
يعد على تفضيل القبيل الأول وتقديمه وتفخيم قدره وتعظيمه ، وما  
كان العقل ناصره والتحقيق شاهده فهو العزيز جانبه والمنيع مناكبه  
وقد قيل : الباطل مخصوم وإن قضي له ، والحق مفلج وإن قضي  
عليه " . (١)

ونفى أن تكون المعاني الصادقة جامدة لا تنمو ولا تزيد  
وإصفا ذلك القول بالبطلان فقال : " هذا ومن علم أن المعاني المعرّقة  
في الصدق ، المستخرجة من معدن الحق في حكم الجامد الذي لا ينمو  
والمحصور الذي لا يزيد ؟ وإن أردت أن تعرف بطلان هذه الدعوى  
فانظر إلى قول أبي فراس :

وَكُنَّا كَالشَّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ

مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا

ألست تراه عقليا عريقا في نسبه ، معترفا بقوة سببه ، وهو على ذلك من  
فرائد أبي فراس " (٢) ثم بين المواضع التي يمكن أن يكون قصدها من  
قال ( خير الشعر أصدقه ) فقال : " وأما من قال . . . ( خير الشعر  
أصدقه ) كما قال :

وَإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ

بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

(١) أسرار البلاغة - تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي (القاهرة ٣٩٩ هـ)

٠١٤٦/٢

(٢) المصدر السابق ٠١٤٧/٢

فقد يجوز أن يراد به أن خير الشعر ما دلَّ على حكمة يقبلها العقل ، وأدب يجب به الفضل ، وموعظة تروض جماح الهوى ، وتبعث على التقوى وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال ، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال ، وقد ينحى بها نحو الصدق في مدح الرجال ، كما قيل . كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه . . فمن قال ( خيرره أصدقه ) ، كان ترك الإغراق والمبالغة والتجوز إلى التحقيق والتصحيح واعتماد ما يجري من العقل على أصل صحيح ، أحب إليه وآثر عنده ، إن كان شره أحلى وأثره أبقى وفائدته أظهر وحاصله أكثر . ( ١ )

وفسر الجرجاني معنى الكذب في قول البحتري :

كَلَفْتُمُونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ

في الشعرِ يُفْنِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهُ

فقال : " أراد كلفتمونا أن تجري مقاييس الشعر على حدود المنطق ، وتأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقق حتى لا ندعي إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به ويلجئ إلى موجهه ، مع أن الشعر يكفي فيه التخيل والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل ولا شك أنه إلى هذا النحو قصد وإياه عمد ، إذ يبعد أن يريد بالكذب إعطاء المدوح حظاً من الفضل والسوء رد ليس له ويبلغه بالصفة حظاً من التعظيم ليس هو أهله ، وأن يجاوز به من الإكثار محله لأن هذا الكذب لا يبين

( ١ ) أسرار البلاغة ٢ / ١٤٦ .

بالحجج المنطقية . . . وكذلك قول من قال خسير الشعر أكذبه فهذا مراده لأن الشعر لا يكتسب من حيث هو شعر فضلا ونقصا وانحطاطا وارتفاعا بأن ينحل الوضع من الرفعة ما هو منه عار، أو يصف الشريف بنقص وعار". (١)

فالكذب عند الجرجاني ليس بمعناه العام وإنما ما يتوصل إليه من المعاني " بطريقتين : بالاحتجاج أو التعليل القائمين على التخيل". (٢) ومعنى التخيل عند عبد القاهر : " ما يثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً ويدعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها ويقول قولاً يخدم فيه نفسه ويربها ما لا ترى". (٣) وذلك ضرب من التزويق لا ينصره العقل لأن العقل يوشى ما يمكن تلقيه باليقين قال الدكتور إحسان عباس : " وقد جعلنا الجرجاني نعتقد أن عقلانيته تقدر هذا النوع العقلاني الخالص تقديراً خاصاً . . . ولكنه لم يطرح ما قام على التخيل لأنه أدل على القدرة الفنية، وإنما اختار من التخيل النوع الشبيه بالحقيقة وهو الذى تبلغ فيه قوة التعليل درجة عالية، أى يسمح لقوة الاستدلال العقلي أن تستكشف درجة التمويه فيه". (٤)، ولكن عبد القاهر عندما قدم

(١) أسرار البلاغة ٢ / ١٤٤

(٢) إحسان عباس - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٤٣٦

(٣) أسرار البلاغة ٢ / ١٤٨

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٤٣٦



الصدق انما قدمه لأنه هو الحق والحق هو الذي يقبله العقل والمنطق وذلك يلتقي بمقياس الاسلام الذي يطلب الصدق في الشعر ومقاربة الحقيقة .

واذا كان من جديد في مفهوم الصدق بعد صدر الاسلام فهو الاقتصار على جانب من جوانبه وهو صدق الشاعر مع نفسه أو أصالة تعبيره عما يحس به دون اهتمام بقرب من الواقع أو بعد عنه . وهذا جانب مهم من جوانب الصدق لا غنى للشعر عنه ، ولكن اغفال جانب الواقع أو القرب من الحقيقة يجعل الشاعر يقول ما يقول من المحال ويخالف المسلمات ويكذب على التاريخ والواقع زاعما الصدق مع نفسه ، لانعدام الشاهد الواقعي المحسوس على الصدق مع النفس ، ويظهر هذا واضحا في نقد ابن أبي عتيق لعمر بن أبي ربيعة عندما حضر وهو " ينشد قوله :

وَمَنْ كَانَ مَحْزُونًا بِأَهْرَاقِ عَمْرٍو

وَهِيَ غَرَبِيهَا فَلَإِيَّتِنَا تُبَكِّهِ غَدَا

تُعِنُهُ عَلَى الْإِشْكَالِ إِنْ كَانَ شَاكِلًا

وَإِنْ كَانَ مَحْرُوبًا وَإِنْ كَانَ مُقْصِدًا

... فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالد الخريت وقال له :  
قم بنا إلى عمر ، فمضيا إليه فقال له ابن أبي عتيق : قد جئناك لموعدك .  
قال : وأي موعد بيننا ؟ قال : قولك ( فليأتنا نيكه غدا ) قد  
جئناك . والله لا نبرح أوتيكسي إن كنت صادقاً في قولك ، أو ننصرف

على أنك غير صادق ، ثم مضى وتركه " . (١)

وكان ابن أبي عتيق " بهذا النقد الذي صبه في قالب مــــن  
السخرية يريد أن يوجه عمر وغيره من الشعراء إلى أن الصدق الشعري  
عنصر من عناصر جماله وأن على الشاعر أن يكون أميناً مع نفسه وعواطفه  
فلا يعبر إلا عما يشعر به حقاً " (٢) وأنه لا يكون صادقاً نفسياً إلا إذا  
تحقق المعادل الخارجي لدعواه في شعره ، وهذا يبيّن مدى الارتباط  
بين الصدق الداخلي والخارجي وأنها يكادان يكونان وجهان لعملة  
واحدة .

فقد رأى ابن قتيبة أن عمرو بن معد يكرب " أحد من يصدق عن  
نفسه في شعره " . (٣)

ورأى ابن طباطبا أن " الصدق عن ذات النفس يكشف المعاني  
المختلجة فيها . والتصريح بما كان يكتُم منها ، والاعتراف بالحق نفسي  
جميعها " (٤) من عناصر جودة الشعر وأسباب مضاعفة موقعه عند  
المستمع ، وهو عنصر مهم من عناصر الصدق التي تكلم عنها ابن طباطبا .

(١) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني ١ - ١٥٢ .

غريبها : الغرب مسيل الدمع أو مقدم العين وموخرها ،

(٢) د / عبد العزيز عتيق - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ١٢٥ .

(٣) الشعر والشعراء ١ / ٣٧٣ .

(٤) عيار الشعر ص ٥٥ .

وهذا النوع من أنواع الصدق هو ما عرف بالصدق الغني في النقد الحديث غير أن هذه التسمية لا وجود لها في نقد القدماء ولكنها ترد في ثنايا انتقاداتهم باسم الصدق عن النفس كما في الشواهد السابقة، ولعل قلة الحديث في هذا العنصر هو الذي جعل الدكتور محمد غنيمي هلال يرى أنهم " لم يوصوا بشيء يعتد به فيما يتعلق بالصدق الغني، أي أصالة الكاتب في تعبيره ورجوعه فيه إلى ذات نفسه ". (١)

ويبدو أن القدماء عندما كانوا يتكلمون عن الصدق عن ذات النفس كانوا لا يفصلونه عن صدق الواقع بل على اعتباره عنصرا مكملا للصدق الواقعي، وهم محقون في ذلك لأن عدم استناده إلى الواقع الخارجي والحقيقة يجعله ضربا من الادعاء يدل على ذلك كذب بشار بن برد على الحقائق مدعيا الصدق مع نفسه ولكن عودة إلى الواقع تكشف زيف الادعاء. روى الأصفهاني عن بعض الكوفيين قوله: " مررت ببشار وهو متبطح في دهليزه كأنه جاموس فقلت له: يا أبا معاذ، من القائل:

فِي حَلَّتِي جِسْمٌ فَتَى نَاحِلِ

لَوَهَبَتِ الرِّيحُ بِهِ طَاحَا

قال: أنا، قلت: فما حملك على هذا الكذب؟ والله إنني لأرى أن لوبعت الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك ممن موضعك! فقال بشار: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة،

(١) النقد الأدبي الحديث ص ٢٢٢.

فقال : يا أهل الكوفة لا تدعون ثقلكم ومقتكم على كل حال " . (١)

بل إن بشاراً كان يعترف أحياناً بأنه يكذب على نفسه وعلى الحقيقة بغية أغراض شخصية ، فقد " مدح بشارالمهدي فلم يعطه شيئاً فقيل له : لم يستجد شعرك ، فقال : والله لقد قلت شعراً لوقيل في الدهر لم يخش صرفه على أحد ، ولكننا تكذَّب في القول فَكُذَّب في الأمل " (٢) وهذا الاعتراف بالكذب من بشار جاء نتيجة لعدم تحقق الأمل الذي كان يعلقه على مدحه للخليفة ، ولو أنه حصل على أمنيته من العطاء لما اعترف بكذبه ولا صر على أنه صادق مع نفسه وشعوره ومع واقعه أيضاً ، ولذلك تظهر الحاجة من قريب أو بعيد للواقع الخارجي لدعم الصدق مع النفس لأنه لا بد من " جانب خارجي يعين على تحليل الشعر ومعرفة مدى صدقه " (٣) وبدون هذا الجانب يبقى الصدق في الشعر ادعاء لا حقيقة له و " ذلك هو الرجوع إلى المحاكاة في الشعر ، أي إلى الحقيقة الفنية كما هي مصورة في شعر الشاعر من ناحية وكما هي معروفة في معناها في خارج نطاق العمل الشعري من ناحية ثانية " . (٤)

ويمكن أن يعد من هذا النوع من الصدق ما وجد في العصر العباسي وتأكد عند أبي نواس من اطراح المقدمة الظلية التي

(١) الأغانى ٣ / ٢١٤ .

(٢) المصدر السابق - الجزء نفسه ص ٢١٦ .

(٣) د / محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث ص ٣٨٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٨٦ .

تقيد بها الجاهليون وتبعهم بعض من جاء بعدهم محافظة على تقاليد  
القصييدة الجاهلية، فالذي عاش في العصر العباسي المتحضر ولم  
يعرف خيمة ولا طللا يكون غير صادق مع نفسه عندما يبكي الطلل الدائر  
وهو لا يعرفه إلا سماعا في المقدمات الشعرية الجاهلية قال أبو نواس في  
هذا المعنى: (١)

مَالِي بَدَارٍ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا شُغْلٌ  
وَلَا شَجَانِي لَهَا شَخْصٌ وَلَا طَلَلٌ  
وَلَا زُيُومٌ وَلَا أَبْكِي لَمَنْزِلَةٍ  
لِلْأَهْلِ عَنْهَا وَلِلْجِيرَانِ مُنْتَقِلٌ  
وَلَا قَطَعْتُ عَلَى حَرْفٍ مُذَكَّرَةٍ  
فِي مَرْقَبِيهَا إِذَا اسْتَعْرَضَتْهَا فَتَلُّ  
بِيدَاءِ مَغْفِرَةٍ يَوْمًا فَأَنْعَمْتَهَا  
وَلَا سَرَى بِي فَأَحْكِي بِهَا جَمَلٌ  
وَلَا شَتَوْتُ بِهَا عَامًا فَأَذْرَكْنِي  
فِيهَا الْمَصِيفُ فَلِي عَنْ ذَاكَ مَرْتَحِلٌ  
وَلَا شَدَدْتُ بِهَا مِنْ خَيْمَةِ طَنْبَا  
جَارِي بِهَا الضَّبُّ وَالْحِرْبَاءُ وَالْوَزَلُ  
فَهَاكَ مِنْ صِفَتِي إِنْ كُنْتُ مُخْتَبِرًا  
وَمُخْبِرًا نَفَرًا عَنِّي إِذَا سَأَلُوا

(١) ديوانه . تحقيق : محمود كامل فريد ( مصر - بدون تاريخ )

وهذه الحجج صادقة من أبي نواس فهو لا يعرف الصحراء ولا  
أطلالها ولا رسومها ولا رحلاتها ولا جملها ولا سكنى خيمتها ، لأن حياته  
في العصر العباسي تختلف عن تلك الحياة فلماذا يكذب على نفسه عندما  
يصف ما لا يعرف ويتحدث عما لا يشعر به " أليس من الخير إذن أن  
يتحرى الصدق ويلتزم الواقع ؟ " (١)

إن الصدق قيمة دينية وخلقية واجتماعية وأدبية لا غنى للفقير عنها  
فهل كان أبو نواس يحافظ على هذه القيمة تمسكا بالقيم والأخلاق وضرورتها  
للغنى ؟ أم أنه غير صادق في دعواه ؟

يبدو أن الاحتمال الثاني هو الأقرب ، وذلك لعدة أسباب ، منها :  
تناقض أبي نواس وابتدائه بالمطالع الطللية في بعض قصائده كما في  
قوله في مطلع قصيدة يمدح بها هارون الرشيد : (٢)

حَيِّ الدِّيَارِ إِذِ الزَّمَانُ زَمَانُ  
وَإِذِ الشَّبَاكُ لَنَا حَرِي وَمَعَانُ  
يَا حَبَّذَا سَفَوَانُ مِنْ مُتْرَبِيَعِ  
وَلَرُبَّمَا جَمَعَ الْهَوَى سَفَوَانُ  
وَإِذَا مَرَّرْتَ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّمًا  
فَلْيَغَيِّرِ دَارَ أُمَيْمَةَ الْهَجْرَانُ

(١) محمد عبد العزيز كفاوى - الشعر العربي بين الجمود والتطور ،

مصر ص ٧٧ .

(٢) ديوانه ص ٢٩١ .

ومعان : مدينة في طرف بادية الشام تلتقاء الحجاز من نواحي  
البلقاء ، وهي اليوم مدينة معروفة في جنوب الأردن ==

إن كيف يصف الأطلال وهي لا تشجيه ولا يعرفها في الأبيات السابقة، وكيف يكون صادقاً فنياً من يبكي على الأطلال ويذرف الدمع وهو ينكرها ويعاديها . ولا يشفع له ما يقال من أنه كان يبدأ بالأطلال مراعاة للمدوح الذي يحب البادية والتقاليد العربية كهارون الرشيد<sup>(١)</sup>، أو خوفاً من المدوح ومن سخطه فهو يجاهر بشعر الخمر والغلمان رغم أن ذلك لا يرضي الرشيد .

ومن تلك الأسباب خروجه على القيم الإسلامية والعربية فسي شعره وفي سيرته الذاتية فقد كان يشرب الخمر التي حرمها الإسلام ، ويروج لها في شعره ويدعو إلى الانحلال الخلقي ما يجعله غير صادق في دعواه وأن هدفه هدم القيم الإسلامية والعربية كما في قوله :<sup>(٢)</sup>

دَعِ الرَّسْمَ الَّذِي دَثَّرَا  
يُقَاسِي الرِّيحَ وَالمَطَرَا  
وَكَئْنَ رَجُلًا أَضَاعَ العِلْمَ  
مَ فِي اللِّذَاتِ وَالخَطَرَا

وقد ذكر في هذه القصيدة الرائية أبياتا تهكم فيها بالمرأة البدوية التي كان يكلف بها الشعراء لعفانها وأصالتها ، وفضل عليها الغزل

==== انظر ياقوت الحموي - معجم البلدان ( بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م )

٠١٥٣/٥

وسفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المرند بالبصرة وماء كثير الساقى وهو التراب . انظر ياقوت الحموي - معجم البلدان ٢٢٥/٣ .

(١) انظر د / محمد عبد العزيز كراوى - الشعر العربي بين الجمود

والتطور ص ٧٧ .

(٢) ديوانه ص ١٧٥ .

بالغلمان ، داعيا لذلك صراحة. (١)

ومنها دعوته إلى استبدال المطالع الخمرية بالمطالع الطللية  
ما يخرج من التزام إلى التزام آخر ، ومن مباح إلى محرم ، ثم إن دعوته  
إلى تعميم المقدمة الخمرية أمر يناقض الصدق لأن من المستحيل  
أن يكون جميع الشعراء يشربون الخمر أو يولعون بها ، بل هو في مجتمع  
مسلم يحرم الخمر ، فكيف يلتزم بوصفه في مطالعه ، وهذا في قول  
أبي نواس : (٢)

صِفَةُ الطُّلُولِ بِلَاغَةُ الْقِدْمِ

فَأَجْعَلْ صِفَاتِكَ لِابْنَةِ الْكُرْمِ

قال الدكتور محمد غنيمي هلال معلقا على دعوة أبي نواس هذه بقوله :  
" وقام أبو نواس كذلك بدعوته إلى الرجوع للطبع لا إلى التقليد ،  
وباستبدال وصف الخمر في مطلع القصائد بوصف الأطلال التي هي  
غريبة عن بيئة أبي نواس الجديدة . وكان يمكن أن يعد أبو نواس من  
كبار النقاد في دعوته هذه لولا أنه جارى فيها الأقدمين . باستبدال  
مطلع بمطلع آخر ، على حين لا ضرورة لكليهما ولا صلة له بالقصيدة  
من وجهة النظر الحديثة ، ولكنه على أية حال صادق في الدعوة إلى  
تصوير الشاعر لما يرى على حسب ما يشعر به ، لا على حسب ما سمع عنه". (٣)

(١) ديوانه - ص ١٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٣٩ .

(٣) النقد الأدبي الحديث ص ١٥٩ .



أما إذا تتبعنا مفهوم الصدق في ظل الصنعة الفنية فإن من أبرز الظواهر الشعرية التي تصادفنا أن الشعر في العصرين الأموي والعباسي بدأ يتخلى عن بعض أهدافه النفعية والخلقية التي كان يهتم بها قبل ذلك طلباً للمتعة الفنية غير المقيدة بدين أو خلق ، وبدأ بعض النقاد ينظر إلى الدين على أنه من معوقات الشعر ، وأن الدين والخير من أسباب ضعف الشعر في صدر الإسلام كما قال الأصمعي : " الشعر نكد يابيه الشر ، فإذا دخل في الخير ضعف ، هذا حسان بن ثابت ، فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره " . (١)

ومن ضمن الأهداف النفعية والخلقية التي أضحت تشكل عائقاً

دون جودة الشعر في تصور بعض الشعراء والنقاد عنصر الصدق ، ولذلك حاولوا اطراح الصدق شأنه في ذلك شأن كثير من القيم التي لم يكن اطراحهم لها ترداً على الدين والتقاليد " وإنما كان ذلك إيماناً منهم بأنه ليس من طبيعة الشعر الخوض في مثل هذه القضايا " ، فقد أخذ شعراء المديح يكيلون المدائح المليئة بالمبالغات الزائدة في فضائل المدوحين ، ويبرثونهم ما فيهم من معائب ويزيفون الحقائق طلباً للنوال والخطوة لديهم على حساب مهمة الشعر الأساسية وعلى حساب الصدق الذي لا غنى للفن عنه لأن " الصدق الفني والواقعي دعامة الخلق وبدونه لا يوجد فن يعتد به ، وهذا رأى فلاسفة الفن جميعاً ، في كل عصر وكل مذهب " . (٢)

(١) ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١ / ٣٠٥ .

(٢) د / محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث ص ٢٢٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٩ .

وقد تآدى الشعراء في هذا النهج من المبالغة المفرطة بعد أن " جارا هم أكثر النقاد فأخذوا يعلمونهم وسائل نيل الحظوة عند مدوحيههم يقصدون إلى تلقينهم وسائل الإيداع والإغراب " (١) ورأى كثير من النقاد أن الشاعر لا يتقيد بصدق أو كذب ، وأن مقياس براعته هو اقتداره على الصنعة والصيغة المؤثرة حتى قال قدامة بن جعفر :  
" إن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين - بأن يصف شيئاً وصفا حسنا ، ثم يذمه بعد ذلك ذمما حسنا بينا - غير منكر عليه ولا معيب من فعله ، إذا أحسن المدح والذم ، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها " . (٢)

وهكذا أصبحت الغاية الفنية المجردة عن كل التزام عقدي أو خلقي هي الغاية المطلوبة من الشعر ، ولا يتحقق إدراكها إلا باللجوء إلى المبالغة وبلوغ الغاية في الصنعة ، وان الاقتصار على الحقائق وقبول الصدق وحتى المقاربة في الوصف والتشبيه من المعوقات التي تحول دون الوصول إلى الإثارة الفنية المنشودة .

ويبدو أن هذا الاتجاه قد بدأ في مجالس خلفاء بني أمية وبني العباس ومنتدياتهم الشعرية " وكان خير الشعر عندهم أشده مبالغة وتفننا في مدحهم ، وأكثره تطلقا " (٣) . فقد " دخل كثير على عبد الملك

(١) د / محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث ص ٢٢٠ .

(٢) نقد الشعر ص ٦٦ .

(٣) د / عبد العزيز عتيق - تاريخ النقد الأدبي عند العرب - ص ٢٥٨ .

فأنشده مدحته وفيها :

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة

أجاد المُسدِّي سردها وأذالها

فقال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معد يكرب ؟ :

وإنّا تجيء كتيبةً لمومة

شهباء يخشون الذائدون نهالها

كنت المقدم غير لا بسجننة

بالسيف تضرب مغلياً أبطالها

فقال : يا أميرالمؤمنين ! وَصَفَهُ بِالْخُرْقِ وَوَصَّفْتَكَ بِالْحَزْمِ . (١)

ففي نقد عبد الملك طلب للمبالغة وبلوغ الغاية في الوصف بالشجاعة، وهذا عنده أجود للشعر من الاقتصار على الصدق ، وقد أخذ على كثير التزامه بالحقيقة ولم يقنع منه بتصويره الواقعي لما رآه ، بل طالبه بتصوير مبالغ فيه كما فعل الأعشى .

وقد سائر النقاد الخلفاء في تطلب المبالغة المفرطة فأخذ بعضهم يعلم الشعراء الأساليب التي ترضي المدوحين وتشبع رغباتهم، وقد اتفق رأى قدامة مع رأى عبد الملك في هذا الشأن ورأى أنه :  
(٢)  
"أصح نظرا من كثير ، إلا أن يكون كثير غالط ، واعتذر بما يعتقد خلافه" .

(١) محمد بن سلام . طبقات الشعراء ٢ / ٥٤١ .

(٢) نقد الشعر ص ١٠٠ .

وقال المرزباني : " رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعمش في هذا المعنى على قول كثير ، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط ، والأعمش بالغ في وصف الشجاعة ، حتى جعل الشجاع شديد الأقدام بغير جنة ، على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم ، وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعمش دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه " . ( ١ )

وقد سار بعض خلفاء بني العباس على هذا النهج من حسب المبالغة في المدح قال أبو الفرج الأصفهاني : " كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء فلا ينكر ذلك ولا يرده " . ( ٢ ) ، وعلق الدكتور محمد مصطفى هدارة على هذا النص بقوله : " ويبدو أن هذا الاتجاه شجع الشعراء على الاغراق في مدحه هو بالذات حتى أسرفوا في ذلك كل الاسراف وجاوزوا حد الاعتدال " . ( ٣ )

وكان الخلفاء يرون أنهم أحق من غيرهم من عامة الناس بالمدائح المبالغ فيها وربما يكون الشاعر يستحق العقاب إذا مدح غير الخليفة بصفات متناهية في المبالغة لأن هذا النوع المميز من المدح لا يصلح إلا للخلفاء وأن ما يعيب جودة الشعر المبالغ فيه أن يكون قيل في سوقة الناس وعامتهم " لقي أبو العتاهية ابن مناذر بمكة ، فجعل يمازحه

( ١ ) الموشح - ص ٢٣١ .

( ٢ ) الأغاني ١٣ / ١٤٤ .

( ٣ ) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ( بيروت ١٤٠١ هـ )

ويضحكه ، ثم دخل على الرشيد فقال : يا أميرالمؤمنين هذا ابن مناذر  
شاعر البصرة ، يقول قصيدة في سنة وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة . فقال  
الرشيد : أدخله إلي ، فأدخله إليه . . . فدخل فسلم ودعا ، فقال :  
ما هذا الذي يحكيه عنك أبو العتاهية ؟ فقال ابن مناذر : وما ذاك  
يا أميرالمؤمنين ؟ قال : زعم أنك تقول قصيدة في سنة وأنه يقول  
كذا وكذا قصيدة في السنة . فقال : يا أميرالمؤمنين : لو كنت أقول  
كما يقول :

أَلَا يَا عَتَبَةَ السَّاعَةِ      أَمُوتِ السَّاعَةَ السَّاعَةَ

لقلت منه كثير ، ولكني الذي أقول :

إِنَّ عَيْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّوْا

هَدَّ زَكْنًا مَا كَانَ بِالْمَهْدِودِ

مَا تَرَى نَعَشَهُ وَلَا حَاطِلُوهُ

مَا عَلَى النَّعَشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ

فقال الرشيد : هاتها فأشدرنيها فأشدره . فقال الرشيد : ما كان  
ينبغي أن تكون هذه القصيدة الا في خليفة أو ولي عهده ، ما لها عيب  
الا أنك قلتها في سوقة ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .<sup>(١)</sup>

(١) الأغانى ١٨ / ٢٠٨

فالأبيات جيدة وعيبيها الوحيد في نظر الرشيد أنها لم تقل  
في خليفة أولي عهده حتى وان كان لا يتسع بأى قدر من الصفات  
العظيمة التي ذكرت في القصيدة ، وهذه تضحية بما للشاعر من  
خصوصية مع نفسه ومع واقعه .

وهذه الرواية التي تطلب المبالغة في الشعر عند الخلفاء والولاة  
في مجالسهم أنشأت شعرا يظلب عليه البعد عن الصدق الى المبالغيات  
المفرطة وتزييف الحقائق .

وقد رأى بعض النقاد في تحرر الشعر من القيود ومنها الصدق  
زيادة في جودته واثارته ، اضافة الى تأثرهم بنقد الخلفاء الذى يفضل  
المدح المبالغ فيه وبالشعر الموجود الذى نال الثناء . والنقد "غالبيا  
ما يبحث عن القواعد الموجودة بالفعل ، لا عن القواعد التي يمكن أن  
تستحدث ان النقد تعيذى في طبيعته . . . ومن ثم جمد هو "لا" النقد  
على ما كان موجودا بالفعل " . ( ١ )

قال قدامة بن جعفر في حديثه عن الغلو والاقتصار على الحمد  
الاًوسط في الشعر : " ان الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب  
إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما وقد بلغني عن بعضهم أنه قال :  
أحسن الشعر أكذبه " ( ٢ ) ولذلك فضل هو "لا" النقد وفي مقدمتهم

( ١ ) محمد قطب . منهج الفن الاسلامي ص ١٠٠ .

( ٢ ) نقد الشعر ص ٩٤ .

قدامة بن جعفر بيت أبي نواس القائل :

وَأَخَفَّتْ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّىٰ إِنَّهُ

لَتَخَافُكَ النَّطْفَ الَّتِي لَمْ تَخْلُقْ

على بيت الحزين الكناني :

يُغْضِي حَيَاءً وَيَغْضَىٰ مِنْ مَهَابَتِهِ

فَمَا يَكْمَمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

لأن في قول أبي نواس دليلا على عموم المهابة ورسوخها في قلب الشاهد والغائب ، وقد أتى بما ينبغي " عن عظم الشيء " الذي وصفه . ( ١ )

قال الدكتور محمد غنيمي هلال معلقا على هذا التفضيل " ولا شك

أن تفضيل بيت أبي نواس يدل على تقدير شان للتصوير من جهة الصدق والكذب ، مما يترتب عليه الزيف في محاكاة الحقائق " . ( ٢ )

وقد توغل بعض النقاد في الدعوة الى الغلو والافراط حتى استحسنا

الكذب بمعناه العام المناقض للصدق ، ففي كتاب نقد النثر المنسوب

لقدامة بن جعفر نص يقول : " وللشاعر أن يقتصد في الوصف أو التشبيه

أو المدح أو الذم ، وله أن يجالغ وله أن يسرف حتى يناسب قوله المحال

أو يضاھيه . ولا يستحسن السرف والكذب والاحالة في شيء من فنون

القول الا في الشعر " . ( ٣ )

( ١ ) انظر نقد الشعر ص ٩٤ - ٩٥ .

( ٢ ) النقد الأدبي الحديث ص ٢٢٨ .

( ٣ ) قدامة بن جعفر - نقد النثر - تحقيق : طه حسين بك و عبد الحميد

العبادي ( مصر ١٩٣٩ ) ص ٩٠ .

ولقد ذهب ابن رشيقي الى هذا الرأي الذي يستحسن الكذب  
بمعناه العام في الشعر معتبرا أن ذلك من فضائل الشعر فقال : " وأن  
من فضائل الشعر أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن فيه .  
وحسبك ما حسن الكذب واغتفر له قبحه " . ( ١ )

وقد اعتبر الدكتور إحسان عباس أن هذا تحوير لمعنى الكذب  
ومغالطة لا تخفى ولكن الموقف الجدلي اضطر ابن رشيقي اليها . ( ٢ )  
ويبدو أن هذا تفسير خاطيء لمعنى الكذب في قولهم ( أعذب  
الشعر أكذبه ) ، وقول البحترى :

كَلَفْتُمُونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ

في الشعر يُفْنِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهُ

ويدل على خطأ هذا التفسير قلة أنصاره لأنه خروج بالشعر عن الحق  
والقصد والاعتدال ، ويبدو أن الكذب الذي تدل عليه العبارة السابقة  
وبيت البحترى إنما هو ما ذهب اليه عبد القاهر الجرجاني من أنه  
" التخيل والذهاب بالنفس الى ما ترتاح اليه من التعليل " . ( ٣ ) وليس  
الكذب بمعناه العام .

على أن عبارة " أعذب الشعر أكذبه " التي ضللت بعض  
النقاد وخرجت بهم الى مثل هذا التأويل الخاطيء لم يعرف لها قائل .

( ١ ) العمدة ١ / ٢٢٢ .

( ٢ ) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٤٤٧ .

( ٣ ) أسرار البلاغة ٢ / ١٤٤ .



معين حتى أن قدامة بن جعفر الذي تمسك بها لم يجد من ينسبها اليه فأرجعها الى بعض من تقدمه من النقاد دون تحديد مرجحاً نسبتها الى قداماء اليونان عندما قال : " ان الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب اليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما وقد بلغني عن بعضهم أنه قال ( أحسن الشعر أكذبه ) ، وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لفتهم " .<sup>(١)</sup> وقد نسبها لأرسطو عندما قال : " وقد ذكر أرسطو طاليس الشعر فوصفه بأن الكذب فيه أكثر من الصدق ، وذكر أن ذلك جائز في الصناعة الشعرية " .<sup>(٢)</sup>

وقد نفى الدكتور محمد غنيمي هلال هذه النسبة مواءماً أن مصدرها اليوناني غير محدد وقد يكون بعض السوفسطائيين الذين اطلع قدامة على آرائهم .<sup>(٣)</sup>

وكان السوفسطائيون يدعون الى الفن الزائف القائم على التهاويل الكاذبة والبعد عن الحقيقة " .<sup>(٤)</sup> وبقي للقائلين ببدأ الكذب في الشعر بمعناه العام بيت البحترى ، ولكن تبين أنه ليس دعوة للكذب في الشعر وإنما هورد على المتزمتين في اخضاع الشعر لمقاييس المنطق الدقيقة ، وفي الشطر الأول من البيت ما يدل على ذلك ، ويؤيد ذلك تفسير عبد القاهر السابق لمعنى الكذب في البيت .

- 
- (١) نقد الشعر ص ٩٤ .  
(٢) نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر ص ٩ .  
(٣) انظر النقد الأدبي الحديث ص ١٦٦ .  
(٤) د / محمد مصطفى هدارة - مقالات في النقد الأدبي - الرياض ١٤٠٣ هـ ص ٤٣ .

# الباير الثاني

## الصدق والخيال

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : - الخيال والصورة

الفصل الثاني : - الخيال والمبالغة

الفصل الثالث : - الصدق والواقعية

# الفصل الأول

## الحَيَاة والصورة

## الفصل الأول

### الخيال والصورة

تعتمد الفنون وفي مقدمتها الشعر على الخيال ، ولهذا اهتمم به النقاد والبلاغيون والفلاسفة منذ قداماء اليونان حتى عصرنا الحاضر ، واجتهدوا في إيجاد تحديد لهذه الملكة الغامضة التي يصعب تحديد مفهومها تحديدا جامعا مانعا .

فقد عرف العرب منذ الجاهلية ملكة الخيال وأثرها في الشعر وفتنوا إلى أن للشعر خاصية تميزه عن النثر غير الوزن والتقنية .

ولكنهم لم يهتدوا إلى الافصاح عن هذه الملكة وتحديد لها لأنهم أمة لم تضرب في العلم والفلسفة والتقنين بسبب فراحو ينسبونه إلى الشياطين مرة ، وإلى الحالات النفسية مرة أخرى " وتوهوا أن الشعراء يملكون قوى خارقة توثر فيهم ، وأن لكل شاعر شيطانا ينفث في روعه الشعر " (١) يسمى رثيا أو هاجسا أو تابعا .

وقد عمدوا إلى تسمية شياطين كبار الشعراء ونسجوا قصصا خيالية عنهم (٢) مما يجعل الأثر يمر على أن هان السدج من الناس وكأنه

- 
- (١) مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية ، العدد الأول عام ١٤٠٩ هـ من مقال بعنوان : مفهوم الملكة الشعرية عند القدماء للدكتور محمد بن مريسي الحارثي ص ٨٤ .
- (٢) انظر أبو زيد القرشي - جمهرة أشعار العرب ، تحقيق محمد علي الهاشمي - الرياض ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ص ١٦٥-١٨٦ ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد - شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ص ١٧٢ - ١٧٥ .

حقيقة لا لبس فيها ، فسموا هاجس امرىء القيس لافظ بن لاحظ ، وهاجس  
النايفة الذبياني هاذرا ، وهاجس الاعشى مسحلا . قال الاعشى يذكر  
شيطانه مسحلا : (١)

فَلَمَّا رَأَيْتَ النَّاسَ لِلشَّرِّ أَقْبَلُوا  
وَتَابُوا إِلَيْنَا مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ  
وَصِيحٍ عَلَيْنَا بِالسَّيَاطِ وَبِالْقَنَاصِ  
إِلَى غَايَةِ مَرْفُوعَةٍ عِنْدَ مُوسَى  
دَعَاؤُ خَلِيلِي مَسْحَلًا وَدَعَاؤُهُ  
جَهَنَامٌ جَدْعًا لِلْمَهْجِينِ الْمُدَّمِّمِ  
حَبَانِي أَخِي الْجِنِّي نَفْسِي فِدَاؤُهُ  
بِأَفِيحِ جِيَّاشِ الْعَشِيَّاتِ خِضْرِمِ

والشواهد على ذلك كثيرة في الشعر الجاهلي . وهذه النسبة إلى الجن  
اعتقاد من الناس غير صحيح ، وقد رد محمد محيي الدين عبد الحميد  
على هذا الزعم بقوله : " وما نظن ذلك إلا أحاديث خرافة . . . إنانعجب  
لذلك ونستبعده ، ولا يسعنا إلا أن نقول : ليست هذه أولى خرافات  
العرب في جاهليتهم " . (٢)

(١) ديوانه - (بيروت - ١٣٨٠ - ١٩٦٠ م) ص ١٨٣ .

(٢) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ص ٢٧٥ .

ويبدو أن ملكة الخيال الشعري ، والاستعدادات الغريزية  
الأولية للملكة الشعرية هي التي جعلتهم يخطئون في تفسيرها حتى  
قالوا بشياطين الشعر .

وقد وصف شركوا قريش القرآن بأنه شعر وبأن الرسول شاعر  
لما في القرآن من بيان وحسن تأت بهرهم فصاحة وأسلوباً ، ولمَّا  
يتحدث عنه القرآن من جنة ونار وعرش وملائكة وغيرها من الأمور التي  
لا وجود لها في عالمهم الضيق المحسوس ما جعل البصراء منهم يعرفون  
بأنه وحي من عند الله ولكنهم أطلقوا صفة الشاعر على النبي/ صلى الله عليه وسلم ليلقوا  
في أوهم السذج أن كلامه من نوع ما يصدر عن الشعراء من الأقوال  
الموهمة والتخيلات الباطلة\* (١) وذلك لأن الشعر يمتاز بنوع باطل من  
أنواع الخيال " وهو ما لا يتوخى به صاحبه وجه الحقيقة وإنما يقصد  
به اختلاب العقول ومخادعة النفوس إلى التشبث بغير حق " . (٢)

ولكن بعد دخول الناس في دين الله أفواجا أصبح للإسلام أثره  
الواضح في توسيع أفق المسلم إلى مجالات أرحب وأوسع وأشمل فالآيات  
البيانات في كتاب الله تعالى " فتحت أمام العربي المسلم طريق  
التخيل والعلم والتأمل في الكون الفسيح الغامض الدال على عظمة الله  
وقدرته في خلقه ففي أرض النبوة ومهبط الوحي أسرى الله بالرسول  
محمد صلى الله عليه وسلم على متن البراق ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ  
لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ (٣) هذه الآية ساعدت

(١) محمد الخضر حسين - الخيال في الشعر العربي - دمشق ١٣٤٠ هـ

ص ٥٥

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٣) سورة الاسراء آية ١ .

المسلم على إدراك معنى السمو والرفعة ، ودفعته إلى الخالق رب العرش  
بالدعاء والشكر والاعجاب ، فكان يتأمل في الكون ويحلم بجنت فسيحة  
يرودها بخياله \* . ( ١ )

وفي مقدمة صور الخيال التي استعملها الشعراء العرب الفنون  
البيانية ، فالتشبيه والاستعارة والكناية من أقدم وسائل الخيال التي  
تغنوا فيها فقربوا بها البعيد وأنطقوا بها الجماد وجسدوا بها  
الغائب وصوروا بها المعنوي في صورة المحسوس .

وتلقف ذلك البلاغيون والنقاد بالدراسة والايضاح والتقنين  
وبينوا مواطن الحسن والجودة ، ومواقع الرداءة والاستكراه ، لأن الروح  
التي يعد بها الكلام المنظوم في قبيل الشعر إنما هي التشابيه  
والاستعارات والأمثال وغيرها من التصرفات التي يدخل لها الشاعر من باب  
التخييل \* . ( ٢ )

ولعلنا نتلمس في تعريف الشعر عند بعض النقاد العرب الذين  
اهتموا بالصنعة الشعرية ما يوحي بأهمية وسائل الخيال .

قال الجاحظ في تعريفه للشعر : \* فانما الشعر صناعة ، وضرب من  
النسج ، وجنس من التصوير \* ( ٣ ) وعرفه ابن أبي عون بأنه : \* المثل

---

( ١ ) الطيب الحويلي - علم الخيال ومستقبل الانسان - تونس ١٩٧٢ م

ص ٢٧ .

( ٢ ) محمد الخضر حسين - الخيال في الشعر العربي - ص ٤ .

( ٣ ) الحيوان ١٣٢/٣ .

السائر، والاستعارة الغريبة والتشبيه الواقع النادر<sup>(١)</sup>، وقال  
الآمدي: " ليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأنى، وقرب  
المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى  
باللفظ المعتاد فيه، المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات  
لائقة بما استعيرت له، وغير منافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسي البهاء  
والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف<sup>(٢)</sup>." وعنده: " أن صناعة الشعر  
تجود وتستحكم بأربعة أشياء هي: " جودة الآلة، وإصابة الغرض  
المقصود، وصحة التأليف، والانتها<sup>(٣)</sup> إلى نهاية الصنعة، من غير نقص  
منها ولا زيادة عليها<sup>(٣)</sup>."

وقال القاضي الجرجاني: " إن الشعر علم من علوم العرب  
يشارك فيه الطبع والرواية، والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل  
واحد من أسبابه، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز<sup>(٤)</sup>."

وقال ابن وهب: " الشاعر من شعر يشعر فهو شاعر، والمصدر  
( الشعر ) ولا يستحق الشاعر هذا الاسم حتى يأتي بما لا يشعر به

- 
- (١) التشبيهات - تحقيق محمد عبد المعيد خان - ( كمبرج ١٣٦٩ هـ -  
١٩٥٠ م ) ص ٢٠ .  
(٢) الموازنة - تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر ١٣٧٨ هـ  
ص ٣٨٠ .  
(٣) المصدر السابق ص ٣٨٢ .  
(٤) الوساطة - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، وعلی محمد البجاوي ،  
مصر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، ص ١٥ .



غيره ، و اذا كان إنما يستحق اسم الشاعر لما ذكرنا فكل من كان خارجاً عن هذا الوصف فليس بشاعر ، وإن أتى بكلام موزون مقفون " . ( ١ )

وفي العمدة : " وانما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره " . ( ٢ ) ، وقال غير واحد من العلماء : الشعر ما اشتغل على العثل السائر ، والاستعارة الرائعة ، والتشبيه الواقع ، وما سوى ذلك فانما لقائله فضل الوزن " . ( ٣ )

وقال ابن خلدون " الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده " . ( ٤ )

وهكذا نرى إلحاح النقاد القدماء من خلال النصوص السابقة على الفنون البيانية من استعارات وتمثيلات وتشبيهات ، وعلى ما للشاعر من خصوصية ليست لغيره ، وهو الشعور بما لا يشعر به غيره .

وهذه الفنون البيانية التي طلب النقاد والبلاغيون العرب تحققها في الشعر هي وسائل حذف الصنعة الشعرية عندهم وإن لم يصرحوا بأنها مقومات الخيال ووسائله كما عرف مؤخرًا ، وإنما يدخل منها

---

( ١ ) البرهان في وجوه البيان - تحقيق : حفني محمد شرف - مصر

١٩٦٩ م ص ١٣٠ .

( ٢ ) ابن رشيق ١ / ١١٦ .

( ٣ ) المصدر السابق ١ / ١٢٢ .

( ٤ ) المقدمة ( بيروت ١٩٨١ م ) ص ٥٧٣ .

تحت دائرة التخيل ما خرج عن العقل إلى الوهم والكذب ، ولذلك  
فرّق البلاغيون بين هذه الغنون والكذب فقالوا عن الفرق بين الاستعارة  
والكذب إن الاستعارة تفارق الكذب بالبناء على التأويل وينصب القرينة  
على إرادة خلاف الظاهر بخلاف الكذب فإنه لا تأويل فيه وقائله  
لا ينصب قرينة على إرادة خلاف الظاهر بل يجذل جهده في ترويض  
ظاهره . (١)

ومن صور فهم النقاد الأقدمين للتخيل أنه نوع من الكذب والوهم

- وهو كذلك في معناه العام - قال تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِمْ  
سِحْرَهُمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ (٢) . قال ابن منظور بعد سرد الآية : " أي  
(٣)  
يشبه ، وخيل إليه أنه كذا على ما لم يسم فاعله : من التخيل والوهم " .

وقال المفسرون في وصف الحبال والعصي المخيلة : " وذلك  
أنهم كانوا لطحوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت  
فخيل إليه أنها تتحرك " . (٤)

ولعلمهم بسبب هذا المعنى للتخيل ابتعدوا عن هذا الاصطلاح  
وطلبوا الصدق ومقاربة الحقيقة ومقاربة التشبيه ، وكثرة الصفات الجامعة

- 
- (١) انظر - الخطيب القزويني - الايضاح - تحقيق محمد عبد المنعم  
خفاجي - بيروت ١٤٠٠هـ - ص ٤١٧ .  
(٢) سورة طه آية ٦٦ +  
(٣) لسان العرب مادة ( خيل ) .  
(٤) تفسير أبي السعود ٢٧/٦ ، وانظر الزمخشري - الكشاف ٢ / ٥٤٤ .

بين المشبه والمشبه به ، وأن يكون الكلام مما يأنس به العقل كما ذكر  
الأصمعي (١) والمبرد (٢) وابن طباطبا (٣) والآمدي (٤) وغيرهم .

وكذلك نزهوا كتاب الله عن أن يرد فيه أسلوب خيالي بسبب

هذا المعنى المرتبط بالوهم والكذب ، ونسبوا الآيات التي فيها تصوير  
بياني للمجاز ، لأن المجاز غير التخيل ومن ثم لا علاقة له بالكذب  
والوهم ، لأن به من القرائن ما يخرج عن الكذب ، ففي قوله تعالى :

\* ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ

كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ \* (٥) ، قبل المفسرون أن تكون مجازاً أو تصويراً

ورفضوا أن تكون تخيلاً باستثناء الزمخشري الذي جوّز ذلك بتحفظ

شديد فقال : " ويجوز أن يكون تخيلاً ويبنى الأصمعي على أن الله

تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتاه ، فقالتا

أتينا على الطوع لا على الكره . والغرض تصوير أثر قدرته في المقدرات

لا غير " . (٦)

والعبارة الأخيرة من النص دليل على تحفظه على استعمال لفظ

التخيل لعلمه بمعناه الشائع بين الناس آنذاك القريب من الوهم

والكذب .

- 
- (١) انظر - المرزباني - الموشح - ص ٣٤٥ .  
(٢) انظر - الكامل - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحادة  
مصر ( بدون تاريخ ) ١ / ٢٩٤ .  
(٣) انظر - عيار الشعر - ص ٥٢ - ٥٦ ، ص ١٥٨ .  
(٤) انظر - الموازنة ١ / ١٥٢ .  
(٥) سورة فصلت آية ١١ .  
(٦) الكشاف ٣ / ٤٤٥ .

ولكن هذا التجويز من الزمخشري لقي معارضة شديدة ، فابن المنير الاسكندري رفض اطلاق لفظ التخيل على الآيات القرآنية ، وردَّ على الزمخشري بأسلوب فيه شيء من القسوة فقال : " قد تقدّم إنكاري عليه إطلاق التخيل على كلام الله تعالى ، فإن معنى هذا الاطلاق لو كان صحيحا والمراد منه التصوير لوجب اجتناب التعبير عنه بهذه العبارة لما فيها من إبهام وسوء أدب " . (١)

وهذا الرد في محله إذا كان الزمخشري قد قصد من التخيل معناه الحقيقي الذي استقر في الأذهان وأيدته آية سورة طه السابقة وهو الوهم والظن . أما إذا كان قصده من التخيل مجرد التصوير ، أو نوعاً من الخيال لا يتعارض مع الصدق ولا يخرج عن العقل - ويبعدو أنه كذلك - فيكون بذلك قد توسع في معنى الخيال أو التخيل على غير عادة أسلافه ، وسبق بذلك بعض النقاد المعاصرين الذين توسعوا في معنى الخيال كما سيأتي .

ولكن رغم هذا التوسع في معنى التخيل والبعد به عن الوهم والظن فإنه يبقى اصطلاحاً أدبياً وإطلاقه على القرآن فيه نظراً والله أعلم . ولقد تبع ضياء الدين ابن الأثير الزمخشري وخضع للمقاييس الأدبية في استشهاده بهذه الآية ورأى أن " نسبة القول إلى السماء والأرض من باب التوسع لأنهما جماد ، والنطق إنما هو للإنسان لا للجماد " . (٢)

(١) الانصاف ضمن كتاب الكشاف ٥٤٤٥ / ٣

(٢) المثل السائر - تحقيق د / أحمد الحوفي ، د / بدوي طبانة -

القاهرة ١٩٧٣ (م) ٢ / ٨١

والظاهر أن قول السماء والأرض حقيقة وليس توسعاً والدليل على ذلك نطق الجلود والأيدي يوم القيامة رغم أنها من الجماد الآخر الذي

لا ينطق ، قال تعالى :  
(١) ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾  
وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدَتْ عَلَيْنَا  
قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (٢)

فقوله : ( أنطق كل شيء ) عام شامل للجمادات وغيرها ، ويؤيد ذلك انتفاء هذه الآية إلى الحقيقة انكار ابن قتيبة على من زعم غير ذلك بقوله :  
" إن قوما قالوا في هذه الآية : لم يقل الله ولم تقولوا ، وكيف يخاطب معدوما ؟ وإنما هذه عبارة لكونها فكانتا " (٣)  
وكان رده عليهم بقوله :  
" وما في نطق جهنم ونطق السماء والأرض من العجب ؟ والله تبارك وتعالى ينطق الجلود والأيدي والأرجل ويسخر الجبال والطير بالتسبيح " (٤)

أما الأدياء والنقاد المعاصرون فقد توسعوا في معنى الخيال وقد رأى محمد الخضر حسين أن " إطلاق لفظ التخيل أو الخيال في صدر الحديث عن المعاني الصادقة والتصورات المعقولة لا يحط من قيمتها أو يمس حرمتها بنقيصة " (٥) وعرف قوة الخيال بقوله : " هي قوة تتصرف في المعاني لتنتزع منها صوراً بديعة ، وهذه القوة إنما تصوغ الصور من عناصر

- 
- (١) سورة يس آية ٦٥ .  
(٢) سورة فصلت آية ٢١ .  
(٣) تأويل مشكل القرآن - تحقيق أحمد صقر - المدينة المنورة ١٤٠٨ هـ ص ١٠٦ .  
(٤) المصدر السابق ص ١١٣ .  
(٥) الخيال في الشعر العربي ص ١٢ .

كانت النفس قد تلقتها عن طريق الحس أو الوجدان وليس في إمكانها أن تبدع شيئا من عناصر لم يتقدم للمخيل معرفتها" (١) وهو يجاري في هذا أدباء العصر الذين توسعوا في معنى الخيال .

أما سيد قطب فالخيال عنده هو الخيط الموصل للحقيقة الغائبة

يفهم ذلك من قوله عن الخيال بأنه " صلة ما بين الانسان القاصر والحقيقة

المحجبة التي تدق على الافهام فينبعث الخيال ليقرب هذه الحقيقة " وأنه (٢)  
" ربط الصلة بين الفكر والحقيقة التي لم يهتد إليها بعد " (٣) ، واعتبر

الدكتور محمد النويهي أن ملكة الخيال " ليست ملكة الاختلاق المحض كما

يظن الكثيرون ، بل هي ملكة الابصار التام الواضح العميق لحقيقة التجربة

الانسانية" (٤) وأن الخيال على هذا الاصطلاح " لا يخالف الصدق ولا يزيفه

بل يزيده جلاء وتحديدا وقربا " (٥)

ولعل أول تناول للخيال بالدراسة والتحديد عند العرب ما قام

به الفلاسفة المسلمون الذين كان لهم اطلاع على الثقافة اليونانية التي

أولت هذا الجانب بعض العناية ، فقد تحدثوا عن قوة الخيال وأثرها

في الشعر وعلاقتها بقضية الصدق والكذب ، وربما يقتصر بنا الحديث هنا

(١) الخيال في الشعر العربي ص ١٣ .

(٢) مهمة الشاعر في الحياة - بيروت والقاهرة ١٩٣٢ م ص ٤٠ .

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤) عنصر الصدق ، مصر ١٩٥٩ م ص ٥٥ .

(٥) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

على الفارابي باعتباره أول من تحدث عن ذلك وابن سينا لأنه أشهر من فهم قضية التخيل وبسطها ، وتأثر به اللاحقون من النقاد والبلاغيين كعبدالقاهر وحازم . أما ابن رشد فلم يخرج فيما يبدو على ما جاء به ابن سينا .

ويبدو أن أول من وضع كلمة التخيل الفارابي تفسيرا للمحاكاة الاوسطية<sup>(١)</sup> وليس كما ذكر الدكتور سعد مصلوح من " أن ابن سينا هو . . . أول فيلسوف من فلاسفة المسلمين وصف الشعر بأنه كلام مخيل . . . وأن الفارابي في رسالته عن قوانين صناعة الشعراء لم يتعرض لهذا الأمر بالبيان "<sup>(٢)</sup> ذلك أن استعمال ابن سينا للتخيل بأنه تفسير للمحاكاة أخذ من الفارابي وقد تكلم الفارابي عن ذلك في كتابه (جوامع الشعر) . وقد قسم الفارابي المحاكاة قسمين محاكاة بفعل ومحاكاة بقول ، والثانية هي التخيل يفهم ذلك من قوله : " والمحاكاة بقول هو أن يؤلف القول الذي يصنعه أو يخاطب به من أمور تحاكي الشيء الذي فيه القول دالا على أمور تحاكي ذلك الشيء " ويلتمس بالقول المؤلف ما يحاكي الشيء "

(١) انظر : د/شكري عياد - كتاب أرسطوطاليس في الشعر - تحقيق

ودراسة - مصر ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ص ٢٥٧ .

ود/ عاطف جودة نصر - الخيال مفهومه ووظائفه - مصر ١٩٨٤م

ص ١٤٨ .

(٢) حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخيل في الشعر - مصر -

١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ١٩ .

تخييل ذلك ، اما تخييله في نفسه ، وإما تخييله في شيء آخر " . (١)  
والغرض من التخييل عند الفارابي النهوض " بالسامع نحو فعل  
الشيء الذي خيل له فيه أمر ما من طلب له أو هرب عنه ، ومن نزاع  
أو كراهة له ، أو غير ذلك من الأفعال من إساءة أو إحسان ، سواء  
صدق ما يخيل إليه من ذلك أم لا ، كان الأمر في الحقيقة على ما خيل  
أولم يكن " . (٢)

والخيال عند الفارابي شأنه شأن المحاكاة يقترب من الحقيقة  
ويبتعد عنها بحسب الوسائط فبعد أن تحدث عن المحاكاة وأنها  
تبعد عن حقيقة الشيء برتبة أو رتبتين ألحق الخيال بذلك الحكم فقال :  
" وكذلك التخييل للشيء عن تلك الأقاويل ، وأنه يلحق تخيله هذه  
الرتب ، فانه يتخييل الشيء بما يحاكيه بلا توسط ، ويتخييل بتوسط  
شيء واحد وبتوسط شيئين على حسب القول الذي يحاكي الشيء " . (٣)  
وفي وصف الفارابي للأقاويل الشعرية بأنها كاذبة ما ينم عن  
حكمه على الخيال بالكذب لأن الشعر يعتمد الخيال وذلك في قسمته  
المنطقية في قوله : " إن الأقيسة الصادقة بالكل لا محالة هي البرهانية ،

---

(١) جوامع الشعر المطبق بكتاب تلخيص أرسطو في الشعر لابن رشد

تحقيق محمد سليم سالم - مصر - ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ص ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها .



والصادقة بالبعض على الأكثر هي الجدلية ، والصادقة بالمساواة هي الخطبية ، والصادقة في البعض على الأقل هي السفوسطائية والكاذبة بالكل لا محالة هي الشعرية " . (١)

أما ابن سينا فقد تبع الفارابي في تفسير المحاكاة بالتخييل وذلك لأنه لا يفهم المحاكاة على أنها تقليد بل يفهمها على أنها تصوير للمعنى كما يرى الدكتور شكري عياد ، (٢) ولكن الدكتور سعد مصلوح خالفه في هذا الحكم معتبراً أن ابن سينا فرّق بين التخييل والمحاكاة وأن " المحاكاة من حيث موضوعها وسائلها شيء والتخييل السذي هو الأثر النفسي الناتج عنها شيء آخر ، أي أن المحاكاة وسيلة والتخييل غاية أو أنها مؤثر والتخييل أثر " (٣) ولكنه اعترف أن تعبير ابن سينا وحازم عن الاستعارة والمحاكاة يوهم أنها شيء واحد ، فابن سينا يذكر كلمة المحاكاة في معرض بيان أثرها وهو التخييل أو يذكر التخييل في معرض بيان وسائله وهي المحاكاة ، ومن هنا جاء اللبس (٤) ، واستشهد على خطأ ما ذهب إليه الدكتور شكري عياد بقوله : " ان ابن سينا وحازم في معظم الأحيان - يذكرها دائما بأسلوب العطف والعطف - كما

---

(١) مقالة الفارابي في قوانين صناعة الشعر - ضمناً كتاب أرسطو فن الشعر ترجمة عبدالرحمن بدوي

- بيروت ص ١٥١ .

(٢) انظر كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص ١٩٥ - ٢٥٧ ، وانظر عاطف

جودة نصر - كتاب الخيال ص ١٤٩ - ١٥٥ .

(٣) كتاب حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص ٥٧ .

(٤) انظر المصدر السابق الصفحة نفسها .

يقول النحاة - يقتضي الغيرية بل إن هذا الأسلوب ينتقل إلى عبارة الدكتور عياد نفسه " (١)

ويبدو أن عبارة الدكتور شكري عياد التي قصدتها الدكتور سعد مصلوح وهي قوله عن ابن سينا " فتنحصر المحاكاة أو ( التخييل ) عنده في عملية التعبير " (٢) لا تدل على تفريق أو عطف فكلمة التخييل جاءت بين قوسين وبعد حرف ( أو ) الذي يفصل بينها وبين كلمة المحاكاة مما يرجح أنها تفسير لها وليست معطوفة عليها ولا هي غيرها .

غير أن المهم هنا أن ابن سينا قد جعل غاية الشعر أن يحدث الأثر النفسي المنشود سواء كان صادقا أو كاذبا وأن " المقدمات الشعرية هي المقدمات التي من شأنها إذا قبلت أن توقع للنفس تخيلا لا تصديقا ، والتخييل هو انفعال من تعجب أو تهوين أو تصغير أو غم أو نشاط ، من غير أن يكون الغرض بالمقول إيقاع اعتقاد البتة وهذه المقدمات ليس من شرطها أن تكون صادقة ولا كاذبة ولا زائفة ولا شائعة بل أن تكون مخيلة ، ويؤكد أن يكون أكثرها محاكاة للأشياء بأشياء من شأنها أن توقع تلك التخيلات .

والشعر لا يتم إلا بمقدمات مخيلة ووزن ذي إيقاع متناسب ليكون أسرع تأثيرا في النفوس " (٣) وقد عرف ابن سينا الكلام المخيل

(١) انظر كتاب حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص ٥٧ .

(٢) كتاب أرسطو طاليس في الشعر ص ٢١١ .

(٣) د / عاطف جودة نصر - الخيال ص ١٥١ نقلا عن ابن عربي -

رسالة الأنوار ضمن مجموع رسائله ج ١

بقوله " والمخيل هو الكلام الذي تدعن له النفس فتبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختياره وبالجملة تتفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري سواء كان القول مصدقا به أو غير مصدق به " (١)

وتتلخص روية الفلاسفة المسلمين للتخييل في أن التخييل غير التصديق ولكن اذا جاء الشعر مخيلا وهو صادق فهو واجب من أن يكون مخيلا وهو كاذب ولكن العبرة بالتخييل لا بالتصديق في الشعر، وأن قوة التخييل عندهم مفكرة اذا دخلت في العقليات والتصديقات، ومخيلة اذا انحطت عن ذلك وخرجت عن نطاق العقل قال ابن سينا عنها : " اذا استعملها العقل تسمى مفكرة ، واذا استعملتها قوة حيوانية تسمى متخيلة " (٢)

وهذا يحط درجة الخيال عن الصدق والعقل ويدخله فسي الكذب والوهم وقد نقل الدكتور محمد غنيمي هلال عن ابن سينا وصفه للتخييل بقوله : " وأما هذا الذي أمامك فباهت مهذار يلفق الباطل تلفيقا ويختطف الزور اختلاقا ويأتيك بأخبار ما لم تزوده ، قد درن حقها بالباطل وضرب صدقها بالكذب ، وإنك لمبتلى بانتقاد حق ذلك

- 
- (١) ابن سينا - الشفا . تحقيق د / عبد الرحمن بدوي (مصر ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م) ص ٢٤٠
- (٢) د / سعد مصلوح - حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ص ١٢٢ نقلا عن ابن سينا - كتاب النفس بترجمة الأهواني ص ١٢٦ .

من باطله ، والتقاط صدقه من زوره " . (١)

وخلص الدكتور من ذلك الى أن فكرة أرسطو عن الخلط بين  
الخيال والوهم انتقلت الى الفلاسفة المسلمين ثم ظهر أثرها في  
النقد العربي القديم ، وتبعها الكلاسيكيون الأوربيون . (٢)

وأن المفهوم الحديث للخيال وهو أنه عملية توليد الصورة التي  
وظيفتها تصوير الحقائق النفسية والأدبية لم يستقر الا منذ فلاسفة  
الرومانتيكية والفيلسوف " كانت " . (٣)

وإذا ما تجاوزنا موقف الفلاسفة من الخيال فاننا سنقف أمام  
ناقدين ، بارزين أفادا من تلك المواقف السابقة ، وربطاً مفهوم الخيال  
بالصورة الشعرية ، وهذان الناقدان هما عبد القاهر الجرجاني وحسام  
القرطاجني ، وقد ربطاً مفهوم الخيال بقضية الصدق والكذب وذلك من  
خلال مقومات الخيال البيانية المتمثلة في الصورة الشعرية ، فقد مر بنا  
اهتمام النقاد بالصياغة الشعرية عندما عداوا الشعر صناعة كسائر الصناعات  
وقد كان ابن طباطبا من أوائل النقاد الذين أحووا كثيراً على مبدأ الصدق  
والاعتدال في صنعة الشعر وتؤكد هذا الاهتمام عند الفلاسفة المسلمين

(١) النقد الأدبي الحديث ص ١٦٢ نقلاً عن رسالة حي بن يقظان

تصحیح میکائیل بن یحیی المهرنزی لیدن ١٨٨٩ ، ص ٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٦١ .

الذين ركزوا في معالجتهم للخيال على الجوانب التي يمكن أن تضبطه  
وتحد من تجاوزه مبدأ القصد والاعتدال الى الافراط ، ولهذا أعطوا  
العقل حرية في مراقبة الخيال وتوجيهه ، وهذا بدوره أوجد بعض الضوابط  
المعيارية لبناء الصورة الشعرية .

وإذا ما تناولنا موقفي عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني  
من الخيال وربطه بقضية الصدق من خلال الصورة الشعرية فإن  
الأمر سيتضح بجلاء أكثر من ذي قبل .

ويبدو أن عبد القاهر الجرجاني كان أول من تحدث من النقاد  
العرب عن قوة الخيال صراحة وربطها بالصدق والكذب ، ولعله قد اطلع  
على موروث اليونان الذي عالج قضية الخيال وتأثر برواية فلاسفة المسلمين  
وفي مقدمتهم ابن سينا . وكانت كلمة التخييل عنده : " تتنازعها ثلاثة  
معان : معنى منطقي كلامي ، ومعنى فني شبيه بمعنى (المحاكاة) ،  
ومعنى بياني متأثر بتقسيم ابن سينا لأنواع التخييل إلى تشبيه واستعارة  
وتركيب منهما " . (١)

أما المعنى المنطقي الكلامي فانه يضع التخييل مقابلاً للحقيقة  
وذلك مأخوذ من تقسيمه المعاني الى عقلي وتخييلي (٢) ، ويرى الدكتور  
شكري عياد أن عبد القاهر " أخذ هذه المقابلة من موازنة ابن سينا بين  
التخييل والتصديق " (٣) ولكنه تراجع بعد ذلك عندما أثبت أن ابن سينا

(١) شكري عياد - كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص ٢٥٨ ، وانظر ابن سينا -  
الشفاء ص ٣٦ .

(٢) انظر - أسرار البلاغة ٢/١٣٧ .

(٣) كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص ٢٥٨ .

لم يجعل التخيل ضد الحقيقة<sup>(١)</sup> ، فكأنه قصد بهذا أن عبد القاهر فهم ابن سينا فهما خاطئا .

وأما المعنى الفني فيوء خذ من قول عبد القاهر عن التخيل الذي يقصد به مخادعة السامع " وقد اتفق للمتأخرين من المحدثين في هذا الفن نكت ولطائف ، ومدع وطرائف لا يستكثر لها الكثير من الثناء ، ولا يضيق مكانها عن سعة الاطراء " .<sup>(٢)</sup>

وهذا اقرار بما للتخيل من تأثير وما يحدثه بوسائله من متعة فنية في الشعر ، وهو أيضا شاهد على الذوق الفني المتميز لدى عبد القاهر .

وأما المعنى البياني فيفهم من تقسيمه التخيل إلى تشبيه وتمثيل واستعارة ، وقد سبقه ابن سينا إلى هذا التقسيم وقد تأكد هذا المعنى البياني أيضا من قول عبد القاهر " وأول ذلك وأولاه ، وأحقه بأن يستوفيه النظر ويتقناه : القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة ، فإن هذه أصول كثيرة كان جل محاسن الكلام - إن لم نقل كلها - متفرعة عنها ، وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطار تحيط بها من جهاتها " .<sup>(٣)</sup>

---

(١) كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص ٢٥٨ .

(٢) انظر أسرار البلاغة ١٥٩/٢ .

(٣) المصدر السابق ١/١٢٠ .

والملاحظ أن تصور عبد القاهر لقضية الخيال وعلاقتها بالصدق في الشعر يتميز بموقف الناقد المسلم الذي لا بد أن يكون لمعتقده أثر على أحكامه الأدبية ، والفنان المتذوق الذي يعرف للفن حقه ، فهو حينما قسم المعاني إلى عقلية وتخيلية جعل العقلية هي الصادقة ووصفها بالحق الفلج ضد الباطل المهزوم وإن كثر مناصروه (١).

وفي هذا الوصف دلالة على التزام عبد القاهر بالمنظور الاسلامي الذي يجذب الصدق والحق في الشعر.

ويبدو أن عبد القاهر في حديثه عن الخيال قد أفاد من سابقه من الفلاسفة ، ولكنه كان أكثر مرونة منهم ، فبعد أن اعتبر الخيال كذبا ووهما وجعله مقابلا للحق والحقيقة في قوله : " وأما القسم التخيلي : فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صدق وإن ما أثبتته ثابت وما نفيه منفي " وقوله " فنه ما يجي ' مصنوعا قد تطف فيه واستعين عليه بالرفق والحدق حتى أعطي شيئا من الحق وغشي رونقا من الصدق باحتجاج تحمل وقياس تصنع فيه وتعمل " (٢) بعد هذا الحكم عاد ليخفف من معارضته للخيال وذلك في توضيحه لمعنى الكذب في قول البحتري :

(١) انظر أسرار البلاغة ٢/١٤٦ .

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه ص ١٤٠ .

(٣) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

### كَلَّفْتُمُونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ

فِي الشَّعْرِ يُغْنِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهُ

فالمقصود بالكذب فيه التخيل والتعليل ، وليس الكذب بمعناه العام ، وفي تفسيره للخيال أحيانا بأنه التقريب والتشيل ما ينفي عنه معنى الكذب كما في قوله : " ومن قال ( أكذبه ) ذهب إلى أن الصنعة إنما يمد باعها وينشر شعاعها ويتسع ميدانها ، وتتفرع أفنانها ، حيث يعتمد الاتساع والتخيل ويدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتشيل ، وحيث يقصد التلطف والتأويل " . ( ٢ )

ولعل في هذا ما يشير إلى ميل عبد القاهر إلى المعنى الفني والصورة المعبرة بعد أن رأينا فيما سبق ميله إلى ربط الشعر بالمنظور الاسلامي حين حيد الصدق لأنه الحق الثابت ووصف الخيال بالكذب ، ولعل د / أحمد الصاوي قد أصاب إلى حد ما عندما رأى " أن الخيال عند عبد القاهر قد تذبذب بين معنى فني ومعنى منطقي " . ( ٣ )

ونخلص من هذا إلى أن عبد القاهر قد فضّل المعاني العقلية الصادقة وقبل من المعاني المخيلة ما خضع للعقل ، واتخذ موقفا متوازنا بين الخيال والصدق وانتصر لقول من قال ( خير الشعر أصدقه ) . ( ٤ )

- 
- ( ١ ) انظر أسرار البلاغة ٢ / ١٤٤ .  
( ٢ ) انظر المصدر السابق الجزء نفسه ص ١٤٦ .  
( ٣ ) النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني - ( مصر ١٩٨٢ ) ص ٢٩٨ .  
( ٤ ) انظر المرجع السابق ص ٢٩٩ .



أما حازم القرطاجني فقد أفاد من سبقه من النقاد والبلاغيين والفلاسفة وبخاصة الفكر اليوناني إضافة إلى فطنته وثقافته وشاعريته فنظر لقضية الخيال وصلتها بالصدق والكذب نظرة شمولية وتقنيية وقسم قوة التخيل ثلاث مراتب : قوة خيالية حافظة ، وقوة مائزة ، وقوة صانعة (١) . فأما القوة الحافظة فهي أن تكون خيالات الفكر منتظمة ، ممتازا بعضها عن بعض ، محفوظا كلها في نصابه ، فإذا أراد مثلا أن يقول غرضا ما في نسيب أو مديح أو غير ذلك وجد خياله اللائق به قد أهبت له القوة الحافظة بكون صور الأشياء مترتبة فيها على حد ما وقعت عليه في الوجود ، فإذا أجال خاطره في تصويرها فكأنه اجتلى حقائقها . . . والقوة المائزة هي التي بها يميز الانسان ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والغرض ما لا يلائم ذلك ، وما يصح ما لا يصح .

والقوى الصانعة هي القوى التي تتولى العمل في ضم بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتركيبات النظامية والمذاهب الأسلوبية إلى بعض ، والتدرج من بعضها إلى بعض (٢) . ورأى أن التخيل هو المعول عليه في الشعر وليس الاعتبار بكونه صادقا أو كاذبا فالرأي عنده في الشعر أن مقدماته تكون صادقة ، وتكون كاذبة ، وليس يعد شعرا من حيث هو صدق ولا من حيث هو كذب بل من حيث هو كلام مخيل (٣) .

(١) انظر حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء - تحقيق

محمد الحبيب بن الخوجة - بيروت ١٩٨١ م ص ٤٢ .

(٢) المصدر السابق - الصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق ص ٦٣ .

وهو في هذا الفهم يتابع الفلاسفة المسلمين ، وقد نقل عنهم  
نصوصا توضح هذا المفهوم فنقل عن ابن سينا قوله : " والمخيل هو  
الكلام الذي تدعئ له النفس فتتوسط لأمور وتنقبض عن أمور من غير  
روية وفكر واختيار . وبالجملة تتفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري سوا  
كان القول صدقا به أو غير صدق به . فإن كونه صدقا به غير كونه  
مخيلا أو غير مخيل . فانه قد يصدق بقول من الأقوال ولا ينفعل عنه ،  
فان قيل مرة أخرى أو على هيئة أخرى انفعلت النفس عنه طاعة للتخييل  
لا للتصديق ، فكثيرا ما يؤثر الانفعال ولا يحدث تصديقا ، وربما كان  
المتيقن كذبه مخيلا . وإن كانت محاكاة الشيء لغيره تحرك النفس وهو  
كاذب فلا عجب أن تكون صفة الشيء على ما هو عليه تحرك النفس  
وهو صادق ، بل ذلك أوجب ، لكن الناس أطوع للتخييل منهم للتصديق .  
وكثير منهم اذا سمع التصديقات استكرهها وهرب منها . . . " (١)

ونقل عن الفارابي قوله : " الغرض المقصود بالأقوال المخيلة  
أن ينهض السامع نحو فعل الشيء الذي خيل له فيه أمر ما من طلب  
له أو هرب عنه . " (٢)

ثم أكد على دور الخيال في تعريفه للشعور وفي تعريفه للتخييل  
فقال في تعريفه للشعر " الشعر كلام موزون مختص في لسان العرب بزيادة

(١) منهاج البلغاء وسراج الأديب ص ٨٥ .

(٢) حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأديب ص ٨٦ .

التقية الى ذلك . والتقاه من مقدمات مخيلة ، صادقة كانت أو كاذبة ، لا يشترط فيها - بما هي شعر غير التخيل " (١) وقال في تعريفه للتخيل " والتخيل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها أو تصورشيء آخر بها انفعالا من غير روية الى جهة من الانبساط أو الانقباض " (٢) .

ويلاحظ توسيعه للتخيل ليشمل اللفظ والمعنى والأسلوب والنظام ، وهذه الأربعة هي أنحاء الشعر فالتخيل في الشعر " يقع في أربعة أنحاء : من جهة المعنى ، ومن جهة الأسلوب ، ومن جهة اللفظ ، ومن جهة النظم والوزن " (٣) .

ومن هنا عد حازم التخيل هو المهم في الشعر وأنه يعتبر شعراً بما فيه من تخيل لا بما هو صدق أو كذب . ولكن الصدق — التخيل له المقام الأول والآخر الفاعل : " فأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيئته ، وقويت شهرته أو صدقه أو خفي كذبه ، وقامت غرابته وإن كان قد يعد حذقا للشاعر اقتداره على ترويح الكذب وتمويهه على النفس ، وإعجالها إلى التأثير له قبل أعمالها الروية فيما هو عليه ، فهذا

(١) حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها .

يرجع إلى الشاعر وشدة تخييله في إيقاع الدلسة للنفس في الكلام فأما أن يكون ذلك بشيء يرجع إلى ذات الكلام فلا". (١)

وهذه إشارة واضحة إلى تقديم الصدق وحسن المحاكاة ، وأن القدرة على ترويح الكذب تعد مهارة للشاعر ولكنها تنقص من أفضلية الشعر ، وليس هنا مساواة بين الصدق والكذب كما كان يرى الدكتور شكري عياد . (٢)

وإنما تفضيل للصدق ويدعم هذا التفضيل في عدة مواضع من كتابه منها قوله : " . . . فكذاك المعاني التي تكون الأثاويل فيها صادقة أو مشتهرة ، أفضل ما يستعمل في الشعر لكونها تحرك النفوس إلى ما يراد منها تحريكا شديدا ، وليست تحرك الأثاويل الكاذبة إلا حيث يكون في الكذب بعض خفاء أو حيث يحمل النفس شدة ولعبها بالكلام لفرط ما أبدع فيه على الانقياد لمقتضاه ، وإن ما يكره ولا يصدق الحاض عليه ومع هذا فتحريكها دون تحريك الأثاويل الصادقة إذا تساوى فيها الخيال وما يعضده ما داخل الكلام وخارجيه فتحريك الصادقة عام فيها قوي ، وتحريك الكاذبة خاص فيها ضعيف . وما عم التحريك فيه وقوي كان أخلق بأن يجعل عمدة في الاستعمال حيث يتأتى " . (٣)

(١) حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) انظر كتاب ارسطوطاليس في الشعر ص ٢٦٨ .

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٨٢ .

ويتضح من هذا النص ، أن التقارب بين الصدق والخيال أكثر من التقارب بين الكذب والخيال ، وأن الصدق مع الخيال يودي الغرض من الشعر وهو تحريك النفوس إلى ما يراد منها ، وليس يحرك الخيال مع الكذب الا اذا خفي كذبه ، و " أن حازما وإن جعل للمعاني الصادقة المرتبة الأولى في الشعر فانه لم ينظر إليها من حيث صدقها كما نظر إليها عبد القاهر ، بل انما قدمها لأنها أقوى في التخيل ، فهي لا تشير في الفكر معارضة تضعف أثر المحاكاة " (١) ، وهذه ميزة فنية للصدق مع التخيل لا تتوفر لنقيضه الكذب ، وأن المعاني الصادقة اذا توافر معها الخيال فهي عمدة الاستعمال .

ومن أقواله التي فضّل فيها الصدق قوله : " فقد تبين أن أفضل المواد المعنوية في الشعر ما صدق وكان مشتهرا ، وأحسن الألفاظ ما عذب ولم يبتذل في الاستعمال " . (٢)

ثم انتقد من فضّل الكذب بقوله : " وتبين بهذا أن قول من قال : إن مقدمات الشعر لا تكون الا كاذبة كاذب وأنه بمنزلة من يقول : إن الألفاظ الشعرية لا تكون الا حوشية ولا تكون مستعملة ، لأن الألفاظ المستعملة والمقدمات الصادقة أولى ما يستعمل في الشعر حيث يمكن ذلك ويكون الوضع والغرض لائقا به . وما مثله في قصر الشعر على الكذب مع أن الصدق أنجع فيه اذا وافق الغرض الا مثل من منع من ذي علة

---

(١) الدكتور شكري عياد - كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص ٢٦٩ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٨٢ .

ما هو أشد له موافقة بالنسبة إلى شكاته واقتصر به على أدنى ما يوافقته مع التمكن من هذا وذلك". (١)

فالصدق يتفق مع الخيال عند حازم القرطاجني في أكثر المواضع الشعرية بل الصدق أدخل في الخيال وأقرب له ، ولكن القسمة المنطقية التي اعتمدها حازم اقتضت أن يقسم مواطن الصدق والكذب خمسة مواطن فرأى : " أن الشعر له مواطن لا يصلح فيها الا استعمال الأقاويل الصادقة ، ومواطن لا يصلح فيها الا استعمال الأقاويل الكاذبة ، ومواطن يصلح فيها استعمال الصادقة والكاذبة واستعمال الصادقة أكثر وأحسن ، ومواطن يحسن فيها استعمال الصادقة والكاذبة واستعمال الكاذبة أكثر وأحسن ، ومواطن تستعمل فيها ككلاهما من غير ترجيح". (٢)

وقد اشترط بعد هذه القسمة المنطقية المتساوية شروطا كثيرة لتسوية الكذب حتى يكون مقبولا منها : خفاء الكذب (٣) ، وأن يكون مخيلا بدرجة كبيرة تجعله يحرك النفوس ويعجلها إلى التأثر به قبل أعمال الروية (٤) ، ومنها أن يكون المقصود منه جلب منفعة كتحذير قوم من عدو (٥) ، ومنها الأمور التي قصد منها الغش أو التهمك فانها لا تكون الا كاذبة ، مما يجعله أضيق حدودا ، وأقل استعمالا في الشعر.

- 
- (١) منهاج البلغاء وسراج الأدياء ص ٨٣ .  
(٢) حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدياء ص ٨٥ .  
(٣) انظر المصدر السابق ص ٧١ .  
(٤) انظر المصدر السابق ص ٧٢ .  
(٥) انظر المصدر السابق ص ٨٤ .  
(٦) انظر المصدر السابق ص ١٤٥ .

ويبدو أن نظرة حازم للخيال وعلاقته بالصدق والكذب نظرة موضوعية شاملة ، فقد أعطت الخيال مجالا أوسع ومزجته بالصدق لأول مرة في تاريخ الفكر العربي ، وتعد مدخلا لمفهوم الخيال عند الأدباء المعاصرين الذين عرفوه بأنه " قوة تتصرف في المعاني لتنتزع منها صوراً بديعة وهذه القوة إنما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقتها من طريق الحس أو الوجدان وليس في إمكانها أن تبعد شيئا من عناصر لم يتقدم للتخييل معرفتها " (١) وهذا التعريف للخيال لا يبعد كثيرا عن تقسيم حازم الخيال الى قوة حافظة وقوة مائزة ، وقوة صانعة . (٢) فحفظ الصور في الذهن متازا بعضها عن بعض ثم إعادة تشكيلها هو ما توصل اليه الأدباء المعاصرون .

وقد أيد هذا المفهوم محمد الخضر حسين لأنه توسيع لدائرة الخيال لتشمل التصديقات وغيرها ولأن " اطلاق لفظ التخييل أو الخيال في صدر الحديث عن المعاني الصادقة والتصورات المعقولة لا يحيط من قيمتها أو يمس حرمتها بنقيصة " . (٣)

وهكذا يتضح ارتباط الخيال بالصدق من خلال الصورة الشعرية التي توارد على معالجتها النقاد العرب منذ الجاهل

(١) محمد الخضر حسين - الخيال في الشعر العربي ص ١٣٠ .

(٢) انظر ص ١٤٥ من هذا الفصل .

(٣) الخيال في الشعر العربي ص ١٢٠ .

حتى حازم القرطاجني ، حيث عالج المتقدمون منهم مقومات الصورة الشعرية التي يقوم عليها الخيال دون أن يصرحوا بمصطلح الخيال الذي صرح به عبد القاهر الجرجاني وتوسع في معالجة مفهومه وتبعه حازم القرطاجني الذي توسع في دراسة مفهوم الخيال واولاها عناية لم تكن عند سابقيه من النقاد العرب .



# الفصل الثاني

الخيال والمبالغة

## الفصل الثاني

### الخيال والمبالغة

عرف الشعر العربي المبالغة منذ العهد الجاهلي ولكنها لم تعرف بهذا الاسم الاصطلاحي عند البلاغيين الا في عهد متأخر كما هو الحال في كثير من المصطلحات البلاغية والنقدية وقد رأى بعض النقاد أن أول من طلب المبالغة في الشعر هو النابغة الذبياني في نقده لأبيات حسان بن ثابت :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى

وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ نَمَا

وَلَدَنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّرٍ

فَأَكْرِمُ بِنَا خَالًا وَأَكْرِمُ بِنَا ابْنَمَا

عندما قال له : " أنت شاعر ولكنك أقلت جفانك وأسيفك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك " (١) غير أن المبالغة في الشعر الجاهلي لم تتجاوز الحد المألوف بين الشاعر والمتلقي لأن الشعر الجاهلي يغلب عليه الواقعية والوضوح في معظمه وأن الذوق الجاهلي كان يكره التزويد والمغلاة .

(١) المرزباني - الموشح ص ٨٢ ، وانظر ابن رشيق - العمدة ٢/٥٣ .

ثم جاء الاسلام وبدأت الواقعية الاسلامية التي تتحرى الحقيقة والصدق تبرز بشكل واضح فقد أثنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه على زهير لأنه " لا يمدح الرجل الا بما فيه " (١) . ولكن المبالغات المعقولة التي لا تخرج الى الغلو والافراط كانت ترد في الشعر الاسلامي دون أن يعترض عليها معترض لأنها في حدود الواقع والحقيقة ويمكن أن نعتبر من ذلك قول كعب بن مالك : (٢)

نَصِلُ السِّوْفَ إِذَا قَصْرَنَ بِخَطُونَا

قَدَمَا وَنُلْحِقَهَا إِذَا لَمْ تُلْحَقْ

فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتِهِمَا

بَلَّهَ الْأَكْفَ كَأَنَّهَا لَمْ تُخَلِّقْ

وقد أدرك بعض النقاد ميل الشعر العربي في الجاهلية والاسلام الى الحقيقة وما قاربها ونزوعه الى الافصاح وتقريب المعاني في معظه وقد نقل ابن رشيقي عن بعض الحذاق بنقد الشعر قولهم " المبالغة ربما أحالت المعنى ولبسته على السامع ، فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره ، لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه ، لأنه ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضاً الابانة والافصاح ، وتقريب المعنى على السامع ، فإن العرب إنما فضلت بالبيان والفصاحة ،

(١) محمد بن سلام - طبقات فحول الشعراء ١/٦٣٠

(٢) ديوانه - ص ٢٤٥

وحلا منطقتها في الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة، وإشارات لطيفة، تكسبه بيانا، وتصوره في القلوب تصويرا، ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء". (١)

فالنص يظهر ميل هو "لا" النقاد الى الاقتصاد والمقاربه لأنها من أسباب قبول الشعر لدى السامع، وهو إدراك لتفضيل القدماء للحقيقة ومعدهم عن المبالغة المفرطة.

ولما كان الحديث عن المبالغة في هذا الفصل مخصصا لفترة معينة تبدأ منذ بداية التأليف النقدي والبلاغي حتى القرن السابع وهي فترة بداية مصطلح المبالغة وتطوره فاننا سنعرض رؤية النقاد والبلاغيين حول المبالغة قبولا ورفضاً وعلاقتها بقضية الصدق.

فالجاحظ قسم الشعر الى مقتصد صادق، ومفرط مسرف المعنى وذلك في قوله: " واذ قد ذكرنا شيئا من الشعر في صفة الضرب والطعن فقد ينبغي أن نذكر بعض ما يشاكل هذا الباب من اسراف من أسرف فأما من أفرط فقول مهلهل:

•  
وَلَوْ لَا الرِّيحُ أُسْمِعَ أَهْلَ حَجْرٍ  
(٢) صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بِالدُّكُورِ

(١) العمدة ٥٣/٢

(٢) الحيوان ٤١٨/٦

ونفهم من استشهاده على الشعر المفرط بهذا البيت الذي عرف بأنه أكذب بيت في الشعر كما ذكر معاصره ابن قتيبة (١) - أن الافراط هو الكذب ، ويفهم هذا المعنى للافراط أيضا من وصف الجاحظ له بالاسراف ووضعه مقابل الشعر المقتصد الذي وصف قائله بالصدق في قوله \* ومن أشعار المقتصدين في الشعر أنشدني قطرب :

تَرَكْتُ الرَّكَابَ لِأَرْبَابِهِمْ  
فَأَجْهَدْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ الصَّعْقِ  
جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَاحِلَهُ  
وَبَعْضُ الْفَوَارِسِ لَا تَعْتَنِي قُ

ومن صدق عن نفسه عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

وَأَقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي  
وَضُرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ  
وَقَوْلِي كَمَا جَشَّاتُ وَجَشَّاتُ  
مَكَانِكَ تَحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي \* (٢)

اما تلك الأبيات وأمثالها التي تعد اسرافا وافرطسا عند الجاحظ فقد وصفها ابن قتيبة بالافراط والكذب فقال عن

(١) انظر الشعر والشعراء ١/٢٩٧ .

(٢) الحيوان ٦/٤٢٥ .

المهلهل : " وهو أحد الشعراء الكذبة لقوله :

وَلَوْلَا الرِّيحُ أُسْمِعَ أَهْلَ حَجْرٍ  
(١) صَلِيلَ البَيْخِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ "

وعن النير بن تولب قال : " وما يعاب عليه قوله في وصف سيف :

تَظَلُّ تُحْفِرُ عَنْهُ إِنْ صَرَبْتَ بِسَيْفِهِ  
بَعْدَ الذَّرَاعِيَيْنِ وَالسَّاقِيَيْنِ وَالنَّهَارِي

... وهذا من الافراط والكذب " . (٢)

ويجد وما تقدم أن الافراط والاسراف والكذب سميات  
لمعنى واحد عند الجاحظ وابن قتيبة وأنها تتناوب في الاستعمال في  
مقابل الصدق والاقتصاد .

أما قدامة بن جعفر فقد وصف بيتي  
مهلهل والنمر بن تولب السابقين وكذلك بيت أبي نواس :

وَأَخَفَتِ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى إِنَّهُ  
لَتَخَافُكَ النَّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخَلِّقِ

بالغلو مفضلاً هذا الغلو مع اعترافه ضمناً بأنه هو الكذب في قوله :  
" إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر

(١) الشعر والشعراء ١ / ٢٩٧ .

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه ص ٣١١ .

والشعراء قديما وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لفتهم " . ( ١ )

ولكنه اضطر للدفاع عن موقفه في قبول الأبيات السابقة اما لعلمه بكراهة الناس لهذه الأبيات ووصفهم لها بالكذب واما للتخفيف والتراجع عن الغلو والكذب إلى ما هو أقل ، وهو المبالغة فقال : " ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم المتقدم ذكره فهو مخطيء " لأنهم وغيرهم ممن ذهب إلى الغلو إنما أرادوا به المبالغة " . ( ٢ )

وهذا النص يلمح الماحا باهتا إلى أن الغلو غير المبالغة خاصة عند قبوله مسمى المبالغة لأبيات اتفق من قبله من النقاد على أنها غلو وكذب وافرط ، وعنده أنها للغلو . ولكن الدكتور بدوي طبانة قد فهم تفريق قدامة بين الغلو والمبالغة فقال : " والغلو عند قدامة وبعض البلاغيين والنقاد غير المبالغة " . ( ٣ )

غير أن الاستاذ علي سرحان يرى غير ذلك ولا يتفق مع الدكتور بدوي طبانة ويرى في حكم الدكتور بدوي طبانة كثيرا من التسرع . ( ٤ )

- 
- ( ١ ) نقد الشعر ص ٩٤ .  
( ٢ ) المرجع السابق الصفحة نفسها .  
( ٣ ) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي - مصر ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ص ٢٧٢ .  
( ٤ ) انظر المبالغة في البلاغة العربية تاريخها وصورها - السعودية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ص ٣٢ .

ونخرج بانطباع هو أن قدامة استعمل الأُمثلة التي استعملها الجاحظ وابن قتيبة للكذب والغلو والافراط تحت مسمى الغلو غير أنه يختلف عنهما في تفضيله للغلو والكذب وفي استخدامه مسمى المبالغة لهذا النوع إذالم يخرج لحيز المعدوم ففي تعريفه للمبالغة قال : " وهي أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لاجزاء ذلك في الغرض الذي قصده ، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فسي قصده وذلك مثل قول عمير بن الأبيهم التغلبي :

ونكرم جارنا ما دامَ فينا

وتبعم الكرامة حيث سارا

فاكرامهم للجار ما كان فيهم من الأُخلاق الجميلة الموصوفة ، واتباعهم الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل " . (١)

وقد فضل الآمدي الصدق والحقائق ، أو الاقتصاد وما دنا

من الحقائق فقال رداً على من فضل الكذب في الشعر " وقد كان قوم من الرواة يقولون أجود الشعر أكذبه ، ولا والله ما أجوده إلا أصدقه " وقال في موضع آخر : " وكل ما دنا من المعاني من الحقائق كان

(١) نقد الشعر ص ١٤٦ .

(٢) الموازنة ٥٨/٢ .



ألوط بالنفس وأحلى في السمع وأولى بالاستجادة". (١)

وهذا مخالف لما رآه قدامة من تفضيل الكذب أو الافراط والغلو ولعله قصد قدامة فيمن قصد برده هذا خاصة إذا عرفنا أنه قد اطلع على كتاب قدامة ورد بعض ما ورد فيه كما ذكر في الموازنة. (٢)

أما معنى المبالغة عند الآمدي فهو قريب من معنى التوسع وهو دون معنى الافراط والاسراف والاحالة ، والمبالغة مقبولة ومستحسنة عند الآمدي في هذا الحد فقد قال معلقا على بيت ذي الرمة :

والقرط في حسرة الذفرى معلقة

تباعد الحبل منه فهو يضطرب (٣)

"فدل بقوله (تباعد الحبل منه) على طول عنق المرأة . فهذه المبالغة لاثقة مستحسنة لأنه دل على الوصف بالشئ الذي يخص الموصوف ، لا بالشئ الذي يخص غيره" (٤) ، وقد قبل الآمدي بيت النابغة في وصف عنق المرأة :

إِذَا ارْتَعَشَتْ خَافَ الْجَبَانَ ارْتِعَاشَهَا

وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَيْثُ عُلِّقَ يَفُورِقُ

(١) الموازنة ١/١٥٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ٢/٣٦٨ .

(٣) الذفرى : الذفريان : حميدان عن يمين نقرة الأذن وشمالها

وحررة الذفرى : موضع مجال القرط من العنق ، انظر : لسان

العرب مادة ( ذفر ) .

(٤) الموازنة : ١/١٥٦ .

تحت سمي المبالغة رغم ما فيه من إفراط، لأن مخرجه مخرج المثل،  
فقال معلقاً على البيت \* فجعل القرط يخاف أن يسقط من هناك ،  
(١)  
فيهلك وإنما أخرج هذا كالمثل؛ أي لو كان ما يقع منه الخوف لخاف\*.

ولكن إذا خرجت المبالغة عن طورها إلى الاسراف والافراط  
والغلو فهي قبيحة وغير مقبولة فقد علق الآمدي على أبيات أبي تمام: (٢)

أَرَامَةٌ كُنْتَ مَأْلَفَ كُلِّ رِيَمٍ  
لَوِ اسْتَمْتَعْتَ بِالْأُنْسِ الْقَدِيمِ  
أَدَارَ الْبُوءِ مِنْ حَسَنِكَ التَّصَائِي  
إِلَيَّ فَصِرَتْ جَنَاتِ النَّعِيمِ  
لَئِنْ أَصْبَحْتَ مَيِّدَانَ السَّوْفِي  
(٣) لَقَدْ أَصْبَحْتَ مَيِّدَانَ الْهُمُومِ  
وَمِمَّا ضَرَمَ الْبُرْحَاءُ أَنْسِي  
(٤) شَاكُوتُ فَمَا شَاكُوتُ إِلَى رَهِيمِ  
أُظُنُّ الدَّمَاعَ فِي خَدِّي سَتِيْبَقِي  
رُسُومًا مِنْ بُكَائِي فِي الرُّسُومِ

- 
- (١) الموازنة ١/١٥٦٠  
(٢) ديوانه بشرح الخطيب اليتيريزي ، تحقيق محمد عبده  
عزام - مصر ١٩٧٠ ، ٣/١٦٠  
(٣) السوافي : جمع سافية وهي الريح التي تسفئ التراب ، انظر:  
لسان العرب ، مادة : سفا .  
(٤) البرحاء : الشدة والمشقة ، وخص بعضهم به شدة الحمى .  
انظر : لسان العرب ، مادة : برح .

فقال \* وقوله ( فصرت جنات النعيم ) معنى حسن ، ولكن فيه اسراف أن يجعل دارا خلت من أهلها دار بوءس وهوباك فيها - جنات النعيم - .  
وقد أتى البحري بهذا المعنى متبعا فيه أبا تمام ولكن جاء به على سبيل اقتصار واعتدال ، وتجنب الافراط فقال :

يَا مَغَانِي الْأَحْبَابِ صرْتُ رُسُومًا

وَعَدَا الدَّهْرُ فِيكَ عِنْدِي مَلُومًا

(١)

أَلِفُ الْبُوءَسِ عَرَضَتْكَ وَقَدْ كُنْتَ بِعَيْنِي جَنَّةً وَنَعِيمًا\*

أما كراهته للفلو والاحالة فقد وردت في عدة مواضع في كتابه الموازنة منها قوله : \* والتفصيل الحسن الذي لا غلو فيه وكان قائله قد غلا - قول البحري أيضا في أبي ليلى الحارث بن عبد العزيز بن دلف :

يَبِينُ بِالْفَضْلِ أَقْوَامٌ فَيَفْضُلُهُمْ

مَوْحَدٌ بِغَرِيبِ الذَّكْرِ مُنْفَرِدٌ

تَوَحَّدَ الْقَمَرُ السَّارِي بِشَهْرَتِهِ

(٢)

وَأَنْجَمَ اللَّيْلَ نَشْرُحَوْلَهُ بَبَدْرٌ\*

- 
- (١) الموازنة ٤٧٩/١ وعرضة الدار وسطها ، والعرضة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء . انظر : لسان العرب ، مادة عرض .
- (٢) المرجع السابق ٢ / ٣٥١ .

وقوله تعليقا على بيت أبي تمام :<sup>(١)</sup>

بِیَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ

وَوَجْدِي مِنْ هَذَا وَهَذَاكَ أَطْوَلُ

" فجعل للدهر وهو الزمان عرضا ، وذلك محض المحال ، وعلى أنه ما كانت به اليه حاجة لأنه قد استوفى المعنى بقوله ( كطول الدهر ) فأتى على الفرض في المبالغة " .<sup>(٢)</sup>

أما ما قبله الآمدي من الشعر رغم إفراطه وغلوه واحالته فقد قبله لأسباب محددة منها أن يكون مخرجه مخرج التوسع والمبالغة لأن " الاحالة فيما مخرجه مخرج الحقيقة أقبح من الاحالة فيما مخرجه مخرج التوسع والمبالغة " .<sup>(٣)</sup>

ومنها أن يكون مخرجه مخرج النوادر وذلك في قوله :

" وقد يجالغ الشاعر في أشياء حتى يخرج فيها إلى المحال ويخرج

بعضها مخرج النوادر فيستحسن ولا يستقبح ، نحو قول الشاعر :

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَبَّتِي      تَشْبِيهُ البَدْرِ إِذْ بَدَا

تَدَخَّلُ اليَوْمَ ثُمَّ تَد      خَلُّ أَرْدَافِهَا غَدًا " .<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ٠٧٢/٣

(٢) الموازنة ٠١٩٧/١

(٣) المصدر السابق ٠١٥٤/١

(٤) المصدر السابق ٠١٥٥/١

وقد علق الأستاز عالي سرحان ( القرشي ) على موقف  
الأمدي من المبالغة بقوله : " فانه يظهر من خلال أحاديثه ونقداً  
أن للمبالغة حداً تقبل فيه وأن هناك حداً لا تقبل فيه ، فهي تقبل  
ما لم تبلغ درجة المحال " . ( ١ )

وهذا صحيح فيما يبدو ولكن عندما تخرج المبالغة إلى هذا  
الحد الذي لا تقبل فيه ، فإن الأمدي يخرج مساهماً من المبالغة  
إلى مسميات أخرى كالأفراط والاسراف والاحالة والغلو .

أما الحاشي فقد وضح حد المبالغة وفرق بينها وبين الغلو  
متعباً من لا يفرق بينهما فقال في حوار مع أبي الطيب القنبي :  
" فقلت له : هذا قول من لا يفرق بين الاستعارة والحقيقة ولا بين  
الغلو والمبالغة ، فقال : وهل بين الغلو والمبالغة فرق ؟ فقلت :  
كل الفرق .

قال عنتره يصف فرسه :

فَأَزُورَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بَلْبَانِيهِ

وَشَكَاَ إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمُحُمِ ( ٢ )

( ١ ) المبالغة في المبالغة العربية ص ٣٩ .

( ٢ ) أزور : مال ، التحمحم : صوت الفرس دون الصهيل . انظر

لسان العرب مادة زور ، حمم .

فجعل اشتكاه الفرس اليه ، ان كان من الحيوان الذي لا ينطق ، بحمته  
وعبرته دون النطق والعبارة . فلم يخرجها عما هو له ، ثم كشف المعنى  
في البيت الأ خير :

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى  
وَلَكَانَ لَوْ عَرَفَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي

وقد أخذ المعنى بشاربن برد وأحسن بقوله :

وَلَمَّا تَوَلَّى الْحَرَ وَاغْتَصَرَ الشَّرِي  
لَطَى الْقَيْظِ مِنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ لِاهِبُهُ  
وَطَارَتْ عَصَافِيرُ الشَّقَائِقِ وَاكْتَسَى

مِنَ الْآلِ أَمْثَالَ الْمَجْرَةِ قَاصِبُهُ

غَدَّتْ عَانَةٌ تَشْكُو بِأَبْصَارِهَا الصَّدَى

إِلَى الْجَابِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُخَاطِبُهُ (١)

فهذه المبالغة في الوصف من غير عدول عن الحقيقة ، ونحوه قول ابن هرمة  
واصفا كلباً :

يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلاً

يكلمه من حبه وهو أعجم

فقرن بهذه المبالغة ( يكاد ) فأخرجها عن الغلو الذي يمتنع عن

---

(١) العانة : جماعة حمر الوحش ، الجأب : الحمار الغليظ وهو  
فحلها وقائدها ، انظر لسان العرب مادة عون وجأب .

الحقيقة . . . وانظر الى قول المثقب العبدى في هذا المعنى حاكيا  
عن ناقته ما يسعد كل البعد عن الحقيقة :

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي

أَهَذَا رِيئُهُ أَبَدًا وَدِينِي (١)

أَكَلَ الدَّهْرُ حُلًّا وَارْتَحَالَ

أَمَّا يُبْقِي عَلَيَّ وَلَا يَقِينِي

فهذا هو الغلو البعيد كل البعد عن الحقيقة ، وانما ذهب الى أن الناقة  
لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول " (٢)

وهذا التفريق بين الغلو والمبالغة ربما كان معروفا منذ  
الجاحظ وابن قتيبة اللذين فرقا بين الشعر المقتصد والمتجاوز المفرط  
غير أن تسمية ذلك بالمبالغة والغلوم تكن قد عرفت في عهدهما كما هي  
في عهد الحاتمي ، أما ابن طباطبا فقد وضح عنده الفرق بين هذين  
المصطلحين وإن كانا بغير هذه التسمية فقد فرَّق بين التشبيه المباع

---

(١) درأت وضيئ البعير : اذا بسطته على الارض ، ثم أبركته عليه لتشده  
به ، والوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر يشد به  
الرحل على البعير . الصناعتين ١٢١ .

(٢) الرسالة الموضحة - تحقيق : د / محمد يوسف نجم - بيروت ١٣٨٥ هـ /  
١٩٦٥ ص ٩٤ ، ٩٥ .

للحقيقة ، والمقارب للحقيقة <sup>(١)</sup> بالأمثلة التي مثل بها الحاتمي للمبالغة والغلو ، فربما كان الحاتمي متأثراً بابن طباطبا في هذا الاستشهاد ، وإن كان قد انفرد عنه بهذه التسمية الاصطلاحية التي لم تكن من ابداع الحاتمي وإنما قد وجدت قبله فاستعملها ، وهو مدرك الفرق بين مصطلحي الغلو والمبالغة .  
(٢)

وقد فرق أبو هلال العسكري بين الغلو والمبالغة ، فالغلو عنده "تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه الى غاية لا يكاد يبلغها" <sup>(٣)</sup> بينما المبالغة "أن تبلغ بالمعنى أقصى غايته ، وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر في العبارة عنه أدنى منازله وأقرب مراتبه" .<sup>(٤)</sup>

فالمبالغة لا تخرج عن الحقيقة إلى المحال بينما الغلو يخرج إلى ما لا يمكن حدوثه فهو لا يبعد عن معنى الكذب . وفي الأمثلة التي مثل بها للغلو ما يشير إلى هذا المعنى فقد مثل بقول الشاعر :

يَتَقَارِضُونَ إِذَا التَّقَوْا فِي مَوَاطِنٍ  
نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِنِيءَ الْأَقْدَامِ

وقول الشاعر :

فَرَجِّي الْخَمِيرَ وَأَنْتِظِرِي إِيَّابِي  
إِذَا مَا الْقَارِظُ الْعَنْزِيءُ أَبَا

(١) انظر عيار الشعر ص ١٥٨ .

(٢) انظر : الرسالة الموضحة ص ٩٥ .

(٣) الصداعتين ص ٣٦٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٧٨ .



وقول النابغة :

فإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَنَاهَهُنَّ  
إِذَا مَا شَبَّتْ أَوْشَابَ الْفُكْرَابُ

وفي أثناء أشلته الكثيرة للغلو كان يقرنه أحيانا بالافراط ويفرده أحيانا دون اقتران وذلك في مثل قوله : " ومثله في الافراط والغلو قول الخشعي :

يُدْلِي يَدَيْهِ إِلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَقِي  
فِي سَرْحَةٍ بَدَلِ الرَّشَاءِ الْمُحْصَدِ

... ومن الافراط قول الموهل :

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَبَّتِي  
تُدْخِلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَدُ  
تُشْبِهُ الْبَدْرَ إِذْ بَدَا  
خَلُّ أَرْدَافِهَا غَدَا (١)

ولكنه لم يحدد موقفه من قبول الغلو أو رفضه فيما يبدو وذلك في نقله لرأى الناس فيه كما هو في قوله " ومن الناس من يكره الافراط الشديد ويعيبه وإذا تحرز المبالغ واستظهر فأورد شرطا أو جاء - بكاد - وما جرى مجراها يسلم من العيب ، وذلك مثل قول الأمل :

لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ  
كُنْتَ الْمُنَوَّرَ لَيْلَةَ الْبَسْدِ (٢)

(١) الصناعتين ٣٧٣ .

(٢) المرجع السابق ٣٧٥ .

ولعل هذا هو ما جعل الدكتور بدوي طبانة يصف أبا هلال بأنه " من النقاد المقلدين " . (١)

غير أن الغلو عند أبي هلال - كما عند معظم النقاد - اذا خرج الى المحال فهو معيب بل ترك تداوله أولى وكأنه بهذا يقبل نوعاً من الغلو القريب من الحقيقة فقد أكد أن " من عيوب الغلو أن يخرج فيه الى المحال ، ويشوبه بسوء الاستعارة ، وقبيح العبارة كقول أبي نواس :

تَوَهَّمَتْهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأَنَّهَا  
تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ يُدْرِكُ بِالْعَقْلِ

وَصَفْرَاءَ أَبَقَى الدَّهْرُ مَكْنُونِ رُوحِهَا  
وَقَدْ مَاتَ مِنْ مَخْبُورِهَا جَوْهَرُ الكَلِّ

فَمَا يَرْتَقِي التَّكْيِيفُ مِنْهَا إِلَى مَدَى  
تُحَدُّ بِهِ إِلَّا وَمِنْ قَبْلِهِ قَبِيْلٌ

فجعلها لا تدرك بالعقل ، وجعلها لا أول لها ، وقوله - جوهر الكل والتكليف - في غاية التكلف ونهاية التعسف . ومثل هذا من الكلام مردود ، لا يشتغل بالاحتجاج عنه له ، والتحسين لأمره ، وهو بترك التداول أولى . الا على وجه التعجب منه ومن قائله " . (٢)

(١) ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية - مصر ١٣٨٠هـ /

١٩٦٠م ص ١٥١ .

(٢) الصناعتين ص ٣٧٦ .

أما المبالغة فقد مثل لها بما يضعها بعيدة عن الغلو كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ ﴾ <sup>(١)</sup> قال في تفسيره للآية : " ولو قال تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا وبلاغة كاملة . . . وإنما خص المرضعة للمبالغة لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفة حاجته إليها " <sup>(٢)</sup> ومن أمثله على المبالغة قول الشاعر :

وَ تَنْكُرُمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا

وَ نَتَّبِعُهُ الْكِرَامَةَ حَيْثُ مَالَا

فاكرامهم الجار ما دام فيهم مكرمة واتباعهم اياه الكرامة حيث مال من المبالغة " <sup>(٣)</sup> وبهذا فلا علاقة للمبالغة بالغلو عنده .

وكان الثعالبي يعيب على المتنبي الافراط في المبالغة والخروج فيه الى الاحالة وهذا دليل على قبوله للمبالغة المعقولة ، وقد مثل على الافراط في المبالغة بأبيات من شعر المتنبي منها قوله : <sup>(٤)</sup>

وَتَأَلَّوْا مَا اشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْنَا

وَ صَادَ الْوَحْشَ نَطَلَهُمْ دَبِيبَا

- 
- (١) سورة الحج آية ٥٢  
(٢) الصناعتين ص ٣٧٨ . ورغم أن أبا هلال لا يقصد من المبالغة في الآية الا معناها القريب الذي لا يبعد عن الحقيقة الا أننا لا نقبل منه اطلاق لفظ المبالغة على القرآن والله أعلم .  
(٣) المرجع السابق ص ٣٧٩  
(٤) ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري - تحقيق : مصطفى السقا وزملائه - بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٨م - ١ / ١٤٤٤هـ

وقوله : (١)

وَصَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى صَارَ هَارِبُهُمْ  
إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلاً  
فَبَعْدَهُ وَإِلَى ذَا الْيَوْمِ لَوْرَكَضَتْ  
بِالْخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطِّفْلِ مَاسَعِلاً

وقوله : (٢)

وَلَوْ قَلَّمَ الْقَيْتَ فِي شَقِّ رَأْسِهِ  
مِنَ السُّقْمِ مَا غَيَّرَتْ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ

وقوله : (٣)

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ  
كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ أَخْرَهُ

وقد علق على هذا الشعر الذي خرجت فيه المبالغة إلى الافراط والاحالة

بقوله : \* فهو ما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيرا من النقدة لا

يرتضون هذا الافراط كه \* . (٤)

-----

(١) ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري - ١٦٩/٣

(٢) المصدر السابق ١٤٩/١

(٣) المصدر السابق ١١٨/٢

(٤) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد (بيروت ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م) ١ / ٦٤

وكان ابن رشيقي يرى أن المبالغة غير الافراط والغلو والاغراق ،  
وهذه الثلاثة ذات معنى واحد وإن اختلفت تسمياتها (١) ، وليس  
ابن رشيقي سابقا في تفرقة بين المبالغة والغلو بل هذا دأب كثير من  
النقاد السابقين له كقدامة بن جعفر والآمدي وأبي هلال وغيرهم .

وقد عقد ابن رشيقي للمبالغة فصلا مستقلا عن الغلو والايغال  
مع أن الايغال يعد ضربا من ضروبها عنده . وقد بدأ حديثه الطويل  
عن المبالغة ببيان آراء الناس فيها فقال : " والناس فيها مختلفون :  
منهم من يوءثرها ، ويقول بتفضيلها ، ويراهم الغاية القصوى في الجودة  
وذلك مشهور من مذهب نابغة بني زبيان . . . . . ومنهم من يعيبها  
وينكرها ويراهم عيبا وهجنة في الكلام . . . . . " (٢)

وللمبالغة عند ابن رشيقي ضروب كثيرة كلها لا تخرج سوى  
الغلو ولذلك فهي مقبولة وحسنة منها : التتميم " ألا ترى أن التتميم  
إذا طلبت حقيقته كان ضربا من المبالغة " . (٣)

ومنهما الحشو فقد قال : " وكذلك ما ناسب قول ابن المعتز  
يصف خيلا :

صَبَبْنَا عَلَيْهِمَا ظَالِمِينَ سَبِيَّاتِنَا

وَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

- 
- (١) انظر العمدة ٢/٦٠ .  
(٢) المصدر السابق ٢/٥٣ .  
(٣) المصدر السابق ٢/٥٤ .

(١)

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو وهو عندي مبالغة".  
ثم أشار إلى أن " من أحسن المبالغة وأغربها عند الحذاق :  
التقصي ، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء ، كقول  
عمرو بن الأبيهم التغلبي :

وَنُكْرِمَ جَارِنَا مَا دَامَ فِينَا  
وَتَتَّبَعُهُ الْكَرَامَةُ حَيْثُ كَانَا

فتقصي ما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه ووصف به قومه". (٢)

ثم بيّن أن أنواع المبالغة التي ذكرها لم ينكرها أحد ، جاءلا  
الغلو نوعا من أنواع المبالغة ولكنه ينكره من ينكر المبالغة من سائر  
أنواعها وهو الذي يقع فيه الخلاف دون ما سواه من أنواع المبالغة .  
ثم قال : " ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه  
وعيبت الاستعارة ، إلى كثير من محاسن الكلام". (٤)

ونستشف من هذا أنه يقبل من المبالغة ما قارب الحقيقة  
أو ما كان تشبيها واستعارة وما جرى مجراها من أدوات الخيال القريبة  
ويرفض كل مبالغة خرجت عن حدها إلى الغلو . ثم بيّن أن من أبيات

(١) العمدة ٢ / ٥٤٠

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه ص ٥٥٠

(٣) انظر المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

(٤) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

المبالغة قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصُوبَ الْغَمَامِ

وَرِيحَ الْخُزَامِي وَنَشْرَ الْقَطْرِ

يَعْلُ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهِمْ

(١) إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحَرَّ

(٢) وقد عقد فصلا مستقلا للغلو وبين أن من أسماء الاغراق والافراط

ودعم رأيه في انكار الغلو بقول الحذاق فيه ومنهم المبرد فقال :

" ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه

الاغراق والغلو، ولا أرى ذلك إلا محالا، لمخالفته الحقيقة وخروجه عن

الواجب والمتعارف وقد قال الحذاق : " خير الكلام الحقائق، فإن لم

يكن فما قاربها وناسبها، وأنشد المبرد قول الأعشى :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْنَ مِنِّي مَعْلَقًا

(٣) بَعُودِ ثَمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُونَهَا

فقال : ( هذا متجاوز، وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبهه،

وأحسن منه ما أصاب الحقيقة فيه ) . . . وأصح الكلام عندي ما قام

عليه الدليل وثبت فيه الشاهد من كتاب الله تعالى، ونحن نجد

-----

(١) انظر العمدة ٥٥/٢

(٢) انظر المصدر السابق الجزء نفسه ص ٦٠

(٣) الثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيهه بالخوص، وربما حشي به

وسد به خصاص البيوت. انظر لسان العرب مادة : ثم .

قد قرن الغلوفيه بالخروج عن الحق ، فقال جل من قائل : \* يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق \* (١)

ثم استشهد ابن رشيقي للذلو بأبيات من الشعر قد استشهد بها سابقوه من النقاد على الغلو والافراط والكذب والتجاوز منها بيت المهلهل :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أُسْمِعَ مِنْ بَحْرِ

صَلِيلِ البَيْضِ تُقْرَعُ بِالذِّكُورِ

وقد علق عليه بقوله : \* وقد قيل إنه أكذب بيت قالته العرب \* . (٢)

وبيت النابغة :

تَقْدُ السُّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسَجَهُ

وَيُوقِدَنَّ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الحَبَابِ (٣)

وبيت أبي نواس :

وَأَخَفَتِ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى إِنَّهُ

لِتَخَافَكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخَلِّقِ

(١) العمدة ٢/٦٠ ، ٦١ ، وانظر الكامل - تحقيق محمد أبو الفضل

ابراهيم والسيد شحاته . مصر بدون / ١ / ٢٩٤ .

(٢) العمدة ٢ / ٦٢ .

(٣) السلوقي : الدرع المنسوب الى سلوق وهي قرية في اليمن ،

كما ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ٣ / ٢٤٢ ، الصفاح :

الحجارة الغليظة . لسان العرب . مادة : صفح .

نار الحباب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة

وحببتها واتقادها - لسان العرب ، مادة : حبيب .



ثم بين ابن رشيقي ما رأى أنه الأقرب الى الصواب اذا كان لا بد من الاغراق الذي هو الغلو فقال : " واذا لم يجد الشاعر بداً من الاغراق لحبه ذلك ونزوع طبعه اليه - فليكن ذلك منه في الندرة، (١) وببيتا في القصيدة إن أفرط ، ولا يجعل هجّيراه كما يفعل أبو الطيب . " وهذا الموقف من ابن رشيقي الراض للغلو مناقض تماما لموقفه في أول كتابه عندما اعتبر أن " من فضائل الشعر أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن فيه " . (٢)

فهل هذا تراجع عن استحسان الكذب في الشعر خاصة وهو في آخر الكتاب ؟ ربما . ولكن ليس من دليل قاطع يثبت تخليه عن مقولته باستحسان الكذب .

أما ابن سنان الخفاجي فقد استخدم المبالغة والغلو والافراط ولكن موقفه من التفريق بين الغلو والمبالغة لم يتضح تماما فهو أحيانا يجمع بينهما نلمس ذلك في حديثه عنهما وتشيله لهما بيت أبي نواس الذي اتفق معظم النقاد على أنه من الغلو وذلك في قوله : " وأما المبالغة في المعنى والغلو فإن الناس مختلفون في حمد الغلو وذمه ، فمنهم من يختاره ويقول : أحسن الشعر أكذبه . . . ومنهم من يكره

(١) العمدة : ٢ / ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٢ .

الغلو والمبالغة التي تخرج الى الاحالة ويختار ما قارب الحقيقة  
ودانى الصحة ، ويعيب قول أبي نواس :

وَأَخَفَتَ أَهْلَ الشَّرِّكَ حَتَّىٰ إِنَّهُ

لتخافك النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

لما في ذلك من الغلو والافراط الخارج عن الحقيقة ، والذي أذهب  
إليه المذهب الأول في حمد المبالغة والغلو ، لأن الشعر مبني على  
الجواز والتسبح ، لكن أرى أن يستعمل في ذلك - كان - وما جرى  
في معناها ، ليكون الكلام أقرب الى حيز الصحة \* (١)

وكذلك يظهر عدم تفرقه بين المبالغة والغلو من استشهاد  
على المبالغة بأبيات من أشد أبيات الغلو (٢) بعداً عن الحقيقة  
كقول النمر بن تولب :

تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ

(٣)

بَعْدَ الذَّرَاعِيْنَ وَالسَّاقِيْنَ وَالنَّهَارِي

وقول النابغة :

تَقْدُ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ

(٤) ويوقدن بالصَّفَاحِ نَارَ الْحَبَاحِيْبِ

(١) سر الفصاحة - شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدي - مصر

١٣٨٩ هـ / ص ٢٦٣

(٢) انظر المصدر السابق ص ٢٦٤ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

ولكن نحس أحيانا تفرقة بين الغلو والمبالغة وذلك من قصره الخلاف بين الناس على الغلو وحده وأن المبالغة لاتستوي معه في الحكم إلا إذا خرجت الى الاحالة ، وأن الغلو صنوا لافراط والكذب كما هو ظاهر في النص السابق .

ولكنه يتفق مع قدامة في تقديم الغلو والمبالغة وإن كان أقرب الى الاعتدال من قدامة لتقديمه ما قارب الصحة باستعمال - كان - وما جرى في معناها .

أما عبد القاهر الجرجاني فقد تناوبت عنده أسماء المبالغة والاغراق والافراط والتجاوز دون تفرقة بينها ، وقد كانت ترد هذه الأسماء في ثنايا حديثه دون أن يخصص لها فصولا معينة أو حديثا خاصا بها يجعله مضطرا لايجاد الفوارق بينها ، ففي حديثه عن الصدق والكذب في الشعر قال : " فمن قال : ( خيره أعدقه ) كان ترك الاغراق والمبالغة والتجاوز " . ( ١ )

فالمبالغة والاغراق والتجاوز هنا بمنزلة لا تصل الى الصدق وهي تشترك في هذه المنزلة ، وإن كان لم يحدد الفوارق بينها في درجة القرب أو البعد من الصدق . وقال في موضع آخر : " وقولهم اذا أفرطوا نور الصباح يخفى في ضوء وجهه ؛ أو نور الشمس مسروق من جبينه ، وما جرى في هذا الأسلوب من وجوه الاغراق والمبالغة " . ( ٢ )

---

( ١ ) أسرار البلاغة ٢ / ١٤٥ .

( ٢ ) المصدر السابق ٢ / ٨٧ .

ولكن ليس معنى ذلك أن عبد القاهر يجهل الفوارق بين هذه المصطلحات ، ففي كلامه ما يدل على فهمه للفوارق بين درجاتها مثل قوله : " وأعلم أن المعنى في المبالغة - وتفسيرنا بقولنا جعل هذا ذاك ، وجعله الأسد ، وأدعى أنه الأسد حقيقة - أن المشبه الشيء بالشيء من شأنه أن ينظر الى الوصف الذي يجمع بين الشئيين ، وينفي عن نفسه الفكر فيما سواه جملة . فاذا شبه بالأسد ألقى صورة الشجاعة بين عينيه ، وألقى ما عداها فلم ينظر اليه ، فان هو قال : زيد كالأسد كان قد أثبت له حظا ظاهرا في الشجاعة ولم يخرج عن الاقتصار ، واذا قال : هو الأسد ، تناهى في الدعوى اما قريبا من المحق لفرط بسالة الرجل ، واما متجاوزا في القول فجعله بحيث لا تنقص شجاعته من شجاعة الأسد ولا يعدم منها شيئا " . (١)

ولكن عبد القاهر لم يشأ الدخول في التفريق بين المبالغة وبين الغلو والافراط والتجاوز ربما لأنها جميعا لا تصل إلى درجة الكذب وإن اختلفت في قربها أو بعدها عن الحقيقة ، ليوسع الحديث عن الخيال الذي يشتهه في وصوله إلى درجة الكذب ، والكذب يقع في مقابل الأمور العقلية والصدق اللذين يفضلهما عبد القاهر كما اتضح ذلك في الفصل الأول من هذا الباب .

أما حازم القرطاجني فقد اختلف عن سابقه في بيانه للمبالغة واستقصائه وتعريفه لأجزائها ، وتحديد كل نوع منها مع بيان المحمود

(١) أسرار البلاغة ٢/١١٧ .

والمذموم ، فقد نضجت في عهده مفاهيم البلاغة بشكل عام وحددت  
تحديدا لا يحتمل اللبس على يد السكاكي وأتباعه من أقطاب مدرسة  
التلخيص وشروحه التي بدأت بالسكاكي . ولا شك أن حازما قد عاصر  
بدايات هذه المدرسة التي تأثرت بالمنطق وعلم الكلام ، والتي نهل حازم  
من منهلها ونهج نهجها في التقسيم والتفريع فقد قسم المعاني الى واجب  
ويمكن وممتنع ومستحيل وقبل الأول والثاني لقربهما من الحقيقة والصدق ،  
ورفض الثالث والرابع لبعدهما عن ذلك وتناهيهما في الاستحالة .  
بيننا الفوارق بين المستحيل والممتنع بتعريف كل منهما فالمستحيل  
" هو الذي لا يمكن وقوعه ولا تصوره ، مثل أن يكون شيء طالعا نازلا  
في حال " (١) والممتنع : " هو الذي يتصور وإن لم يقع كتركيب عضو  
من حيوان على جسد من حيوان آخر " . (٢)

وهو في قبوله للممكن يفضل أن تكرر فيه دواعي الامكان لأنه  
" كما توفرت دواعي الامكان كان الوصف أوقع في النفس وأدخل في حيز  
الصحة ، ولهذا يقال ممكن قريب وممكن بعيد " . (٣)

وهذه الأنواع من المبالغة عند حازم ليست جميعها مقبولة  
فمنها المقبول والمردود وإن كان يشتملها مسمى المبالغة وقد تبين هذا

(١) منهاج البلاغة وسراج الأديب ، ص ١٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

من تعقيبه على حديثه عن المبالغة بقوله : " فهذا يتبين ما يصح ويحسن من المبالغة وما لا يصح منها ولا يحسن " . (١)

ثم عاد حازم الى النقاد والبلاغيين السابقين فاستخلص اجماع السواد الأعظم منهم على ذم الاحالة ، بيد أن " جماعة ممن لا تحقيق عنده في هذه الصناعة ولا بصيرة له بها " (٢) استحسنوا من المبالغة ما خرج عن حد الحقيقة الى حيز الاستحالة . وقد حاول حازم الرد على هؤلاء المخالفين الذين احتجوا بمطالبة النابغة حسان بن ثابت بالمبالغة في أوصافه حين أنشده :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْفُرُّيْلَمَعَنَ بِالضُّحَى

وَأَسْيَافَنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

بقوله : " والبصراء بصناعة البلاغة العارفون بما يجب فيها يقولون : انما طالب النابغة حسانا بمبالغة حقيقية ، وهي تكثير الجفان والسيوف . فاستدرك عليه التقصير عما يمكن فيما وصف ، ولم يطالبه بتجاوز غاية الممكن والخروج الى ما يستحيل " . (٣)

ومن هذا تبين أن حازما يجعل المبالغة عامة للممكن والمستحيل والمستنع وإن كان لا يقبل المستحيل والمستنع من المعاني وهو من المبالغة غير الحقيقية في مقابل المبالغة الحقيقية التي طلبها النابغة من حسان .

(١) منهاج البلاغاء وسراج الأدياء ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق - الصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق - ص ١٣٤ .

ولكنه متفق مع أكثر النقاد في قبول المبالغة المستحيلة  
والكذب في الأمور غير الجادة كالمعاني التي يقصد بها التهكم  
والزراية والاضحاك كقول الطرماح :

وَلَوْ أَنَّ بَرَّعُونًا عَلَى ظَهْرٍ قَسَمَتِ

يَكْرُ عَلَى صَفِيٍّ تَمِيمٍ لَوَلَّتْ (١)

ويظهر لنا بعد هذا العرض الشامل لآراء النقاد والبلاغيين حول المبالغة  
أن من تناولها قبل حازم وقبل مدرسة التلخيص كان يفرق بين المبالغة  
المعقولة وما خرج عن طورها الى الافراط والفلو والاحالة ، وكان قبول  
المبالغة أمراً مفروغاً عنه عندهم ، ولكن عند المغالاة فيها والوصول بها  
الى الاحالة والافراط كانوا يخرجون بها عن مسمى المبالغة الى  
تلك التسميات العديدة التي هي أقرب الى الكذب وهو قبيح وغير  
مقبول اللهم الا عند قلة من النقاد كقدامة بن جعفر وبعض من تأثر به .

بينما بدأت كل هذه التسميات بعد السكاكي تقريبا تدخل تحت  
مسمى المبالغة وبدأ تقسيم المبالغة الى حقيقية مقبولة ومبالغة تصل الى  
الاحالة وهي مرفوضة كما رأينا عند حازم ، وبدأت تقسيمات جديدة الى  
واجب وممكن ومستحيل وممتنع وتحد هذه التسميات بتعريفات جامعة  
مانعة وهي سمة الدراسات البلاغية في تلك الفترة ، وقد ظهر ذلك واضحا  
عند حازم كما رأينا وقبله مدرسة التلخيص التي قال أحد أقطابها وهو

(١) انظر منهاج البلاغاء وسراة الادباء ص : ١٥٠ .

الخطيب القزويني<sup>(١)</sup> والمبالغة أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا لثلا يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف وتتحصر في التبليغ والاغراق والغلو ، لأن المدعي للوصف من الشدة أو الضعف اما أن يكون مكنا في نفسه ، أولا ، الثاني : الغلو ، والا<sup>٢</sup>ول اما أن يكون مكنا في العادة أيضا أولا : الا<sup>١</sup>ول : التبليغ والثاني الاغراق<sup>(٢)</sup> .

فالتقسيم عند القزويني وحازم على حسب الامكان والامتناع وكل ذلك من المبالغة على نقيض القدماء الذين يرون أن الافراط والغلو والاحالة غير المبالغة وبذلك تكون علاقة المبالغة بالكذب في جانبها الممتنع وغير الممكن أما الممكن والواجب من المبالغة فلا علاقة له بالكذب لأن تركه تقصير وهو ما طالب به النابغة حسانا ، وهو المبالغة الحقيقية كما سماها حازم أما ما خرج عن هذا الحد فهو وان سمي بالمبالغة الا أنها مبالغة غير حقيقية وغير مقبولة ، وبهذا فلا علاقة للمبالغة الحقيقية بالكذب .

إن الضوابط المعيارية التي حد بها البلاغيون والنقاد المبالغة ، إنما هي معايير ينعكس أثرها على الحد من تجاوز الخيال حدوده المنضبطة تحت مراقبة العقل كما هو الحال عند النقاد والبلاغيين الذين رفضوا الغلو

---

(١) هو جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ولد عام ٦٦٦ ، وتوفي ٧٣٩ ، أشهر مؤلفاته تلخيص المفتاح ، والايضاح في المعاني والبيان ، انظر الايضاح ص ٦٥ .  
(٢) الايضاح في علوم البلاغة ص ٥١٤ .



والاغراق والافراط والتجاوز وغيرها من الأنواع التي تخرج عن حد المبالغة المعقولة الى الاحالة . ولما كانت المبالغة قائمة على التشبيه والاستعارة ومحاسن الكلام التي تعد مادة الخيال ومقوماته فقد ارتبطت تلك المقومات بالصحة والحسن مقابل الخطأ والقيح ، وذلك من خلال معالجة النقاد والبلاغيين للمبالغة . كما اقترنت المبالغة بقضية الصدق والكذب لاعتمادها على الصور البيانية وخروجها عن محيط الحقيقة في بعض حالاتها ، فاذا كانت المبالغة تعني بلوغ الغاية في الوصف فان في المجاز ما يحقق تلك الغاية غير أن ربط المبالغة بحدود الحقيقة وما قاربها عند أكثر البلاغيين والنقاد لم يعط أدوات الخيال دوراً أولياً في المبالغة مثل ذلك الدور الذي ظهر واضحاً في علاقة الخيال بالصورة وإن كان مبدأ التوسع مشروطاً بحدود في الخيال والمبالغة .

# الفصل الثالث

## الصدق والواقعية

### الفصل الثالث

#### الصدق والواقعية

شغلت قضية علاقة الشعر بالحقيقة والواقع النقاد والأدباء منذ بداية التعديد والتنظير للشعر في العصر اليوناني . ويجدو أن السبب في ذلك يعود الى اختلاف الناس حول هدف الشعر وغايته ومدى ارتباطه بالاصلاح الاجتماعي والمنفعة والمقاصد النبيلة أو تفرغه من ذلك والميل بغايته الى المتعة المجردة والانفعال العاطفي الخالي من الفكر ان " ليس له غاية وراء نفسه ووراء ما يشير من العواطف والانفعالات (١) كما يرى الدكتور شوقي ضيف .

ولكن باستقراء الحركة النقدية والأدبية عبر عصورها نجد أن المتعة والمنفعة فرسا رهان للشعر لا يهتم بأحدهما دون الأخرى ، وأن الاختلاف الأكثر شيوعا بين النقاد والأدباء قديما وحديثا إنما هو حول تقديم احدهما على الأخرى .

" فالغن الاغريقي ارتبط بقيمتي المتعة والمنفعة وقدم هذه الأخيرة في الأهمية الى حد ما فعندما قنن أفلاطون لجمهوريته الفاضلة لم يخرج الأرب الذي عده نشاطا انسانيا من دائرة التعديد والتقنين ، فجعل غاية الشعر تقويم السلوك وتوجيهه الى الخير والحق والجمال (٢) .

- 
- (١) البحث الأدبي ص ١١-١٢ ، وانظر د / محمد سعد فشوان - الدين والأخلاق في الشعر ص ٢٧ .
- (٢) د / محمد مريسي الحارثي - الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري ص ١٢ .

ولكنه عندما رأى أن الشعر في عصره ينحرف عن هذه الغايات ويفسد أذهان الناس اتخذ منه موقفاً متشديداً فطرد الشعراء من جمهوريته الفاضلة التي لا حكم فيها إلا للعقل ، ولم يرض بالمتعة المجردة من المعرفة والاصلاح (١) - أما هوراس فقد ساوى بين المتعة والفائدة فالشعر " يهدف إما إلى الفائدة أو المتعة ، أو الجمع بين المتعة والفائدة معا " . (٢)

وكان في اعتقاد اليونان أن الشاعر لا يقول إلا ما توحى به الآلهة وهي لا تقول إلا الحق (٣) حسب زعمهم ، ومن المنفعة والحق لزوم الصدق والحقيقة " ففي أول الألياذة ، أي من فجر الشعر اليوناني ، نجد هوميروس يقدم للقصيد بابتهالات الآلهة أن تلهمه الحقيقة " . (٤)

أما الشعر العربي في الجاهلية فقد جمع بين المتعة والمنفعة الاجتماعية والقبلية والتجارب الانسانية التي تمثلت في الحكم والأمثال فأثر جانب الوضوح والواقعية في معظمه ، ولقد وصف ذلك ابن طَبَّاطٍ فقال : " واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها ، وأدركه عيانها ، ومرت به تجاربها وهم أهل وبر : صحتهم

-----

- (١) انظر د / محمد سعد فشان - الدين والاخلاق في الشعر ص ٤٨ .
- (٢) المرجع السابق ص ٧ .
- (٣) انظر د / سهير القلماوي - فن الأدب - المحاكاة - مصر ١٩٥٣ م ص ٧٤ .
- (٤) المرجع السابق - الصفحة نفسها .

البوادي وسقوفهم السماء ، فليست تعدوا ووصافهم ما رأوه منها وفيها ،  
... فتضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسها  
الى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأُخلاق ومذمومها ...  
فشبهت الشيء بمثله تشبيها صادقا على ما ذهبت اليه في معانيها  
التي أرادتها <sup>(١)</sup> ولعل هذا التصوير الصادق في الشعر الجاهلي  
سر من أسرار بقاء واستمراره .

وبعد مجيء الاسلام كان للشعر نصيب من الاهتمام في القرآن  
والسنة فقد وضع الاسلام الاطار السليم للشعر وأزال عنه سلبيات الجاهلية  
الفكرية والعقائدية التي لا تتماشى مع نهج الاسلام والتي تضرب مصلحة  
المجتمع المسلم فأكد دور المنفعة في الشعر الى جانب المتعة الفنية لأن  
القيم الفنية لم ينتقصها القرآن ولم يحدد ... شكلا معينيا يلتزم به الشعراء  
ولا يخرجون عنه لأن الصياغة في ذاتها لا توصف بالفضيلة أو بضرها <sup>(٢)</sup> .

ولكن اذا كانت المتعة الفنية تأتي من خلال الشعر الذي يضر  
بالمجتمع المسلم ويدعو الى اثاره الضغائن والأحقاد بين أفرادها ، فانها  
مرفوضة في الاسلام وما حملها من شعر مهما بلغت درجتها الفنية ، لأن  
الاجادة الفنية لم تشفع للحطية في هجاء الزبرقان <sup>(٣)</sup> ، ولا للنجاشي  
في هجائه بني العجلان <sup>(٤)</sup> .

(١) عيار الشعر ص ٤٨ .

(٢) انظر د/ محمد بن مريسي الحارثي - الاتجاه الأُخلاقي في النقد

العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري - ص ٥٢ .

(٣) انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/٣٢٧ .

(٤) انظر المصدر السابق ١/٣٣١ .

والشعر في الاسلام كلام كسائر الكلام يقبل منه النافع ويدفع  
الضار ، و حتى يكون الشعر نافعاً فلا بد من التزامه جانب الحق والصدق  
وقد سبقت الاشارة الى هذا <sup>(١)</sup> مدعماً بشواهد من الكتاب والسنة وأقوال  
الصحابة والشعراء المسلمين في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، ولقد  
قال أحد الكتاب المعاصرين عن شعر تلك الفترة الذي كان معظمه في  
الحرب " كان هذا الضرب من الشعر سجلاً وافياً وثيقة تاريخية  
مهمة ولونا صادقا من ألوان التعبير التي يمكن أن تصحح الحوادث  
التاريخية وتحدد أجزاء الوقائع ، وترسم خطوط المسيرة التي قطعتها  
مواكب التحرير ، وهوفي كل مجال من هذه المجالات يعبر عن حالة واقعية ،  
وحوادث ملموسة ، عاش أحداثها عن كثب ، وراقب تطورها بدقة وعبر  
عن احساسه بها بصدق ، وهذا ما يعين الباحثين على استقصاء الأخبار  
بموضوعية ويساعدهم على متابعتها بأمانة " . <sup>(٢)</sup>

وبقي هذا الاتجاه الواقعي موصول الحلقات يوءدي مهمته  
في العصور اللاحقة وفي الشعر العربي بعامة باستثناء بعض الأغراض  
الشعرية وفي مقدمتها المدح حيث مال بها أصحابها إلى الغلو والمبالغة  
المفرطة في أكثر الأحيان لأسباب سياسية واجتماعية وربما لاعتبارات  
فنية صرفة ، وظهر من الشعراء والنقاد من ينادي بالغلو والغاية القصوى

(١) انظر الفصل الثاني من الباب الأول .

(٢) د / ياسين الأيوبي - مذاهب الأدب ص ٣٧١ نقلا عن مجلة

آفاق عربية ص ٣٦ .

في الوصف وخاصة في مدح الخلفاء والولاة ، ويأتي قدامة بن جعفر (١) في مقدمة النقاد الذين تبنا ذلك ، فقد فضل بلوغ الغاية القصوى على الحد الاوسط وكان عنده بيت أبي نواس (٢)

وَآخَفَتْ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّىٰ إِنَّهُ  
لِتَخَافُكَ النَّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

في مرتبة عالية من الاجادة لبلوغه الغاية القصوى وخروجه عن الحد الاوسط الى الغلو الذي يفضله .

وقد تأثر ابن رشيق في بعض مواقفه النقدية فيما يجد ويقدمه وعداد فضائل الشعر جاعلا منها أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن فيه ، وربما كان لهذا الاتجاه أصول عربية قديمة فالنابغة الذبياني الشاعر والناقد الجاهلي كان قد طالب حسان بن ثابت بشعر مبالغ فيه (٣) ، ولكن النابغة لم يطالب بالغلو كما فهمه قدامة وإنما كان قصده مبالغة لا تخرج عن الواقع والمعقول كما يرى حازم القرطاجني (٥) في رده على من احتج بنقد النابغة لحسان .

-----

- (١) انظر نقد الشعر ص ٩٤ .
- (٢) ديوانه ص ٢٣٩ .
- (٣) انظر العمدة ٢٢/١ .
- (٤) انظر المرزباني - الموشح ص ٨٢ وابن رشيق - العمدة ٥٣/٢ .
- (٥) انظر منهاج البلغاء وسراج الأديباء ص ١٣٤ .

وكان أثر هذا الاتجاه واضحا عند شعراء المدح في العصرين الأموي والعباسي وربما كان من أسباب وجوده الرد على أصحاب المنطق والكلام الذين كان لهم ظهور واضح وصوت سموع في تلك الفترة، فقد أرادوا تحويل الشعر إلى قوالب جامدة تجري عليها أقيسة المنطق ومراهينه وتخضع للأدلة المنطقية الصارمة ودليل ذلك تبزيم البحثري الذي لقي عننا شديدا من هوء لا المناطقة فرد عليهم رافضا منهجهم المتشدد على الشعر وقيودهم الغليظة بقوله : (١)

كَلَفْتُمُونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ فِي الشَّعْرِ يَلْفِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهُ  
وَلَمْ يَكُنْ ذُو الْقُرُوحِ يَلْهَجُ بِالْمَنْدِ طِيقِ مَا نُوْعُهُ وَمَا سَبَبِيَّةُ

وقد فسر عبد القاهر الجرجاني قول البحثري هذا بأنه لا يعني الكذب بمعناه العام وإنما أراد " كلفتونا أن تجري مقاييس الشعر على حدود المنطق ونأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقق حتى لا ندعي إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به ويلجئ إلى موجهه مع أن الشعر يكفي فيه التخيل والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل " . (٢)

وقد بيّن المرزوقي أن هذا النهج من الغلو إنما كان نتيجة التعمق في الصناعة الشعرية فقال : " ومنهم من اختار الغلو حتى قيل

(١) ديوانه (بيروت ١٤٠٠ - ١٩٨٠) ١ / ٢٣٤ .

(٢) أسرار البلاغة ٢ / ٢٤٤ .



( أعذب الشعر أكذبه ) لأن قائله اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه الى أعلى الرتبة ، وظهرت قوته في الصياغة وتمهره في الصناعة ، واتسعت مخارجهم ومواجهه ، فتصرف في الوصف كيف شاء ، لأن العمل عنده على المبالغة والتشيل ، لا المصادقة والتحقيق ، وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . ( ١ )

وقد رأى بعض النقاد في هذه الصنعة انحطاطا للشعر وخروجها به عن بعض أهدافه وغاياته التي تتحقق في الحق والصدق فقد روى عبد الرحمن عن عمه الأصمعي : أن رجلا أنشده قول مالك بن أسماء :

وَإِذَا الدُّرُّزَانَ حُسِّنَ وَجُوهٍ  
كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنًا  
وَتَزِيدِينَ طَيِّبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا  
إِنْ تَسَّيْتُ أَيْنَ يُمْلِكُ أَيْنًا

فأعجب بهما الرجل . فقال له الأصمعي : لا تعجب بهما فما يساويان لِقَعَةَ بَيْعَةٍ ، وأجود الشعر ما صدق فيه وانتظم المعنى كقول امرئ القيس :

أَلَمْ تَرَيَانِي كَمَا جِئْتُ طَارِقًا  
وَجَدْتُ بَيْهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيِّبِ ( ٢ )

( ١ ) المرزوقي - شرح ديوان الحماسة ص ١١٠ .

( ٢ ) انظر المرزباني - الموشح ص ٣٤٤ .

فالأصمعي يرى أن الإفراط في الشعر يعد عيباً ، وأن الصدق في الشعر يزيد من قيمته الفنية ، فعندما سمع شعراً للحطيئة علّق (١) عليه بقوله : " أفسد مثل هذا الشعر بهجاء الناس وكثرة الطمع " .  
وهاتان الصفتان من الصفات التي تبعد الشعر عن الحقيقة والصدق وتخرجه إلى الكذب والتزويد على حساب أعراض الآخرين أو طمعا في مال أوجاه ، وهذا مما يفض من قيمة الشعر الفنية ويفسدها كما رأى الأصمعي .

وقد مدح ابن قتيبة عمرو بن معد يكرب بأنه : " أحد من يصدق عن نفسه في شعره " . (٢)

وقال البرد : " ومن الإفراط قوله :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبَقَيْتَ مِنِّي مَعَلَّقٌ

يَعُودُ ثَمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُوْدَ هَـا

... وهذا متجاوز ... وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن منه ما أصاب الحقيقة ، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه بوصف قوي واختصار قريب " . (٣)

(١) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني ١٧٠ / ٢

(٢) الشعر والشعراء ٣٧٣ / ١

(٣) الكامل ٢٩٤ / ١

فقد تنبه هو<sup>١</sup> لا<sup>٢</sup> النقاد الثلاثة ( الأُصمعي وابن قتيبة والبرد ) إلى أن الشعر قد بدأ يتحول عن جانب الواقع والحقيقة إلى المبالغات المفرطة في بعض أغراضه ، فعابوا مثل هذا الشعر المفرط وانتقدوا المعجبين به من الرواة والملقنين .

وبسط ابن طباطبا قضية الصدق في الشعر وعلاقته بالحق والحقيقة مبيِّناً أنَّ ميزان ذلك هو قبول العقل والفهم الصحيح لأنَّ " الفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، والجائز المعروف المألوف ، ويتشوق إليه ويتجلى له ويستوحش من الكلام الجائر ، والخطأ الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر منه ويصدأ له " (١) وقد بين ضوابط ذلك في التشبيه والاستعارة وغيرها من وجوه البيان بالشواهد الشعرية " فاذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه وتؤكد الصدق فيه وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له " (٢) " فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا ، وما قارب الصدق قلت فيه تراه أو تخالسه أويكاد ، فمن التشبيه الصادق قول امرئ القيس :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا

مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقَعَالٍ (٣)

- 
- (١) عيار الشعر ص ٥٢  
(٢) المصدر السابق ص ٥٦  
(٣) المصدر السابق ص ٦٢

أما عبد الكريم النهشلي فقد قسّم الشعر تقسيمات تعود إلى  
الخير والشر فالخير منها ما كان ذا منفعة يستفاد منها دنيا وأخرى ،  
والشر ما كان هجاءً باطلاً ومدحاً كاذباً يتكسب به " فشعر هو  
خير كله وذلك ما كان في باب الزهد ، والمواعظ الحسنة ، والمشـل  
العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك ، وشعر هو ظرف كله  
وذلك القول في الأوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من المعانسي  
والآداب ، وشعر هو شمر كله وذلك الهجاء وما تسرع به الشاعر  
إلى أعراض الناس ، وشعر يتكسب به ، وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق  
فيها ، ويخاطب كل إنسان من حيث هو ويأتي إليه من حيث فهمه " (١)

فهذه النصوص تركز على الجانب المعرفي والنفعي بالإضافة إلى  
الجانب الفني الذي لا خلاف عليه ولا غنى عنه لأن " الشعر لا قيمة له  
إذالم يحقق شيئاً من القيم المعرفية " . (٢)

أما الآمدي فقد حبّذ الصدق والحقيقة في الشعر ولم يخرج عن  
منهج ابن طباطبا الذي طلب الحقيقة وما قاربها حتى قال بعض  
الباحثين " إن الآمدي قد أربى على المنهج الذي اختاره ابن طباطبا  
في تحديد طريقة العرب في التشبيه بل وكمل عمله حين اهتم بالاستعارة ،

(١) العمدة ١/١١٨ .

(٢) د / محمد مريسي الحارثي - الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي

حتى نهاية القرن السابع الهجري ص ٨٨ .

مذلك التقت جهود هذين الناقدين الكبيرين على ضرورة مقارنة الحقيقة،  
أوما سآه ابن طباطبا (الصدق في التشبيه) ، ولهذا اتفق الناقدان أيضا  
على رفض قول من قال : ( أعذب الشعر أكذبه ) أو ( أحسنه أكذبه )  
حيث قال الآمدي : معلقا على أبيات للبحثري : وقد كان قوم من الرواة  
يقولون : أجود الشعر أكذبه ، ولا والله ما أجوده إلا أصدقه .<sup>(١)</sup>

وقد سبقت الإشارة إلى آراء عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني  
وغيرهما من تحدث عن جانب الحقيقة وما قاربها في الشعر ، أو القصـد  
والاعتدال أو المقاربة في التشبيه ، وما يحدثه ذلك من جودة للشعر لأنه  
" كل ما دنا من المعاني من الحقائق كان ألوط بالنفس وأحلى في السمع  
وأولى بالاستجادة " .<sup>(٢)</sup> كما يقول الآمدي .

ويبدو من النصوص النقدية المتقدمة أن النقد العربي كان يدور  
حول الحقيقة وما قاربها في أكثره ولا ذكر للواقعية أو التزام الواقع بهذه  
التسمية إلا في التقنيات البلاغية في أضرب الخبر<sup>(٣)</sup> وفي تعريف الصدق  
بأنه مطابقة الواقع وعكسه الكذب .<sup>(٤)</sup>

(١) د / محمد سعد فشوان - الدين والأخلاق في الشعر ص ٧٩ .

(٢) الموازنة ١/١٥٧ .

(٣) انظر الخطيب القزويني - الايضاح ص ٨٦ .

(٤) انظر - المصدر السابق - الصفحة نفسها .

وأما الواقعية الأدبية من وجهة نظر النقد الغربي فهي مذهب أدبي حديث له قوانينه التي تستند الى فلسفات عقدية وتربوية وفنية. ولعلها لا تلتقي مع الأُدب العربي القديم الا في المعنى العام (١) للواقعية أي " ما يمتاز به الأُدب من تصوير دقيق للطبيعة والانسان " فالأُدب العربي القديم منذ الجاهلية حتى أواخر العصر العباسي كان ينحون ذلك المنحى الذى يكون فيه تعبيراً صادقاً وأميناً في معظمه قال الدكتور ياسين الأيوبي : " وإذا أمعنا النظر في أدبنا العربي ، وحللنا الاتجاهات والطرق التي اتبعها هذا الأُدب استوقفنا اتجاه عميق الجذور في تاريخ اللغة العربية وآدابها عرفناه قديماً مع معظم الشعراء الجاهليين ، ثم الاسلاميين ، حتى اذا جاء العصر العباسي اتخذ له أبعاداً أوسع وأكثر قرباً من الحياة الاجتماعية ، هذا الاتجاه هو الاتجاه الواقعي ، وقلت " اتجاهها " لا " مدرسة " لأن الأخيرة نظرية متكاملة الجوانب والأهداف (٢) والأشخاص وغير ذلك مما لم يشهده الأُدب العربي حتى عصرنا الحديث . وإذا كان النقد والأُدب العربي قد التزم اتجاهها واقعياً فسي معظمه فما المقصود بهذا الواقع وما حدود الالتزام به ؟

(١) د / ياسين الأيوبي . مذاهب الأُدب ص ٣١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٠ .

من استقراء النصوص النقدية والأدبية السابقة التي تدعو إلى الحقيقة وما قاربها يظهر أن الواقع المقصود هو هذه الحقيقة وما دنا منها .

ولعل هذا القرب من الحقيقة الذي طلبه النقاد - حدًا أدنى للحقيقة - خاصة من خواص الشعر التي تميزه عن العلم ، وهي تشبسه إلى حد ما ما يسمح به للشاعر من تجاوز بعض قواعد النحو والصرف وضوابط الوزن والقافية ، وهو ما يعرف بالضرورات الشعرية إلا أن تلك ترجع إلى الشكل وهذه إلى المعنى فالخروج عن الحقيقة محدد بضوابط تجعله قريبًا من الحقيقة دون ابتعاد عنها أو خروج عن محيطها إلى الانفصال التام قال المرزوقي " فمنهم من قال : ( وأحسن الشعر أعدده ) قال لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إيسار الصدق يدل على الاقتدار والحدق " (١) وقال أبو الفرج الأصفهاني " اجتمعت الشعراء عند عبد الملك بن مروان فقال لهم : أبقى أحد أشعر منكم ؟ فقالوا : لا ، فقال الأخطل : كذبوا يا أمير المؤمنين ، قد بقي من هو أشعر منهم ، قال : ومن هو ؟ قال : عمران بن حطان ، قال : وكيف صار أشعر منهم ؟ قال : لأنه قال وهو صادق ففاتهم ، فكيف لو كذب كما كذبوا " (٢) . وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه وأحسن

(١) شرح ديوان الحماسة ص ١١٠ .

(٢) الأغاني ١٨ / ١١٦ .

منه ما أصاب الحقيقة فيه<sup>(١)</sup> كما قال المبرد وكما هو رأى الأَصمعي<sup>(٢)</sup>  
وابن طباطبا<sup>(٣)</sup> والآمدي<sup>(٤)</sup> والجرجاني<sup>(٥)</sup>.

فالحد الأَقص هو الحقيقة والحد الأدنى هو القصد

والاعتدال، وإن اختلفت التسميات عند النقاد، ولكنها جميعا تدور  
حول هذا المعنى فعند الجاحظ: اقتصاد وتوسط<sup>\*</sup> وفي الاقتصاد  
بلاغ، وفي التوسط مجانية للوعورة، وخروج من سبيل من لا يحاسب  
نفسه... وليكن كلامك بين المقصر والغالي، فانك تسلم من المحنة  
عند العلماء، ومن فتنة الشيطان<sup>(٦)</sup> وعند المبرد مقاربة الحقيقة،  
وعند ابن طباطبا: الكلام الصواب العدل، والمجاز المقارب، وعند  
قدامة بن جعفر الحد الأوسط مع أنه يفصل الفاية القصوى فسي  
الوصف على الحد الأوسط، وعند الآمدي ما دنا من الحقائق.  
وهناك تعابير أخرى ولكنها جميعا تدل على القدر المعتدل الذي يقارب  
الحقيقة ولا يبتعد عن الصدق. وهذا التأكيد على الحقائق وما قاربها

---

(١) الكامل ١ / ٢٩٤ .

(٢) البيان والتبيين ١ / ٢٥٥ .

(٣) انظر ص ١٩٥ من هذا الفصل .

(٤) انظر ص ١٩٦، ١٩٧ من هذا الفصل .

(٥) انظر الفصل الثالث من الباب الأول .

(٦) البيان والتبيين ١ / ٢٥٥ .



من أساسيات ما سمي بعمود الشعر ومن مقوماته عند المرزوقي " شرف  
المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابه في الوصف ، والمقاربة  
في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتتامها على تخير من لذيد الوزن ،  
ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشـددة  
اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما " (١) فصحة المعنى والاصابة  
في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، هذه  
جميعا ضوابط الحقيقة والقرب منها ، فمقياس المعنى أن يعرض على العقل  
الصحيح والفهم الثاقب ، ومقياس الاصابة في الوصف : الذكاء وحسن التمييز ،  
ومقياس المقاربة في التشبيه : الفطنة وحسن التقدير ، فأصدق ما لا ينتقض  
عند العكس واشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ، ومقياس الاستعارة  
الذهن والفطنة ، وملاك الأمر : تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب  
المشبه والمشبه به . (٢)

ومن هنا يجد والى حد ما تحديد الواقع عند القدماء بأنه ليس  
النقل الحرفي والتسجيل الجامد للطبيعة والأحداث فذلك من طبيعة  
العلم أما الشاعر فانه " ليس ملتزما بنقل الواقع من خلال فنه نقلا حرفيا ،  
لأن الواقع نفسه يصعب تحديده بصورة مطلقة . . . وليس حرام مع ذلك  
في أن يسقط هذا الواقع من حسابه والا اتهمناه بالكذب ، لأن الفن

(١) شرح ديوان الحماسة - ص ٩ .

(٢) انظر المصدر السابق الصفحة نفسها .

قائم على أساس هذا الواقع ومستمد منه". (١)

وعلى هذا المعنى المرن للواقع والحقيقة ، كان يسير النقد العربي في أكثره ولا تعارض بين هذا الواقع وبين الصدق بل هو الصدق لأننا " نعني بالصدق هنا الاتزان ، والتزام الحقيقة بصفة عامة ولا نعني به مطابقة الخبر للواقع كما يقول المناطقة " (٢) لأن هدف المناطقة تسجيل الواقع ونقله بحذافيره نقلا حرفيا .

وقد نال هذا الواقع المتمثل في الحقيقة وما قاربها شيئا من العناية عند كثير من النقاد القدماء وفي مقدمتهم ابن طباطبغا والآمدي وعبد القاهر فقد قال ابن طباطبغا بالزيادة والنقصان في سرد خبر تاريخي يورده الشاعر ولكن بشرط أن تكون الزيادة والنقصان يسيرين غير مخدجين ، وتكون الألفاظ المزيده غير خارجة من جنس ما يقتضيه ، بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسنه (٣) واستشهد على ذلك بقول الأعشى فيما اقتصره من خبر السموأل :

-----

- (١) نبيل رشاد نوفل - قضية الصدق والكذب بين النقاد القدماء والمحدثين ص ٤٧ .
- (٢) د / سعد اسماعيل شلبي - الأصول الفنية للشعر الجاهلي ( مصر ١٩٨٢ ) ص ٣١ .
- (٣) انظر عيار الشعر ص ٨٤ .

كُنْ كَالسَّمَوَاتِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ  
فِي جَحْفَلٍ كَرْهَاءَ اللَّيْلِ جَرَّارِ  
يَا لَأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنَزِلُهُ  
حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَّارِ  
إِذْ سَامَهُ خَطَّتِي خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ  
أَعْرِضْ عَلَيَّ كَذَا أَسْمَعُهُمَا حَارِ  
فَقَالَ غَدْرٌ وَنُكْلٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا  
فَاخْتَرْتَهُمَا فِيهِمَا حِطٌّ لِمُخْتَارِ  
فَشَكَتَ غَيْرَ قَلِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ  
أَقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي تَانِعٌ جَارِي

وقد علق على هذه القصيدة التي نقلنا جزءاً منها بقوله : " فانظر إلى استواء هذا الكلام ، وسهولة مخرجه ، وتمام معانيه ، وصدق الحكاية فيه ، ووقوع كل كلمة موقعها الذي أريدت له ، من غير حشو مجتبى ولا خلل شان . . . فاستغنى سامع هذه الأبيات عن استماع القصة فيها ، لاشتغالها على الخبر كله بأوجز كلام ، وأبلغ حكاية وأحسن تأليف وأطف إيماءة " . (١)

وقد أورد حازم القرطاجني بعض هذه الأبيات (٢) مع اختلاف يسير

(١) عيار الشعر ص ٨٥

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدياء ص ١٠٥

في الرواية دليلاً على المحاكاة التامة في الوصف ، وقد مثل ابن طباطبا  
للتشبيه (١) المقارب للحقيقة بقول عنتره عن فرسه :

فَاذُورَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بَلْبَانِيهِ

وَشَكَا إِلَيَّ يِعْبَرَةَ وَتَحْمُحُمُ (٢)

وقول بشار :

عَدْتُ عَانَةً تَشْكُو بِأَبْصَارِهَا الصَّدَى

إِلَى الْجَأْبِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُخَاطِبُهُ (٣)

وعند الآمدي أن في الكلام ما يجوز أن يتوسع فيه ويرد على سبيل  
المجاز ومنه ما صيغته صيغة الحقائق التي لا تقبل أن تكون مجازاً  
فقال " ومن خطأ أبي تمام قوله :

بِیَوْمِ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرْضِ مِثْلِهِ

ووجدني من هذا وهذاك أطولُ

فجعل للدهر - وهو الزمان - عرضاً ، وذلك محض المحال ، وعلى أنه  
ما كانت به إليه حاجة ، لأنه قد استوفى المعنى بقوله ( كطول الدهر )

(١) عيار الشعر ص ١٥٨

(٢) شرح ديوانه ص ١٥٣

(٣) ديوانه ٣١٢/١

فأتى على الغرض في البالغة فان قيل : فلم لا يكون سعة ومجازاً في الكلام . قيل : هذه الألفاظ صيغتها صيغة الحقائق ، وهي بعيدة من المجاز ، لأن المجاز في هذا له صورة معروفة ، وألفاظ مألوفة معتادة ، لا يتجاوز في النطق بها إلى ما سواها وهي قول الناس : عشنا في خفض ودعة زمتنا طويلاً عريضا .<sup>(١)</sup>

وقد ارتضى عبد القاهر الجرجاني من التخييل " ما كان شبيهاً بالحقيقة وهو الذي تبلغ فيه قوة التعليل درجة عالية ، أي يسمح لقوة الاستدلال العقلي أن تستكشف درجة التمويه فيه ."<sup>(٢)</sup>

أما مقدار الالتزام بهذا الاتجاه الواقعي فانه كان غالباً على الأرب العربي بشكل كبير منذ الجاهلية ولكن مرتبه بعض المراحل وفي بعض الأغراض من الشعر وفي مقدمتها المدح فقد كان يجانب هذا الاتجاه الواقعي إلى الغلو والافراط والبعد عن الحقيقة للوصول إلى الاغراب أو إرضاءً للممدوح أو طلباً لمال أو منفعة .

وإذا كان الاتجاه الواقعي قد اتضح في الشعر ، وأثر على مواقف النقاد بشكل واضح فهل المقصود بالواقع صدق الشاعر عن موصوفاته من الطبيعة والحياة والناس والأحداث وهو ما عرف حديثاً

(١) الموازنة ١/١٩٧٠

(٢) د / محمد سعد فشان - الدين والأخلاق في الشعر ص ٩١

بالواقع الخارجي ؟ أم هو صدق الشاعر مع نفسه دون اعتبار للحياة  
حوله وحوادث التاريخ وهو ما عرف حديثا بالصدق الفني أو الواقع  
الداخلي ؟

من تتبعنا للنصوص النقدية السابقة التي تطالب بالحقيقة  
وما قاربها لم نعثر على تحديد لنوع معين من أنواع الحقيقة ، وإنما  
ترد الحقيقة مطلقة ما يدل على أن المقصود بالحقيقة معناها العام  
الشامل لوجهيها الداخلي والخارجي اللذين لا تكتمل الحقيقة  
إلا بالجمع بينهما ، والتي يصدق فيها الشاعر مع نفسه ويؤيده  
الواقع الخارجي المشاهد ، وقد سبقت الإشارة قبل ذلك الى نظرة  
الاسلام لهذا الأمر <sup>(١)</sup> في قوله تعالى عن الشعراء : ﴿ وَأَنَّهُمْ  
يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> وأن الفعل هنا يشمل الجسماني  
والاعتقادي .

وهذا ما درج عليه الشعر والنقد العربي في تأكيده على  
الحقيقة الشاملة فالواقع الداخلي والخارجي وجهان لعملة واحدة  
هي الحقيقة وما قاربها أو ما سميناها الواقع الشعري المرن ، وكان  
صلى الله عليه وسلم عندما أنشده قول قيس بن الخطيم : <sup>(٣)</sup>

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الأول .

(٢) سورة الشعراء آية ٢٢٦ .

(٣) ديوانه - تحقيق ناصر الدين الأسد مصر ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م ص ٤٢ .

\* وهو أبو يزيد قيس بن الخطيم شاعر جاهلي أدرك الاسلام  
ولم يسلم قتل قبل الهجرة وهو من شعراء المدينة وهو من  
الأوس . انظر ديوانه ص ٧٠ .

## أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا

كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ يَخْرَاقُ لَا عَيْبَ

سأل عن مدى صدقه ، فقال " هل كان كما ذكر ؟ " (١) فالاستفهام هنا مقصود به معرفة مدى مطابقة الكلام للواقع الخارجي وفي مطابقته للواقع الخارجي دليل على الواقع النفسي أو الصدق الداخلي لأن للكلام هنا معادلاً خارجياً إذا خالفه أو ناقضه انتفى عنه الصدق وهذا شاهد على تلازم الواقع الداخلي والخارجي ، أما إذا تحدث الشاعر عن عاطفته وشعوره إزاء أمر ليس له معادل خارجي فعندئذ يقبل صدقه الداخلي دون نظر للخارجي لعدمه ومعرفة الشعر الصادق والكاذب في هذه الحال أمر يصعب تحديده إلا بالمران الطويل والدربة الواسعة على مدارسة الشعر والنقد (٢) ، وحتى مع هذا المران يبقى تحديد الصادق والكاذب غير مضمون النتائج وقد حدد الدكتور محمد النويهي (٣) بعض الأمور التي تساعد على معرفة الشعر الصادق والكاذب فإذا كان الشعر يخالف نواميس الكون البدائية (٤) وحقيقة السلوك الانساني المعروفة فهذا دلالة على كذبه كقول أبي نواس :

وَأَخَفَّتْ أَهْلَ الشَّرِّكَ حَتَّىٰ إِنَّهُ

لِتَخَافُكَ النَّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

(١) الأغانى ٥٧/٣

(٢) انظر محمد النويهي - عنصر الصدق ص ٥٧٩

(٣) انظر المرجع السابق ص ٨٠ ، ٨١

(٤) ديوانه ص ٢٣٩

إضافة إلى التمهيل الذي فيه .

ثم أن الزخرفة والمهارة اللفظية لا تصدر إلا عن عاطفة كاذبة  
كقول الشاعر :

الله في الخلق من صب ومن عانى

تفنى القلوب ويبقى قلبك الجاني

صوني جمالك عنا اننا بشــــر

من التراب وهذا الحسن روحاني

أوفابتغي فلما تأوينه ملكــــا

(١)

لم يتخذ شركا في العالم الثاني

وقد استنتج بعض النقاد المعاصرين هذا المعنى العام للواقع فقال  
الدكتور أحمد بدوي : " ولنا أن نتوسع في تفسير الواقع فنجعله الواقع  
الخارجي والواقع النفسي فيكون الشعر صادقا إذا اتفقت أحكامه مع  
الواقع الخارجي ، إذا كان للكلام واقع خارجي ، ومع الواقع النفسي  
العاطفي الشعوري ، إذا تحدث الشاعر عن عاطفته وشعوره ، إذا ما  
يراه ويتحدث عنه " . (٢)

وهذا المعنى للواقع هو ما عرضه الدكتور منصور عبد الرحمن

(١) انظر محمد النويهي - عنصر الصدق ص ٧١ .

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب - مصر ١٩٦٤ م ص ٤٢٨ .



عندما قال : " ويمكننا أن نتوسع في مفهوم المطابقة للواقع ، فتشمل الواقع الخارجي فيكون الشعر صادقا اذا اتفقت أحكامه مع الواقع الخارجي اذا كان للكلام واقع خارجي كما تشمل الواقع النفسي اذا تحدث الشاعر عن عاطفته وشعوره ازاء ما يراه ويتحدث عنه وبهذا تتعدد جوانب الصدق دون تعارض " . (١)

و " الصدق في الفن هو اخلاص الفنان للحقيقة كما هي قائمة في الواقع الخارجي والحقيقة كما هي مطبوعة على ذات الفنان الداخلية " . (٢)

ولم نجد في النقد القديم ما يشير الى الواقع الداخلي منفردا ومستقلا بذاته الا في نطاق ضيق جدا كقول ابن قتيبة عن عمرو بن معد يكرب بأنه " أحد من يصدق عن نفسه في شعره " (٣) وإشارة ابن طباطبا الى ذلك في قوله " فاذا وافقت هذه المعاني هذه الحالات تضاعف حسن موقعها عند مستمعها ، لا سيما اذا أيدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس يكشف المعاني المختلجة فيها والتصريح بما كان يكتب منها ، والاعتراف بالحق في جميعها " . (٤)

---

(١) اتجاهات النقد الأدبي ص ٣٢٤ .

(٢) نبيل رشاد نوفل . قضية الصدق بين النقاد القدماء

والمحدثين ص ٥٥ .

(٣) الشعر والشعراء ١ / ٣٧٣ .

(٤) عيار السعر ص ٥٥ .

ولعل من الأمور ذات العلاقة بالصدق قضية الخطأ في الشعر وصلته بالواقع فالخطأ في معاجم اللغة العربية ، نقيض الصواب . . . والمخطي : من أراد الصواب فصار إلى غيره هكذا عند الجوهري وزاد ابن (١) منظور : والخطأ ما لم يتعمد . (٢)

ولم تخرج المعاجم الأخرى عن هذا التحديد لمعنى الخطأ ، كما لم تصرّح بأن الخطأ من معاني الكذب باستثناء المعجم الوسيط الذي اعتبر أن الخطأ من معاني الكذب وذلك في تحديده لمعنى الكذب فالكذب أحد أمرين : "الأول : أن يخبر المتكلم عن شيء بخلاف ما هو عليه في الواقع . والثاني : أن يخطي" في الإخبار عن هذا الشيء . (٣)

وعلى هذا فالخطأ يلتقي مع الكذب في مخالفته للواقع ويختلف عنه في القصد والنية . فالمخطي لا يقصد مخالفة الواقع بينما الكاذب يتعمد ذلك .

وقد فرقت عائشة رضي الله عنها بين الخطأ والكذب " فعن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة - وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول : "إن الميت ليعذب ببكاء الحي" - فقالت عائشة : يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنّه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ ، إنما مـرّ

(١) الصحاح - مادة خطأ ٤٧/١ .

(٢) انظر لسان العرب مادة خطأ .

(٣) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية - مادة كذب .

رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي عليها فقال :  
( إنهم يبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها ) . (١)

فكلام عبدالله بن عمر خلاف قول رسول الله ولكن عائشة لم  
تعدده من الكذب لأنه لم يعتمد أن يكذب على رسول الله فينسب إليه  
ما لم يقله وإنما حصل منه ذلك عن وهم أو نسيان فهو خطأ وليس  
كذبا .

ومن المعروف أن الخطأ يقع في الشعر ، وقد عالج ذلك  
فلاسفة اليونان الذين جاربعضهم (٢) على الشعراء بسبب خطئهم  
في تصوير الحقيقة . وقد ردَّ أحمد تيمور على من توهم أنَّ العربي لا  
يخطئ فقال : " إذا قيل إنَّ العربي لا يخطئ ، فالمراد لا يخطئ  
في اللفظ للملكة اللسانية الراسخة فيه ، وأما في المعاني فلم يقل أحد  
بعضة جناه كما قالوا بعضمة لسانه بل هو خلاف ما صرَّح به أئمة  
العربية " . (٣)

ولعل أول من تناول معالجة الأخطاء في المعاني نقاد  
اليونان وكان موقف أرسطو موقفاً تفصيلياً فقد قسَّم الأخطاء قسمين :

---

(١) الامام بدرالدين الزركشي - الاجابة لايراد ما استدركته عائشة  
على الصحابة ص ٩١ .

(٢) مثل فلاطون انظر ابو الوليد بن رشد . تلخيص كتاب أرسطوطاليس  
في الشعر - تحقيق د / محمد سليم سالم ، القاهرة ١٣٩١هـ /  
١٩٧١م ص ١٤٠ .

(٣) أوهام شعراء العرب في المعاني ( مصر ١٣٦٩ - ١٩٥٠ ) ص ٣٠ .

أحدهما أشد خطورة من الآخر ولوأنهما جميعا ما يعاب في الشعر، وأن الشعر إذا جمع بين الحقيقة والغاية الفنية فهو المقدم على غيره " ففي فن الشعر يمكن أن يوجد نوعان من الخطأ : الخطأ المتعلق بفن الشعر نفسه والخطأ العرضي . فالواقع أن الشاعر إذا اختار محاكاة أمر من الأمور ولم يفلح لعجزه ، كان الخطأ راجعا إلى صناعة الشعر نفسها ، أما إذا كان ذلك لأنه تصوره تصورا فاسدا بأن صور الجواد يقذف بكلتا قدميه اليمينيين إلى الأمام في وقت واحد ، أو إذا كان خطأوه راجعا إلى علم خاص كالطب مثلا أو أي علم آخر ، أو إذا أدخل في الشعر أمورا مستحيلة على أي وجه من الوجوه ، فإن الخطأ لا يرجع إلى صناعة الشعر نفسها " (١)

وبعد هذا التحديد للخطأ الفني العائد إلى الصناعة الشعرية والخطأ العرضي ، تجاوز أرسطو عن الخطأ في صناعة الشعر في حد ود ضيقة وهي أن يحقق غاية فنية لا يحققها عدم الخطأ ، وأكد أن احترام الحقيقة أولى وأن الخطأ إذا لم يحقق غاية فنية فإنه لا يمكن اغتفاره " فإن وجد في الشعر أمور مستحيلة فهذا خطأ ، ولكنه خطأ يمكن اغتفاره إذا بلغنا الغاية الحقيقية من الفن . . . ومع ذلك فإذا كان تحصيل الغاية ممكنا ، على نحو أفضل أو مساوٍ مع احترام الحقيقة فإن هذا الخطأ لا يمكن اغتفاره ، إذ ينبغي ألا يكون هناك أدنى

(١) فن الشعر - ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٧٢ .

خطأ ما استطعنا إلى ذلك سبيلا". (١)

ثم بيّن بعد ذلك أن الخطأ العرضي أقلّ خطورة من الخطأ الفني ولكنه مع ذلك معيب فقال : " كذلك يجب أن ننظر إلى أي الطائفتين ينتسب الخطأ : طائفة الأخطاء التي ترجع إلى الفن ، أو طائفة الأخطاء التي ترجع إلى شيء آخر عرضي ، لأن الخطأ في عدم معرفة أن الروية ليس لها قرون أقل من الخطأ في تصويرها تصويراً رديئاً". (٢)

أما النقاد العرب فقد انتقدوا هذه الأخطاء المعنوية وكان نقدهم لها قاسياً وكانهم يدعون الشعراء إلى التثبت من أحكامهم التي يمدرونها في شعرهم حتى تكون المعاني صحيحة مستقيمة " فهم يطلبون أول ما يطلبون في المعنى أن يكون صحيحاً لا خطأ فيه من ناحية الحقائق أو واقع الحياة ، أو المدلول اللفوي . وكان النقاد بالتفاتهم إلى هذه الجوانب المتصلة بالمعنى يدعون الشعراء إلى التعمق في ثقافتهم حتى يسلم شعرهم من الضعف اللفوي". (٣)

(١) فن الشعر - ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٥٢٢ .

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٣) د / عبد العزيز عتيق - في النقد الأدبي ص ١٣٦ .

وقد بدأ التنبيه على هذه الأخطاء منذ العصر الجاهلي فقد عابوا على امرئ القيس خروجه عن العرف في وصف الفرس عندما قال :

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً

كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُتَشِيرٌ (١)

وقالوا \* إذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريماً \* (٢)

وقد \* مر المسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم :

أَلَا انْعِمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَسَلِّمْ

نَحْيَيْكَ عَن شَحْطٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمْ

فلما بلغ قوله :

وَقَدْ أَتَانَا الْهَمَّ عِنْدَ ادِّكَارِهِ

بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْقَرِيَّةُ مُكْرِمِ

كُسَيْتِ كِنَازٍ لَحْمَهَا حَمِيرِيَّةٌ

مُؤَاشِكَةٍ تَرْمِي الْحَصَى بِمَثَلِّمْ

كَأَنَّ عَلَى أَنْسَائِهَا عِدْقَ خَضْبِيَّةٍ

تَدَلَّى مِنَ الْكَافُورِ غَيْرِ مُكَمِّمْ

فقال طرفة - وهو صبيٌّ يلعب مع الصبيان : استنوق الجمل \* (٣)

(١) ديوانه ١٦٣ .

(٢) المرزباني - الموشح - ص ٣٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٨ و ١١٠ .

وكان هذا الاستدراك من طرفة لأن الصيعرية ميسم  
لإنات الإبل وليس لذكورها وقد أخطأ الشاعر خطأً عرفياً عندما أطلق  
وصف الناقة على البعير ، واستدراك طرفة يدل على أن ذلك الخطأ  
العرفي يعد عيباً عند الجاهليين حتى لو كان الشاعر صادقاً في  
تجربته . وقد استمر هذا الإنكار للخطأ في الشعر في عصر صدر  
الاسلام وما بعده فقد روي : " أن لبيداً الشاعر قام على أبي بكر  
رضي الله عنه فقال :

\* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ \*

فقال : صدقت . قال :

\* وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ \*

فقال : كذبت ، عند الله نعيم لا يزول . (١)

وهذا خطأ لأنه عمّ الزوال على كل نعيم مع أنه في مثل هذه  
المواضع يحسن الاحتراس ، وقد استجاد النقاد قول طرفة :

فَسَقَى بِلَادِكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا

صَوَّبُ الْغَمَامِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي (٢)

(١) المرزباني - الموشح ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) شرح ديوانه ص ٨٧ وانظر الصناعتين ص ٤٠٥ فقد قال العسكري

" فقله غير مفسدها " إتمام وتحرز من الوقوع فيما وقع فيه

ذوالرمة في قوله :

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبِلَى \* وَلَا زَالَ مِنْهَا لَبَجْرَعَايِكَ الْقَطْرُ

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها ، لأن القطر إذا انهل

فيها دائماً فسدت .

فاحترس بأن جعل الغيث غير متلف لديار حبيبتة ، لأن الغيث إن زاد  
ضرَّ وهدم . وقد قال تعالى ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ  
إِبْرَاهِيمَ ﴾<sup>(١)</sup> فلم يترك البرد على إطلاقه لأن من البرد ما يميت فقال  
تعالى " وسلاماً " . وفي الأغانى " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
أُنشِدَ قولَ الحطيئة :

مَتَى تَأْتِي تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ

تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مَوْقِدِ

فقال عمر : كَذَبَ ، بَلْ يَطُّكَ نَارُ مُوسَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٢)</sup> .

وقد صدق وصف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما للشاعرين بالكذب  
على اعتبار مخالفة الحقيقة فقد خالف الشاعران الحقيقة . ولكن اذا  
كانت هذه المخالفة عن وهم أو جهل بالحقيقة - ويبدو أنها كذلك -  
فهو خطأ وهو في مرتبة تقل عن الكذب المتعمد . وهنا يُحْمَلُ قول  
أبي بكر وعمر على أنه تنبيه للشاعرين وسواهما بالتحري في أمور تمس  
العقيدة كالاتقاد بأن نعيم الجنة يفنى أو وصف البشر بصفات  
اقتص بها الأنبياء ، لا سيما وهما في موضع القدوة والمسؤولية والقيام  
على أمر المسلمين فلوسكتا عن مثل هذه الأخطاء والأغاليط لأصبحت  
سنة متبعة ، فلا بد من التنبيه تحرياً واحتياطاً .

(١) سورة الأنبياء آية ٦٩ .

(٢) الاصفهاني ٢/٢٠٠ .



لقد كان الشعراء العرب في مختلف عصورهم يتجنبون بقدر استطاعتهم مثل هذه الأخطاء والأغاليط ولذلك كانت محدودة في الشعر العربي ما مكن النقاد من تتبعها والتنبيه عليها لأنها تعد من معائب الشعر عندهم فقد أخذوا على ربيعة بن العجاج جهله بالحقائق وقد اعترف هو بأنه يقول الشعر أحيانا فيما لا يعلمه فعندما أنشد قوله " في وصف قوائم الغرس :

\* يَهْوِينَ شَتَاً وَيَقَعْنَ وَفَاً \*

قيل له : أخطأت يا أبا الجحاف جعلته مقيدا بضرب ، قال : أي بنسي لا علم لي بالخيل ولكن أدنتني من البعير أصفه كما يجب . ( ١ )

وهذا اعتراف من الشاعر نفسه بخطئه وأنه وصف ما لا يعرف فأخطأ ، وهو يعد اعترافا بأن هذا الخطأ عيب من عيوب الشعر . وقد أخذ عليه النقاد قوله :

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جِحْرِ يَدَا

فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا تَقِ الْأَسْوَدَا ( ٢ )

لأنه " جعل الأفعى دون الأسود وهي فوقه في المضرة " . ( ٣ )

- 
- ( ١ ) أحمد تيمور - أوهام شعراء العرب ص ١٥ وانظر الموشح ص ٣٤٢ .  
وانظر ديوان ربيعة بن العجاج - ضمن كتاب مجموع أشعار العرب تصحيح  
وليم بن الورد البروسي بيروت ١٤٠٠-١٩٨٠ م ص ١٨٠ .
- ( ٢ ) انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء ٥٩٧/٢ .
- ( ٣ ) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

وما عابه النقاد من الأخطاء في الشعر قول أبي نواس في الأسد :

كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا نَظَرَتْ

بَارِزَةَ الْجَفْنِ عَيْنٌ مَخْنُوقِ

فإن عين المخنوق تكون جاحظة والمعروف في عين الأسد أنها غائبة ولا توصف بالبحوظ<sup>(١)</sup> . وقد علق ابن رشيقي على البيت بقوله : " لَمَّا وصف أبو نواس الأسد وليس من معارفه ، ولعله ما شاهده قط إلا مرة في العمر ، إن كان شاهده ، دخل عليه الوهم ، فجعل عينيه بارزتين ، وشبههما بعيون المخنوق ، وقام عنده أن هذا أشنع وأشبهه بشتامة وجه الأسد ، وذهب عنه من صفة أبي زبيد لغوء ورعيه " .<sup>(٢)</sup>

كما أخذ النقاد على أبي نُخَيْلَةَ<sup>(٣)</sup> قوله في وصف بدوية :

دَسْتِيَةَ لَمْ تَأْكُلِ الْمَرْقَقَا

وَلَمْ تَذُقْ مِنَ الْبُقُولِ الْفُسْتُقَا

(١) انظر ابن قتيبة - الشعر والشعراء ٢ / ٨٠١ .

(٢) العمدة ٢ / ٢٤٠ ، وأبو زيد الطائي هو المنذر بن حرمة أو حرمة بن المنذر ، كان جاهليا ، وأدرك الاسلام ولكنه مات نصرانيا يقال إنه عاش ١٥٠ سنة وقد وصف عين الأسد بالغوء وقال :  
كَأَنَّمَا عَيْنُهُ وَقَبَانٌ مِنْ حَجَرٍ \* قِيضًا اقْتِيَاضًا بِأَطْرَافِ الْمُنَاقِيرِ

انظر الشعر والشعراء ١ / ٣٠١ - ٢ / ٨٠١ .

(٣) اسمه يعمر وكنى أبا نُخَيْلَةَ لأن أمه ولدت له الى جنب نخلة وهو من بني حمان بن كعب بن سعد عاصر العجاج الراجز - انظر

الشعر والشعراء ٢ / ٦٠٢ .

فقال ابن قتيبة \* ظن أن الفستق بقل \* (١) وقال أحمد تيمور:  
\* وعذره أنه لم يعرف الفستق وإنما سمع به فظنه من البقول وهو شر  
شجرة \* (٢)

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا العرض أن الواقع المطلوب في  
الشعر العربي هو الواقع الداخلي والخارجي ، وأن الصدق في النقد  
العربي فيه بعض التوسع لأنه يشمل الحقيقة وما قاربها من توسط  
واقتماد ومقاربة ، وأن الخطأ رغم أنه يتمتع بالصدق الداخلي إلا أنه  
معيب لمخالفته الصدق مع الواقع الخارجي وقد توافقت آراء النقاد  
القدماء على ذم الخطأ في الشعر .

وعلى هذا اهتمت الواقعية بالجانب المعرفي وبالصورة التي  
تنهض بذلك الجانب في اعتدال وقصد مشيره إلى أن الإفراط في  
الصنعة من الأسباب التي تبتعد عن الواقع ففي الجانب المعرفي اهتمت  
بصحة المعاني وسلامتها وفي الصورة اهتمت بالاصابة في الوصف والمقاربة  
في التشبيه ، فأعطت العقل دوره الطبيعي في ممارسة التجربة الشعرية  
أوفي الحكم عليها .

(١) الشعر والشعراء ٢/٦٠٣ .

(٢) أوهام شعراء العرب في المعاني ص ١٥ .

لِسَانِ قَدَمِهِ

### خاتمة

تناولت هذه الدراسة مفهوم الصدق في النقد العربي القديم وقد جاءت في مقدمة بينت فيها مادة البحث ثم تمهيد تناول أهميته دراسة المصطلح النقدي بشكل عام ومصطلح الصدق بشكل خاص ثم الدراسات التي تناولت الصدق في النقد العربي قديما وحديثا ثم تحديد مصطلح الصدق في اللغة .

وجاءت الدراسة في بابين تناول أولهما الصدق والواقع : وقد تتبعته فيه تطور مصطلح الصدق عبر عصور الشعر والنقد العربي القديم وعلاقته بمهمة الشعر النفعية والفنية، وقد تبين أن الشعر العربي له ارتباط وثيق بالواقع والحقيقة .

ففي الفصل الأول اتضح أن الشعر عند الجاهليين كان علما له أهداف وغايات اجتماعية وخلقية وثقافية وتاريخية، ولذلك اتصف بالوضوح والدقة والأمانة والصدق في أكثره، وللشاعر منزلة كبيرة في مجتمعه إذ كان صاحب رسالة سامية فيها، فإذا سأل بشعره أو كان ماجنا لاهيا أصبح منبوذا في مجتمعه كما حصل لطرفة بن العبد . وقد هبطت قيمة الشعر بسبب تكسب الأعراس والحطية ومن على نوالهما . وتبين أن الشعر الجاهلي تكثفه أغراض وسمات تدل على ميله إلى الحقيقة منها :

كثرة شعر الحكمة، ومنها شعر الانصاف، ومنها اعتمادها على التشبيه وكثرة الصور الحسية .

وكان الميل الى الحقيقة عند الجاهليين تقليدا فنيا توارد عليه الشعراء  
وليس ناتجا عن تسكهم بدين أو خضوعهم لسلطة أو دعوة اصلاحية  
تأمرهم بذلك .

ثم أن ندرة أحكامهم النقدية التي وصلت الى عصر التدوين  
لم تعط أحكاما محددة وإنما أعطت تصورا بأن الصدق كان مطلبهم  
لتكذيبهم المهلهل في بعض شعره ، واستنكار طرفة للمتلمس عندما أخطأ  
الوصف .

أما الفصل الثاني فقد بين شمولية الاسلام لكل مناحي النشاط  
الانساني القولية والفعلية ومنها الشعر الذي تحدد موقف الاسلام  
الداعي الى لزوم الحق والصدق فيه ، وأن الشعر الحسن محمود  
والقبيح مذموم ، وأن مبدأ الصدق والكذب من أهم مقاييس الشعر  
التي يحكم بها له أو عليه كما بينت آية سورة الشعراء وبعض الآثار  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة ثم تبينت في هذا الفصل  
حدود الواقعية الاسلامية المتفردة وأن الصدق فيها لا بد من جانبيه  
الداخلي والخارجي ، والاقتصار على أحدهما لا يعد من الصدق ، وأن  
السداد والمقاربة من منهج الاسلام الذي لم يتعرض للقيم الفنية الجاهلية  
بشيء ، وإنما كان التغيير في المضامين والأفكار ، وتبين أن النقد في عصر  
صدر الاسلام قد وضع اللبنة الأولى لمقياس الصدق في الحكم على  
الشعر .

أما الفصل الثالث : فقد توصل إلى أن الشعر بعد عصر صدر  
الاسلام قد سار في اتجاهين : أحدهما منهج صدر الاسلام الذي يحيد  
الصدق والحق في الشعر ، ويطلب الحقيقة وما دنا منها .

وثانيهما اتخذ الاثارة الفنية والاغراب في الوصف هدفا ، ورأى أن الشعر لا يخضع لدين أو خلق اذا تحققت الغاية الفنية فيه ، وكان النقاد الذين اهتموا بالصورة الشعرية قد طوروا هذه النظرة الفنية البحتة ، التي لا تعير الصدق في الشعر أي اهتمام ، وقد تعرض هذا الفصل لمقولة ( أعذب الشعر أكذبه ) ويبيّن أن قدامة عندما استعملها وتسمك بها لم يجد من ينسبها اليه ، فنسبها الى قداماء اليونانيين دون تحديد ، وتبيّن بعد ذلك أن مصدرها السفوسطائيون الذين يدعون الى تجريد الشعر من كل هدف ، وأما قول الباحث ي :

كلفتمونا حدود منطقتكم

في الشعر يفني عن صدقه كذبه

فالمقصود بالكذب فيه التعليل والتخييل وهو رد على أصحاب المنطق ، أما افراد الصدق مع النفس في هذه الفترة فقد كان ضئيلا جدا .

أما الباب الثاني فقد استعرض علاقة الصدق بالمصطلحات الأخرى التابعة للخيال والصورة ومنها المبالغة دراسة فنية ، ففي الفصل الأول اتضح أن العرب كانت تستعمل وسائل الخيال من تشبيه واستعارة وكناية دون تصريح بأنها وسائل الخيال ، أما استعمال مسمى الخيال أو التخييل فقد بدأه الفلاسفة المسلمون الذين أكدوا دور الخيال في الشعر ولكن الخيال عندهم كان مظنة الكذب والوهم . وكان أول من استعمل مسمى الخيال من نقادنا العرب عبد القاهر الجرجاني الذي رأى أن الخيال من أسباب جودة الشعر وأنه يعطي

الشعر سعة وفنا ، ولكنه رضي من الخيال ما خضع للعقل وقارب الاعتدال ولم يبعد عن جانب الحقيقة وكان موقفه متوازنا بين الخيال والحقيقة ، مع ميله لجانب الصدق .

ثم توصل حازم الى أن الشعر اذا كان صادقا ومخيلا كان أرق أنواع الشعر ووضع شروطا كثيرة لتسويغ الكذب في الشعر تدل على كراهته للكذب في الشعر وأن الكذب وإن كان يعد مهارة للشاعر إلا أنه ينقص من أفضلية الشعر .

وتناول الفصل الثاني المبالغة وعلاقتها بالخيال والصدق فهي تعني عند الاقدمين بلوغ الغاية في تأدية المعنى ثم تطور مفهومها فدخل تحت مسمياتها الافراط والغلو والاحالة فاصبحت ذات صلة بالخيال وقريبة من الكذب ، ومن هنا بدأ الخلاف حول قبولها ورفضها ، ولكن حازما القرطاجني سمى المبالغة المعتدلة حقيقية وهي مقبولة ولا تتعارض مع الصدق ، وما خرج منها الى الاحالة فهي مبالغة غير حقيقية وهي مرفوضة لأنها تشمل الكذب وهو في هذا يحسد روية بعض النقاد العرب .

أما الفصل الثالث : فقد توصل الى غلبة الحقيقة وما قاربها في الشعر والنقد العربيين وهذا ما يمكن تسميته بالواقعية ، وان كان لا وجود لهذه التسمية عند العرب ، ولا صلة للواقعية الأوربية بالواقعية العربية ، لأن الواقعية العربية اتجه سار عليه النقد والشعر دون تقنين اذ لم يكن خاضعا لمذاهب فكرية الزامية ، فالواقعية العربية لا تخالف الصدق لأن الصدق يتسع معناه للمقاربة والاقتصاد، وللواقع الخارجي



المقام الأول في معرفة الصدق وكان الصدق مع النفس لا يطلب منفردا  
الا في أضيق الحدود .

وقد تناول هذا الفصل صعوبة معرفة الصدق الداخلي  
اذالم يتوفر معادله الخارجي وبين بعض الأمور التي يمكن أن يعرف  
بها الصدق مع النفس اذالم يتوفر معادله الخارجي . ثم بين أن  
الخطأ لا يمكن أن يحكم عليه بالكذب لأنه يشمل صدق الاعتقاد ،  
ولا يمكن الحكم له بالصدق لمخالفته الواقع ، وهو معيب عند أكثر  
النقاد .

فَهْرَسُ الدُّنْيَا وَالْمَرْجِعُ  
يَسْرِبُ

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الآمدي (الحسن بن بشر )
- الموازنة . تحقيق: السيد أحمد صقر ( مصر ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ) .
- ابن أبي عون
- التشبيهات . تحقيق : محمد عبد المعين خان (كمبرج ١٣٦٩ هـ -
- ١٩٥٠ م ) .
- ابن الأثير ( ضياء الدين ، نصر الله )
- المثل السائر . تحقيق : د / أحمد الحوفي . ود / بدوي طبانة ( مصر ١٩٧٣ م ) .
- ابن حجر العسقلاني ( شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي )
- الاصابة في تمييز الصحابة ( بيروت بدون تاريخ ) .
- ابن سنان الخفاجي ( عبدالله بن محمد )
- سر الفصاحة . تحقيق : عبدالمتعال الصعيدي ( مصر ١٣٨٩ هـ ) .
- ابن سينا ( أبو علي الحسين )
- الشفاء - ت : د . عبد الرحمن بدوي ( مصر ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ) .
- رسالة حي بن يقظان تحقيق : ميكائيل بن يحيى المهبرني ( ليدن
- ١٨٨٩ م ) .
- ابن عبد ربه ( أحمد بن محمد الاندلسي )
- العقد الفريد . تحقيق : محمد سعيد العريان (بيروت ١٣٥٩ هـ /
- ١٩٤٠ م ) .

- ابن قتيبة ( عبدالله بن مسلم )
- تأويل مشكل القرآن . تحقيق : السيد أحمد صقر ( السعودية ١٠٤٤هـ ) .
- الشعر والشعراء : تحقيق : أحمد محمد شاكر ( مصر ٢٨٢هـ / ١٩٦٢م ) .
- ابن كثير ( عماد الدين بن أبي الفدا \* اسماعيل )
- تفسير القرآن العظيم ( بيروت ٣٨٨هـ ) .
- ابن منظور ( أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم )
- لسان العرب ( بيروت - بدون تاريخ ) .
- ابن المنير ( ناصر الدين أحمد بن محمد الاسكندري )
- الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال - ضمن كتاب الكشاف .
- ( بيروت - بدون تاريخ )
- ابن هشام ( أبو محمد عبد الطك المعافري )
- السيرة النبوية . تحقيق : مصطفى السقا وزملائه ( بيروت - بدون تاريخ ) .
- ابن وهب ( أبو الحسن اسحاق بن ابراهيم بن سليمان الكاتب )
- البرهان في وجوه البيان . ت : د / حفني محمد شرف ( مصر ١٩٦٩م ) .
- أبو تمام ( حبيب بن أوس الطائي )
- الوحشيات . تحقيق : عبد العزيز الميني ( القاهرة ١٩٧٠م ) .
- أبو السعود ( محمد بن محمد العمادي )
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ( بيروت - بدون تاريخ ) .
- أبو محجن الثقفي
- ديوانه . صنعة أبي هلال العسكري ( بيروت ١٩٧٠م ) .
- أبو نواس ( الحسن بن هاني )
- ديوانه . تحقيق : محمود كامل فريد ( مصر - بدون تاريخ ) .

- أبو الوليد بن رشد

تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر. تحقيق: د/ محمد سليم سالم

( مصر ١٣٩١هـ / ١٩٧١م )

- د/ إحسان عباس

تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني

حتى القرن الثامن الهجري ( بيروت ١٣٩٨هـ )

فن الشعر ( بيروت ١٩٥٥م )

- د/ إحسان النص

زهير بن أبي سلمى حياته وشعره ( دمشق ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م )

- أحمد أمين

النقد الأدبي ( بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م )

- د/ أحمد بدوي

أسس النقد الأدبي ( مصر ١٩٦٤م )

- أحمد تيمور باشا

أوهام شعراء العرب في المعاني ( مصر ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م )

- أرسطوطاليس

فن الشعر . ترجمة عبد الرحمن بدوي ( بيروت ١٩٥٢م )

- الأصفهاني ( أبو الفرج علي بن الحسين )

الأغاني ( بيروت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م )

- الأعمش ( ميمون بن قيس )

ديوانه ( بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م )

- امروء القيس
- ديوانه. تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ( مصر ١٩٨٤ م )
- الأيوبي ( د / ياسين )
- مذاهب الأدب ( بيروت ١٩٨٤ م )
- د / بدوي طبانة
- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية ( مصر ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م )
- قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ( مصر ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م )
- بشار بن برد
- ديوانه. تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ( مصر ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م )
- بشر بن أبي خازم
- ديوانه. تحقيق : د / عزة حسن ( دمشق ١٣٧٩ هـ )
- البغدادي ( عبد القادر بن عمر )
- خزانة الأدب . ط : بولاق ( مصر ١٣٩٩ هـ )
- البهبهتي ( نجيب محمد )
- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري
- ( بيروت ١٩٧٠ م )
- التونسي ( محمد الخضر حسين )
- الخيال في الشعر العربي ( دمشق ١٣٤٠ )
- ثابت محمد صغير
- المنصفات في الشعر الجاهلي
- كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - رسالة ماجستير ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م )

- الشعالي ( أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل )  
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر .  
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ( بيروت ١٣٩٣ هـ ) .
- ثعلب ( أبو العباس أحمد بن يحيى )  
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ( مصر ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م ) .
- د / جابر عصفور  
مفهوم الشعر ( بيروت ١٩٨٢ م ) .
- الجاحظ ( عمرو بن بحر )  
البيان والتبيين . تحقيق : عبد السلام محمد هارون ( بيروت ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ) .  
الحيوان . تحقيق : عبد السلام محمد هارون ( بيروت ١٣٨٥ هـ ) .
- الجبوري ( د / يحيى بن وهيب )  
الاسلام والشعر ( بغداد ١٣٨٣ هـ ) .  
الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ( بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ) .  
شعر هدية بن خشرم العذري ( الكويت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ) .
- الجرجاني ( عبد القاهر بن عبد الرحمن )  
أسرار البلاغة . تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ( مصر ١٣٩٩ هـ ) .  
الجرجاني ( القاضي علي بن عبد العزيز )  
الوساطة بين المتبني وخصومه .  
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ( مصر ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ) .
- الجمحي ( محمد بن سلام )  
طبقات فحول الشعراء . تحقيق : محمود محمد شاكر ( مصر ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ) .

- الجندي ( د / على الجندي )  
• تاريخ الأدب العربي ( مصر ١٩٦٩ م )  
- الجوهرى ( اسماعيل بن حماد )  
• الصحاح . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ( السعودية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م )  
- الحاتمي ( أبو علي محمد بن الحسن )  
الرسالة الموضحة .  
• تحقيق : د / محمد يوسف نجم ( بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م )  
- الحاجرى ( د / محمد طه )  
• فى تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ( بيروت ١٩٨٢ م )  
- د / الحارثى ( محمد بن مريسي )  
الاتجاه الاخلاقي فى النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجرى  
( طبع نادى مكة الثقافى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م )  
- حسان بن ثابت  
• ديوانه • ( بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م )  
- الحموي ( ياقوت بن عبدالله )  
• معجم البلدان ( بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م )  
- الحميدي ( د / عبد العزيز بن عبدالله )  
تفسير ابن عباس ومروياته من كتب السنة .  
( جامعة أم القرى - السعودية - بدون تاريخ )  
- الخطيب التبريزى  
• شرح ديوان أبي تمام . تحقيق : محمد عبده عزام ( مصر ١٩٧٠ م )  
• شرح القوائد العشرة . تحقيق : فخر الدين قباوة ( بيروت ١٤٠٠ هـ )  
• شرح القوائد العشرة . تحقيق : محيى الدين عبد الحميد ( مصر ١٣٨٤ هـ )



- الخطيب القزويني
- الايضاح. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت ١٤٠٠هـ).
- خير الدين الزركلي
- الأعلام . قاموس تراجم (بيروت ١٩٨٦م)
- روضة بن العجاج
- ديوانه ضمن مجموع أشعار العرب .
- تحقيق : وليم بن الورد البروسي (بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)
- الزبيدي ( محمد مرتضى )
- تاج العروس من جواهر القاموس (بيروت ١٣٠٦هـ)
- الزركشي ( أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله )
- الاجابة لايران ما استدرسته عائشة على الصحابة.
- تحقيق: سعيد الافغاني (بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)
- الزمخشري ( أبو القاسم جار الله )
- الكشاف ( بيروت - بدون تاريخ )
- زهير بن أبي سلمى
- ديوانه . ( بيروت بدون تاريخ )
- الزوزني ( الحسين بن أحمد )
- شرح المعلقات السبع ( بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)
- ساعى ( د / أحمد بسام )
- الواقعية الاسلامية في الأدب والنقد ( السعودية ١٤٠٥هـ )
- د / سعد صلوح
- حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر .
- ( مصر ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م )

- سيد قطب

• في ظلال القرآن ( بيروت ١٣٩٨ هـ )

• مهمة الشاعر في الحياة ( بيروت ١٩٣٢ م )

- د / شكري عياد

• ارسطوطاليس في الشعر ( مصر ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م )

- شلبي ( د / سعد اسماعيل )

• الاصول الفنية للشعر الجاهلي ( مصر ١٩٨٢ م )

- د / شوقي ضيف

• البحث الأدبي طبيعته • مناهجه • أصوله • مصادره •

( مصر ١٩٧٢ م )

- الشيباني ( أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير •

• الكامل في التاريخ • تحقيق : نخبة من العلماء ( بيروت ١٣٨٧ هـ )

- الصاوي ( د / أحمد عبد السيد )

• النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني ( مصر ١٩٨٢ م )

- الصفي ( د / اسماعيل

• بيئات نقد الشعر عند العرب ( الكويت ١٣٩٥ هـ )

- الطبري ( أبو جعفر محمد بن جرير )

• جامع البيان ( مصر ١٣٧٣ هـ )

- طرفة بن العبد

• شرح ديوانه •

• تعليق : سيف الدين كاتب وأحمد عصام الكاتب

( بيروت بدون تاريخ )

- طه أحمد إبراهيم

• تاريخ النقد الأدبي عند العرب (بيروت ١٩٣٧ م)

- طه حسين

• حديث الأربعاء (مصر ١٩٧٦ م)

- الطيب الحويلي

• علم الخيال ومستقبل الانسان (تونس ١٩٧٢ م)

- د / عاطف جودة نصر

• الخيال . مفهومه ووظائفه (مصر ١٩٨٤ م)

- عباس محمود العقاد

• ابن الرومي - حياته من شعره (بيروت ١٩٦٨ م)

• ساعات بين الكتب (بيروت ١٩٦٩ م)

- العبادي (عدي بن زيد)

• ديوانه . تحقيق : محمد جبار المعيبدي (بغداد ١٩٦٥ م)

- العباسي (عمر الطيب)

• الآثار النقدية والأدبية لعمر بن الخطاب

• جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية - رسالة ماجستير ١٤٠٢ هـ

- د / عبد العزيز عتيق

• تاريخ النقد الأدبي عند العرب (بيروت ١٣٩٣ هـ)

• في النقد الأدبي (بيروت ١٩٧٢ م)

- العبسي (عنترة بن شداد)

• ديوانه . تحقيق : إبراهيم البياري - وجد المنعم عبد الروؤف شلبي

(بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)

- عبید بن الأبرص

• دیوانه ( بیروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م )

- العسكري ( أبو هلال الحسن بن عبد الله )

الصناعتین . تحقیق علی محمد البجاوی و محمد أبو الفضل ابراهیم

• ( مصر ١٩٧١م )

- العلوي ( محمد بن أحمد ابن طباطبا )

• عيار الشعر . تحقیق : د / محمد زغول سلام ( مصر ١٩٨٤م )

- العلوي ( المظفر بن الفضل )

• نضرة الاغريض في نصره القريض

• تحقیق : د / نهى عارف ( دمشق - ١٣٩٦هـ )

- عمرضا كحالة

• معجم المؤلفين ( دمشق ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م )

- الفارابي ( أبونصر محمد بن محمد )

• جوامع الشعر ضمن تلخيص كتاب ارسطوطاليس لأبي الوليد بن رشد

• تحقیق : د / محمد سليم سالم ( مصر ١٣٩١هـ / ١٩٧١م )

- فشوان ( د / محمد سعد )

• الدين والأخلاق في الشعر ( مصر ١٤٠٥هـ )

- قدامة بن جعفر

• نقد النثر . تحقیق : طه حسين بك و عبد الحميد العبادي ( مصر ١٣٩٩م )

• نقد الشعر . تحقیق : د / محمد عبد المنعم خفاجي ( بيروت - بدون تاريخ )

- القرشي ( عالي سرحان )

• المبالغة في البلاغة العربية تأريخها صورها ( السعودية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م )

- القرشي ( أبو زيد محمد بن أبي الخطاب )  
• جمهرة أشعار العرب، تحقيق د / محمد علي الهاشمي (السعودية ١٤٠١هـ).
- القرطبي ( الامام أبو عبد الله محمد )  
• الجامع لأحكام القرآن ( بيروت مصور عن مصر ١٣٨٧هـ ).
- القلماوي ( د / سهير  
• فن الأُدب - المحاكاة ( مصر ١٩٥٣م )  
- القيرواني ( ابن رشيق أبوعلي الحسن الأُزدي )  
• العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .  
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ( مصر ١٣٨٣هـ )
- قيس بن الخطيم  
• ديوانه . تحقيق: ناصر الدين الأسد ( مصر ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م )
- كعب بن مالك .  
• ديوانه . تحقيق: د / سامي مكي العاني X بغداد ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م )
- الكقراوي ( د / محمد بن عبد العزيز )  
• الشعر العربي بين الجمود والتطور ( مصر ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م )
- لبيد بن ربيعة  
• ديوانه . تحقيق: د / زكريا عبد الرحمن صيام ( مصر ١٣٩٦هـ )
- مالك بن أنس  
• الموطأ . تحقيق: محمد فواد عبد الباقي ( مصر ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م )
- المبرد ( أبو العباس محمد بن يزيد )  
• الفاضل . تحقيق: عبد العزيز الميمني ( مصر ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م )  
الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته ( مصر - بدون تاريخ )

- المتبني ( أبو الطيب أحمد بن الحسين )  
ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري .  
تحقيق : مصطفى السقا وملائه ( بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٨م ) .
- مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية  
جامعة أم القرى - العدد الأول ١٤٠٩هـ .
- مجلة المورد  
عدد ٢ مجلد ١٥ ( العراق ١٤٠٦هـ ) .
- محمد حسن عبدالله  
مقدمة في النقد الأدبي ( الكويت ١٣٩٥هـ ) .
- محمد عثمان علي  
أدب ما قبل الاسلام دراسة وصفية تحليلية ( ليبيا ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) .
- محمد غنيمي هلال  
النقد الأدبي الحديث ( بيروت ١٩٧٣م ) .
- محمد فؤاد عبد الباقي  
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ( بيروت - بدون تاريخ ) .
- محمد قطب  
منهج الفن الاسلامي ( بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ) .
- د / محمد محمد حسين  
الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ( بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م ) .
- محمد محي الدين عبد الحميد  
شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ( بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ) .

- المرزباني (أبو عبدة الله محمد بن عمران بن موسى )  
الموشح . مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة  
الشعر. تحقيق : علي محمد البجاوي ( مصر ١٩٦٥ م ) .
- المرزوقي ( أحمد بن محمد )  
شرح ديوان الحماسة .  
تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون ( مصر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ) .
- مسلم بن الحجاج القشيري  
صحيح مسلم بشرح النووي ( بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ) .
- د / مصطفى عليان  
مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ( السعودية ١٤٠٥ هـ ) .
- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ( مصر ١٩٦٠ م ) .
- د / منصور عبد الرحمن  
اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري ( مصر ١٣٩٧ هـ ) .
- نوفل ( نبيل رشاد الدين )  
قضية الصدق والكذب بين النقاد القدماء والمحدثين  
( مصر - جامعة الإسكندرية - رسالة ماجستير ١٩٧٥ م ) .
- النويهي ( د / محمد النويهي )  
محاضرات في عنصر الصدق في الأدب ( مصر ١٩٥٩ م ) .
- الهاشمي ( د / محمد عادل )  
شعر عصر صدر الإسلام من منظور التصور الإسلامي ( الأردن  
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ) .

- هداره ( د / محمد مصطفى )

• اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ( بيروت ١٤٠١هـ )

• مقالات في النقد الأدبي ( السعودية ١٤٠٣هـ )

- الهيثمي ( نور الدين علي بن أبي بكر )

• مجمع الزوائد ( بيروت ١٩٦٧م )

- اليعقوبي ( أحمد بن أبي يعقوب )

• تاريخ اليعقوبي ( بيروت ١٣٧٩هـ )



فهرست المواقف

فهرس الموضوعات

<u>المفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٣ - ٧	مقدمة
٨ - ١٦	تمهيد
١٧ - ١٢١	<u>الباب الاٲول</u> : الصدق والواقع .
١٨ - ٤٩	الفصل الاٲول : مثالية الشعر الجاهلي
٥٠ - ٨٣	الفصل الثاني : واقعية الشعر في عصر صدر الاسلام
	الفصل الثالث : المثالية الفنية بعد عصر صدر
٨٤ - ١٢١	الاسلام
١٢٢ - ٢١٩	<u>الباب الثاني</u> : الصدق والخيال .
١٢٣ - ١٥٢	الفصل الاٲول : الخيال والصورة
١٥٣ - ١٨٥	الفصل الثاني : الخيال والبالغة
١٨٦ - ٢١٩	الفصل الثالث : الصدق والواقعية
٢٢٠ - ٢٢٥	خاتمة
٢٢٦ - ٢٤٠	فهرس المصادر والمراجع
٢٤٢	فهرس الموضوعات